892.709:K161nA:v.2:c.1
كنون ،عبد الله
النبوغ المغربي في الادب العربي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01032662

892.709:K161nA V.2

كنون، عبد الله .

892.709
K161nA
V.2

JUL 4 '60

FEB 4 '60

6 Aug 65

892.709
K161mA
v.2
الجزء الثاني

النسخ المغربي في الأدب العربي



تاريخ الخط العربي وأعلام الخطاطين

تأليف

عبد الله كنون الحسني



69564

المطبعة المهدية
تطوان

Cat. Sept. 1950

قسم المنثور

ذكرنا في مقدمة الكتاب اننا نؤخر جميع الآثار الادبية الى الجزء الثاني حيث نضم بعضها الى بعض ونؤلف منها مجموعة نفيسة حاوية لاهم ما صدر عن ادباء العصور المختلفة من بديع النظم والنثر، وها نحن اولاء نقدم للقاريء الاديب تلك الآثار البديعة، مقسمين لها على قسمين: قسم المنثور وقسم المنظوم، مبوبين كل قسم ابواباً بحسب اغراضه وفنونه، غير متعرضين بشرح او بيان الا للغريب والغامض الذي لا يسهل فهمه على كل الناس، وذلك رغبة في الايجاز وعدم التشويش على المطالع.

وقد بدأنا بقسم المنثور لان النثر اصل الكلام، ونفتتحه بالتحميد والصلاة للتيمين، وبعد ذلك نذكر الخطب لانها اول المحفوظ من نثر العرب ثم المناظرات لمزيد شبهها بالخطب في الاسلوب والغرض ثم الرسائل وهي اهم اغراض النثر ثم المقامات وهي من معنى الرسائل ثم المحاضرات وهي من موضوع المقامات ثم المقالات وهو باب جديد في الادب العربي على اعتبار المعنى الحديث للادب الذي يرمي الى عد جميع الاشكال الكلامية التي يستخدمها الانسان للتعبير عن ارائه بلسانه او قلمه: سواء في الدرس الفني واللغوي او البحث العلمي والفلسفي، موضوعاً للأدب يجب ان يدرس ويبحث بروح ادبية محضة. والله المستعان وعليه التكلان.

التحميد والصلاة

تحميد للقاضي عياض

جمع فيه بين توحيد الجلالة وتمجيد صاحب الرسالة

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى، المختص بالملك الاعز الاحمى، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لانخيلا ولا وهما، الباطن تقدسا لا عدما، وسع كل شيء رحمة وعلما، واسبغ على اوليائه نعماً عما[1] وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما، وازكاهم محتدا ومنمى، وارجحهم عقلا وحلما، واوفرهم علما وفهما، واقواهم يقينا وعزما، واشدهم بهم رأفة ورحمى، زكاه روحاً وجسما، وحاشاه عيباً ووصما، وءاتاه حكمة وحكما، وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وءاذنا صما، فئامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما، وكذب به وصدف عن ءاياته من كتب الله عليه الشقاء حتما، «ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى» صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى، وعلى ءاله وسلم تسليما.

تحميد للشيخ مباركة من فطه

يذكر فيه هداية الاسلام وجهاد النبي عليه السلام

الحمد لله مرشد هذه الامة لما اختار لها من الايمان والاسلام شرعة.

(1) بضم العين اي شاملة

ومنهاجا، معين من اراد به خيرا على فهم قواعدهما وحفظ فروعهما حتى امتزجت بلحومهم ودمائهم امتزاجا، فانتفعوا بمعرفة ضروري علم دينهم ونفعوا من الخلق افرادا وازواجا، نحمده ونشكره على نعمه التي لانحصيها وكيف يحصى البحر سياحا والقطر ثجاجا،[1] ونستعينه ونستغفره لذنوبنا التي ارتكبناها انحرافا واعوجاجا، ونومن به ونتوكل عليه افتقارا اليه واحتياجا، ونبرأ من الحول والقوة اليه براءة نجدلها سرورا وابتهاجا، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا التي صيرت حلونا مراً وعذبنا اجاجا، من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلن تجد نداء ضلاله علاجا، ونشهد ان لااله الله وحده لا شريك له شهادة تمتزج بالروح والضلوع امتزاجا، وتكون لكل خير سلما ومعراجا، ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي اطلعه الله في ظلمات الشرك سراجا، وامره بمحاربة اهل الكفر حتى دخلوا في دين الله افواجا، صلى الله وسلم عليه وعلى ءاله واصحابه الذين حفظوا دينه واذاعوه فصار سراجاوهاجا، صلاة وسلاما نستمطر بهما العفو ونستنتج الغفران استنتاجا.

تحميد للعربي النرهوني

من خطبة في سبقية رحمته تعلى لغضبه وعن خطه نقل

الحمد لله الذي اذا ابتلي عافى، رحمة منه واحسانا، واذا زل العبد اخذ بيده وتلافى، فضلاً منه وامتنانا، وان اذنب وتاب، قبل منه التوبة

(1) سياحا اي جاريا والقطر بالفتح المطر وثجاجا بالتشديد اي منصبا والوصفان منصوبان على الحال.

وما حافى، وان احسن ولازم الباب، فتح له وجازى وكافى.

تحميد لخالد العمري

قاضى طنجة من خطبة قالها بعد اراحة الله العباد من ولاية العربي تكورت عام 1243هـ.

الحمد لله الذي كشف عنا البلايا ودفع عنا المكاره ونفى عنا الاسواء، وصرف عنا بغيرته الصمدانية كاسا كنا نتجرعها ولا نكاد نسيغها من ايدي ارباب العسف والاهواء، ومال بجيش اليسر على جيش العسر فانجابت عنا بحمده احلاك العنا. والحمد لله الذي صرف عنا الاذى واذهب رفقا بنا معشر المسلمين عنا الحزن. وكحل بيمناه جفوننا بعد ما الفت السهاد من اجل الفساد بمرود الوسن، فاعتضنا ولله مزيد الحمد من ليالي النحوس والخنا، ليالي السعود والهنا. والحمد لله الذي كبت العدو وجبر الصدع وغير الشيطان وقد شابت من مفرقه النواصي واللمم، ورد عز وجل اليد العادية عنا رد الغيور يد الجاني عن الحرم، فاستوجب منا ان نلهج بالحمد والشكر له على كل حال، وما كان من حال، بلسان العجل لا بلسان الونا، نحمده تعلى ونشكره، على ما خولنا من سوابغ النعم، ونستقيله عز جنابه ونستغفره، من نواهي اقيستها تنتج فوادح النقم، حمداً واستغفاراً يحصل بهما للحامد والمستغفر مثل ما يحصل للمفرد والقارن من التكرمة في منى. ونؤمن به ونتوكل عليه، ونبرأ من الحول والقوة اليه، توكل من اناب وبراءة من جنت يداه من غروش التكريم ثمر المنى. ونعوذ

به من شرور انفسنا التي لم يوقف لها على حساب، ومن سيئات اعمالنا التي أثبتتها اقلام الكرام الكاتبين في كتاب، فانه جل وعلا خير واق يقينا من وقع مالها ولنهوى من بيض وسهام وقنا. من يهد الله فلاصارف له عن التشبث باذيال الدين، ومن يضلل فلا هادي له ولا ناصر ولا معين، وما التوفيق الا من عند الله «والله خلقكم وما تعملون» سراً وعلناً.

تحميد عاثر لم في الغرض نفسه

الحمد لله الذي سلك بنامسالك الرفق دون العنف، وخلع علينا خلعا نسجتها ايدي العفو على منوال اللطف. نحمده تعلى حمد العارفين، ونشكره جل وعلا شكراً احلى من الامن عند الخائفين.

الصلاة المشبثة لمولانا عبد السلام بن مشيش

اللهم صل على من منه انشقت الاسرار، وانفلقت الانوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم ءادم فاعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة، ولا شيء الا وهو به منوط، اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، صلاة تليق بك منك اليه، كما هو اهله، اللهم انه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك، اللهم الحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني اياه معرفة اسلم بها من موارد الجهل، واكرع[1] بها من موارد الفضل، واحلني

(1) اشرب

على سبيله الى حضرتك، حملا محفوفا بنصرتك، واقذف بي على الباطل فادمغه، وزج[1] بي في بحار الاحدية، وانشلني من اوحال التوحيد، واغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس الا بها، واجعل الحجاب الاعظم حياة روحي، وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي، بتحقيق الحق الاول يا أول يا ءاخر يا ظاهر، يا باطن، اسمع نداءي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحل بيني وبين غيرك، الله، الله، الله، «ان الذي فرض عليك القرءان لرادك الى معاد» ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا».

الصلاة التازية للشيخ ابراهيم التازي

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه، وعلى ءاله وصحبه.

صلاة لابن ناصر

من كتابه الغنيمة، حرف الهمزة

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا محمد صلاة تكون لنا معاذا من الشيطان ومكلأ. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا محمد صلاة تغفر لنا بها ما جنيناه عمدا او خطأ.

(1) ارم

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا محمد صلاة تسددنا بها في امورنا كلها معاذا ومبدءا. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا محمد صلاة تجعل لنا بها معيها الى رضوانك موطأ. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد صلاة تجعل لنا بها عندك قدرا وخطرا وقربا وحبا وشرفا ومعبأ. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءال سيدنا محمد صلاة تجعل لنا بها في الجنة مقيلا و مبوأ.

صلاة للشيخ المختار الكنتي المتوفي 1250

من كتابه نفح الطيب، وضمنها عمود النسب الكريم

اللهم صل وسلم على اشبه ولد ابراهيم بابراهيم. المشرف بالطواسين والحواميم. اللهم صل وسلم على المنبأ من ذرية نابت. الذي شرفه وذكره والتنويه به في جميع الدهور ثابت. الهم صل وسلم على المختار من ضئضيء عدنان. المحبو بالسبع المثاني والقرءان ..الخ

الخطب

خطبة طارق بن زياد

قالها في جيشه الذي فتح به الاندلس بعد ان احرق الاجفان التى حملتهم الى الجبل المسمى باسمه قطعا لاملهم في الرجوع

ايها الناس: اين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر. واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة. وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم، ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم. وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم. فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة. وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت. واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوة، ولاحملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس (من غير[1] ان) أبدأ بنفسي. واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا، فلا

(1) هذه الكلمة ليست بالاصول التي وقفنا عليها وبدونها لاينسجم الكلام وفي رواية اخرى الخطبة ولاحملتكم بالاثبات والتاكيد، ومع ذلك يبقى في الكلام تقطيع.

ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه باوفى من حظي. وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم. والله تعلى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم «لذريق» فقاتله ان شاء الله تعلى فاحملو معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون.

خطبة مولانا ادريس الازهر

قالها باثر مبايعته وهو ابن احدى عشرة سنة

الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واتوكل عليه واعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر، واشهد ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجاً

منيراً صلى الله عليه وسلم وعلى ءال بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا - ايها الناس : انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسن فيه الاجر وللمسيىء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا.

خطبة اخرى له

لما فرغ من بناء فاس وحضرت الجمعة الاولى صعد المنبر وخطب الناس ثم قال: اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينه مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤونة اعدائهم ودر عليهم الرزق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق، انك على كل شيء قدير.

خطبة عبد الله بن ياسين

خطبها في شيوخ المرابطين وقد طعن في حروبه مع مجوس «برغواطة»

يامعشر المرابطين : انكم في بلاد اعدائكم، واني ميت في يومي هذا لامحالة، فاياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا الفة وأعوانا على الحق واخوانا في ذات الله تعلى، وإياكم والمخالفة والتحاسد

على طلب الرياسة فان الله يوتي ملكه من يشاء ويستخلف في ارضه من احب من عباده، ولقد ذهبت عنكم فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بامركم يقود جيوشكم ويغزوا عدركم ويقسم بينكم فيئكم وياخذ زكاتكم وأعشاركم.

خطبة المهدي بن تومرت

خطبها في شيوخ المصامدة عاهدا الى عبد المومن

ان الله سبحانه وله الحمد من عليكم ايتها الطائفة بتاييده، وخصكم من بين اهل العصر بحقيقة توحيده، وقيض لكم من الفاكم ضلالا لاتهتدون، وعمياً لاتبصرون، لا تعرفون معروفاً ولا تنكرون منكراً، قد قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الاباطيل وزين لكم الشيطان اضاليل وترهات انزه لساني عن النطق بها وأربأ بلفظي عن ذكرها فهداكم الله به بعد الضلالة وبصركم بعد العمى وجمعكم بعد الفرقة وأعزكم بعد الذلة ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين وسيورتكم ارضهم وديارهم. ذلك بما كسبته ايديهم واضمرته قلوبهم «وما ربك بظلام للعبيد» فجددوا لله سبحانه خالص نياتكم وأروه من الشكر قولا وفعلا ما يزكي به سعيكم ويتقبل اعمالكم وينشر امركم واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء وكونوا يدا واحدة على عدوكم فانكم ان فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا الى طاعتكم وكثر اتباعكم وأظهر الله الحق على ايديكم وإلا تفعلوا شملكم الذل وعمكم الصغار واحتقرتكم العامة فتخطفتكم الخاصة.

وعليكم من جميع اموركم بمزج الرأفة بالغلظة واللين بالعنف واعلموا مع هذا انه لايصلح امر اخر هذه الامة الا على الذي صلح عليه امر اولها. وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميراً عليكم .. هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه متبصرا في امره واني لارجو ان لا يخلف الظن فيه. وهذا المشار اليه هو عبد المومن فاسمعوا له واطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه فان بدل او نكص على عقبه اؤ ارتاب في امره ففي الموحدين اعزهم الله بركة وخير كثير والامر لله يقلده من شاء من عباده.

خطبة المنصور المريني

كان له باسبانيا غزوات عظيمة ومن بعض خطبه فيها يحض جيشه على القتال قوله

يامعشر المسلمين، وعصابة المجاهدين: ان هذا يوم عظيم، ومشهد جسيم، الا وان الجنة قد فتحت لكم ابوابها، وزينت اترابها، فخذوا في طلابها، فان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة. فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين، في جهاد المشركين فمن مات منكم مات شهيدا، ومن عاش عاش غانماماجورا حميدا، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

خطبة لابن رشيد

قام ابن رشيد للخطبة يوم الجمعة بعد فراغ المؤذن الثاني ظنه الثالث فكثر لغط الناس فقال بديهة

ايها الناس رحمكم الله : إن الواجب لا يبطله المندوب، وان الاذان الذي بعد الاول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم وانتبهوا، وتذكروا قول الله تعلى وماءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: من قال لاخيه، والامام يخطب، انصت فقد لغى، ومن لغى فلا جمعة له، جعلني الله واياكم ممن علم فعمل، وعمل فقبل، وأخلص فتخلص.

خطبة وعظية لابي مدين الفاسي

عباد الله : نجا المخففون فخففوا الاثقال لتلحقوا، وفاز المتقون فان شئتم الفوز فالله فاتقوا، وترافق السعداء على الجادة فاياهم فرافقوا، وسابق النجباء الى العبادة فسارعوا اليها وسابقوا، ووصل المشمرون، فماذا ينتظر المقصرون، «هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون» أخرج الامام احمد في الزهد والحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه : اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك. «استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لامرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم

من نكير» في الحلية عن بلال بن سعيد قال: قال عبد الرحمن: يقال لاحدنا اتحب ان تموت؟ فيقول لا. ويقول سوف اعمل، فلا يحب ان يموت ولا يعمل وأحب شيء اليه ان يؤخر عمل الله ولا يحب ان يؤخر عمل الدنيا. «يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» ولا تتخيلوا الاقامة في دار لا بقاء لها، وتظنوا ان من جد على الجادة كمن تباهى بالباطل ولها، كلا! والله ان ما ولدناه فللتراب، وما جمعناه فللذهاب، وما شيدناه فللخراب، وما اكتسبناه ففي كتاب، «وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» روى الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول العبد: مالى مالى! وانما له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، او تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس. «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم! كذلك وأورثناها قوماً ءاخرين» روى الديلمي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم كانكم تموتون غداً. «يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون» جعلني الله وإياكم ممن قدم من دنياه لاخراه، واستجاب لربه من قبل ان يأتي يوم لامرد له من الله، وأجارني واياكم من عذابه المهين، وغفر لي ولكم ولوالدينا ولجميع المسلمين.

خطبة اخرى له في سعة رحمة تعالى

عباد الله: لئن كانت ذنوبنا كثيرة، ومساوينا خطيرة، وسيئاتنا أربت عن الحصى، وموبقاتنا جلت عن العد والاحصاء. ولئن قلت في الصالحات اعمالنا، وطالت في الخبائث اعمالنا، واتبعنا هوانا فظهرت منا القبائح، وملك حب الدنيا منا القلوب والجوارح، وشب حرصنا عليها وطول املنا زاد، وحان وقت الرحيل منها ولا زاد، وران على قلوبنا من سوء الاكتساب، وملئت صحائفنا بالكبائر وموجبات العذاب، فرحمة ربي تسع الجميع، وفضل مولانا وافر يعم العاصي من خلقه والمطيع، فليس جوده مخصوصاً بمن أطاع، ولا كرمه مختصاً بمن اتى في عبادته بالمستطاع، بل هو مبذول بالسبق لمن شاء من خلقه وان عصى، وأساء وأذنب وخالف وشق العصا. قال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم اخرين يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم. «والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله» قال عليه الصلاة والسلام: قال الله تعالى: أنا أكرم وأعظم عفواً من ان أستر على عبد مسلم في الدنيا ثم أفضحه بعد اذ سترته ولا أزال اغفر لعبدي ما استغفرني «ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» قال عليه الصلاة والسلام: قال الله تعالى: يا ابن ءادم! إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي. يا ابن ءادم! لو انك اتيتني بقراب الارض

خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة. «كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم» اللهم اجعلنا يامولانا ممن عاملته برحمتك، ونظرته بعين رعايتك ورأفتك، وقابلته برضاك، ووفقته لماتحبه ويرضاك، واستعملنا يامولانا في طاعتك، واسبل علينا رداء سترك ومغفرتك، ءامين، والحمد لله رب العلمين.

خطبة المرهوني

في الحض على الجهاد وخصوصا عند نزول العدو ببلاد الاسلام

ايها الناس! ان ذنوبنا وسيئاتنا كثيرة لاتستقصى، وان مساوينا وعيوبنا لاتعد ولاتحصى، وان وراءنا والله يوما عبوسا قمطريرا، فلننهض ياعباد الله لما يمحو ذنوبنا ويطهرنا تطهيرا، ألا وان من افضل ذلك الرباط والجهاد، فسيروا اليهما وشمروا الذيل عن ساق الجد والاجتهاد، وانفروا للجهاد خفافا وثقالا، وابذلوا في نصرة اخوانكم المسلمين انفسا واموالا، فقد اتاهم النصارى دمرهم الله افواجا، واذاقوهم من سوء صنيعهم ملحا أجاجا، افيطيب عيشكم يا معشر المسلمين واخوانكم قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت؟ اي عذر لكم عند ربكم اذا استولت النصارى على بلادهم وغلبت؟ وانخذوا مساجد الله بيعا وكنائس، فانهضوا لاعلاء كلمة الله سراعا رجالا وفوارس، فما اتعبت الانفس ولاصرفت الاموال في افضل من قتال اهل الكفر والضلال، فليصرف كل واحد منا نفسه

ومتاعه واثاثه، في قتال من زعم ان الله ثالث ثلاثة، ولا يمنعكم من الذهاب الى الجهاد خوف الممات، فان العمر لا يتقدم ولا يتأخر عما حد له من الاوقات، وقد ظن ذلك المنافقون، فرد الله عليهم بقوله في كتابه المكنون، «يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم» وقال تعلى «اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» هذا وقد افصح القرءان بالامر بالجهاد وذكر ثوابه واجره، ونوه النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث صحيح بقدره، قال تعلى «لايستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم» الآية. وقال تعلى «الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله» الآية. وقال تعلى «انفروا خفافا وثقالا» الى تعلمون. وقال تعلى «ان الله اشترى من المومنين انفسهم» الى العظيم. واخرج البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها. وفي صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض واخرج البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثل المجاهد في سبيل الله؛ والله اعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع وتكفل الله

المجاهد في سبيله بان يدخله الجنة او يرجعه سالماً مع اجر أو غنيمة. وأخرج البخاري جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجد ثم قال: هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال ومن يستطيع ذلك؟ فاطلبوا رحمكم الله رضى الله بالمبادرة للرباط والجهاد، وسارعوا لقتال من كفر بالله وسعى في الارض الفساد، ولا يشغلكم عن الجهاد ابناؤكم واموالكم فان الله تعلى يقول في كتابه المبين «قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم» الى الفاسقين. نفعني الله وإياكم بالقرءان المبين، وغفر لي ولكم ولوالدينا ولجميع المسلمين.

خطبة وعظية للعربي الزرهوني

على حسب اطوار الانسان وسنيه، وعن خطه نقلت

عباد الله: ان الله تبارك وتعلى كتب علينا الانتقال من هذه الدار، وامرنا بالنظر فيها والاعتبار، والتزود منها لدار القرار، وخالف بمقتضى حكمته بين مقادير الاعمار، فمن معجل تخترمه المنية في ريعان شبابه، وعنفوان عمره ولبابه، ومن مؤجل ينسأ له في اجله، حتى يستوفي ما كتب له من رزقه وعمله، فالعبد لا يدري متى ياتيه حمامه، وتنقضي بوفاته ايامه، فما احقه واولاه، ان يعمر اوقاته بطاعة مولاه، الذي خلقه وسوّاه، ليكون يوم لقياه من الفائزين. فيا من بلغ سن الاحتلام، وحطت عنه الاقلام، وتعبد بشرائع الاسلام، خذ نفسك بالاجتهاد في الطاعة،

ولا تطلب الربح بغير بضاعة، ولا تفتتح عمرك بالتفريط والاضاعة، فتكون من الجاهلين. ويامن بلغ العشرين، لاتطمئن الى مابقى من السنين، ولا تغتر برونق شبابك، فانك لاتدري متى يقف المنون ببابك، وتفرد من بين اصحابك واحبابك، ويذهب بك في الذاهبين. ويامن بلغ الثلاثين راجع نفسك عن هواها، فقد كمل شبابها واستحكمت قواها، فانفق جديد عمرك في الطاعة ولا تركن الى سواها، وهب انه قد بقى من عمرك مثل ما مضى، فهل تجد لما فرطت فيه من صالح العمل عوضا؟ ففكر فى امر نفسك وكن لها من الناصحين. ويامن بلغ الاربعين ذهب عنك معظم الايام، وشرعت فى النقصان بعد التمام، فاخلص الى ربك المتاب، وقل كما جاء في الكتاب: «رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين» ويامن بلغ الخمسين ذهب اكثر عمرك وأطيبه، وبقى اقله وأتعبه، وبدت فى رأسك طلائع المشيب، واوشكت شمس عمرك ان تغيب، فهل لك ان تقنع وتنيب؟ وتسمع وتجيب؟ فما أقبح العصيان بعد المشيب؛ وان كان مستقبحا في كل حين. ويامن بلغ الستين بلغت السن الذى أعذر الله فيه الى العباد، وعزمت على السفر البعيدفاين الزاد؟ فتزود التقوى ان الله يحب المتقين. ويامن بلغ السبعين لمقترب الآجال فيك دلائل، فاغتنم ما بقى من ايام عمرك القلائل، قبل ان تنتقل الى دار البقاء ولم تحصل من صالح الاعمال على طائل، فتصبح من النادمين. ويامن

بلغ الثمانين عشت ما قد كفاك، وكلت جوارحك وضعفت قواك، وأبغضك من كان يحبك ويهواك، وذهب عنك حلو العيش وبقى المر فتأهب للرحيل، وتهيأ للسفر الطويل، واعلم انك عما قريب من الراحلين. ويامن بلغ التسعين وقفت على ثنية الوداع، وأشرفت على اللحاق بمن فقدت والاجتماع، فانك وان كنت في الاحياء معدود في الميتين. ويامن بلغ المائة، وما أظنه في هذه الفئة، بلغت الغاية القصوى من السنين، وما بعد المائة من بقاء فلا تكن من المغرورين. ويامن غداسنه بين هذه الحدود المحدودة، والاعداد المعدودة، اعمل على شاكلة الرحيل، وتزود للسفر الطويل، واياك والتسويف والتعليل، خشية ان ياتيك الموت عما قليل، فتموت وانت من المفرطين. خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ايها الناس! كأن الموت في الدنيا على غيرنا كتب، وكان الحق فيها على غيرنا وجب، وكان مانشيعه من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم، وناكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم. «يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، ان وعد الله حق، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» اللهم اكتبنا في ديوان من ختمت لهم بالحسنى، وتممت لهم الفوز بالرضوان في المقر الاسنى، ووفقنا اللهم لطاعتك، وأعنا على ذكرك وحسن عبادتك، انك جواد كريم، رؤوف رحيم.

المناظرات

(أ) في الدين

مناظرة ابي عمران الفاسي لفقهاء القيروان

قال عبد الجليل بن ابى بكر الديباجي: جرت عندنا بالقيروان مسألة الكفار هل يعرفون الله تعلى او لا؟ فوقع فيها اختلاف كثير وتنازع بين العلماء. وكان اكثر من يعتنى بها رجل مؤذن يركب حمارة ثم يذهب من واحد الى ءاخر ولا يترك متكلما ولا فقيها الا ويناظره في هذه المسألة وعظمت حتى كثر الجدال بها في الاسواق.

ثم اتوا ابا عمران الفاسي فقال ما بالكم؟ قالوا اصلحك الله انت تعلم ان العامة اذا حدث بها حادث يفزعون الى علمائهم، وانت تعلم ما جرى في هذه المسألة. فقال ابو عمران ان انتم انصفتم واحسنتم الاستماع اجبتكم. فقالوا نعم. فقال لا يكلمني الا واحد منكم. فقصده ذلك الواحد فقال ارايت لو انك لقيت رجلا وقلت له هل تعرف ابا عمران الفاسي فقال لك اعرفه فقلت صفه لي فقال هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام ويسكن البصرة اكان يعرفني؟ قال لا. ثم قال له فلو لقيت ءاخر وسألته عني فقال لك نعم اعرفه. فقلت صفه لي فقال هو رجل يدرس العلم ويفتي الناس ويسكن بقرب السماط اكان يعرفني؟ قال نعم. قال له والاول ما كان يعرفني. قال لا. قال فكذلك الكافر

الذي يقول ان للمعبود صاحبة وولدا وانه جسم من الاجسام. فانفصلوا عن رأيه

مناظرة المهدي ابن تومرت لعلماء مراكش

دخل المهدى بن تومرت واصحابه الى مراكش وقد جاهر بدعوته واستعلن امره فذهب الى المسجد الجامع ولقى هناك امير المسلمين علي بن يوسف فوعظه واغلظ له القول. وكان علي جالسا والوزراء واقفون حوله فقال الوزراء لابن تومرت سلم سلام الخلافة على الامير. فقال ابن تومرت واي امير ؟ انما ارى جواري منقبات. فلما سمع ذلك على بن يوسف أزال النقاب عن وجهه وقال صدق. فلما رءاه ابن تومرت قال له الخلافة لله لا لك ياعلي. وتمادى فى وعظه وارشاده وجادل العلماء الحاضرين باجمعهم. وكان سائرا في الطريق فرأى اخت علي بن يوسف حاسرة على عادة قومها. فوبخها توبيخا وعنفها فدخلت على اخيها تذرف الدموع مما لحقها من اهانة ابن تومرت وتقريعه. واصبح العلماء والعامة لا يتكلمون في مراكش الا بامره. فجمع علي بن يوسف مجلساً بين علماء المغرب والاندلس يرأسهم وزيره العلامة مالك بن وهيب. فلما التأم المجلس للمجادلة تولى الكلام قاضي المرية محمد بن اسود وقال ما هذه الاقوال التي تنقل عنك في حق الملك العادل المنقاد الى الحق والمؤثر لطاعة الله على هواه؟ قال ابن تومرت ان ما نقل عني قد قلته حقا ولي من ورائه اقوال اخرى. أما قولك ان ملككم عادل منقاد للحق مؤثر طاعة الله على هواه فهذه اقوال تقولونها له وتنصرونه بها، مع علمكم بان الحجة متوجهة

عليه. فهل بلغك ياقاضي ان الخمر تباع فى هذه الديار جهارا؟ وان الخنازير تمشي بين المسلمين؟ وان اموال اليتامى توكل ظلماً وعدواناً؟ وعدد من ذلك جميع المنكرات التي رءاها فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حياء. فسكت علماء السوء ولم يتكلم منهم احد. فقال مالك بن وهيب وقد فهم نفسية ابن تومرت وادرك غايته: نصيحتي لك ايها الملك ان تامر بسجن هذا الرجل واتباعه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكفي شرهم والا انفقت عليه كل خزائنك ولا يجديك ذلك نفعا. اجعل عليه كبلا، كي لاتسمع له طبلا. فوافقه الملك على ذلك. لكن الوزير بينتان بن عمر تدارك الامر وقال يقبح بك ايها الملك ان تبكي من موعظة رجل، ثم تسجنه في مجلس واحد. فأصغى الملك لرأيه وصرف ابن تومرت وسأله الدعاء.

مناظرة الخروبي والبستفي والربطي
وما عقب به اليوسي عليها

كتب ابو عبد الله الخروبي الطرابلسي رسالة الى اهل فاس يتكلم فيها على القواعد الخمس فجاء فيها قوله اثناء الكلام على القاعدة الاولى وهي لا اله الا الله: «ومن الادب ان لا يتناول نفيك عند النطق بحرف النفي الا ما ادعاه المشركون من الآلهة سوى الله تعلى وليكن الحق جل جلاله ثابتا عندك فى حالة النفي والاثبات والى هذا اشار بعض العلماء حيث قال النفي لما يستحيل كونه، والاثبات لما يستحيل عدمه. فنقم

الناس عليه هذه العبارة لما يلزم عليها من الكذب في الخبر الالهي. وكان اليستثني مفتي الحضرة يومئذ فكتب عليه يقول: ان ذلك لا يصح من أوجه، الاول انه يخالف ما اتفق عليه النحاة والمتكلمون من ان الاله المراد به الجنس والحقيقة ولا يبنى مع لا الا اذا كان كذلك فهو كلي ولا شيء مما ادعاه المشركون بكلي، اذ ما يدعونه ويعبدونه جزئيات خارجية متشخصة. الثاني انه لو كان كذلك لكان الاستثناء منقطعا ولا قائل به والاصل في الاستثناء الاتصال. الثالث انه ليس فيما ادعاه كبير ادب بل الادب ان يكون النفي شاملا لوجود كل الاه يقدر سوى الحق سبحانه على ما قاله النحاة او للماهية لا بقيد على ما قاله المتكلمون كما هو معروف في بحثهم مع النحاة حيث يقيدون بالوجود. الرابع ان في كلامه تناقضا حيث نقل عن بعض العلماء ان النفي لمن يستحيل كونه والاثبات لمن يستحيل عدمه فان من يستحيل كونه مفهومه كلي لا يحصر فيما ادعاه المشركون فان سلم هذا الكلام لزمه التناقض. وما قاله هذا العالم هو الحق الذى لاشك فيه» وقد اعترض البسطي كلاهما معا فقال في بيان وجه المواخذة على الخروبي: انه سلط النفي على ما ادعاه المشركون، وما ادعاه المشركون ثابت موجود لا يتناوله النفي بالكلية. وقال في وجه المواخذة على اليستثني مخاطبا له: انكم تعقبتم على الخروبي قصر النفي على ما ادعاه المشركون فقط حتى انه لو ادخله في جنس الالاه ليعم لكان مسلما عندكم. والحق ان جنس الاله

المعبود بحق غير جنس الاله المعبود بالباطل اذ كل واحد مميز بحده محتو على افراده.

ولما قال الهبطى ما ذكر رد عليه اليستثني وشنع عليه الناس تشنيعا عظيما في قوله ان معبودات الكفار لادخل لها في النفي ثم وصلت المسألة الى السلطان وهو محمد الشيخ السعدي فبعث الى الهبطى وعقد بفاس مجلسا للمناظرة لكن الهبطي لم يشأ ان يدخل فيها فانفصلو على غير طائل ولم تزل المسألة مثار نزاع شديد بين الطلبة والمؤلفين في التوحيد حتى تادت الى العصر العلوي فتصدى لها ابو علي اليوسي وبسطها بما لامزيد عليه من البيان في كتابه القيم «مناهج الخلاص من كلمة الاخلاص». ونحن نقتضب من كلامه جملا نقرر بها معنى ماتقدم، فانه قال بعد هذا الكلام: واذ قد تعرضنا لكلام هؤلاء الايمة فلا بد ان نتصفحه بعض التصفح ونشير الى ما عند كل واحد في كلامه مما لابد من الاشارة اليه والتنبيه عليه معطيا ان شاء الله كل ذى حق حقه، ومعطيا ايضا الحق حقه، فان لحوم العلماء مسمومة، والصدع بالحق سنة معلومة. ثم قال:

أما كلام الخروبي فموضع الاعتراض منه هوقوله ان النفي لايتناول الاماادعاه المشركون من الهة سوى الله تعلى فانه يظهر انه اراد الآلهة الخارجية عند المشركين من حجر وشجر وفلك ونحو ذلك فاعترض عليه اليستثني بان هذه الخارجية جزئيات ومدخول لا يجب ان يكون كليا

الى ءاخر كلامه واعترض عليه الهبطي بان تلك الآلهة موجودة فلم يصح نفيها فان نفي الموجود كذب. وهذا مبني على ان المراد من قوله ماادعاه المشركون مصدوقه الخارجي وليس هذا بواجب ان يراد ولا بد ان تعلم انه من الاشياء الضرورية ان كل لفظ واقع على كلي كالانسان والفرس والشجر ونحو ذلك لابد له من اعتبارين احدهما مفهومه وهو ما يتصور منه كالحيوان الناطق من الانسان والحيوان الصاهل من الفرس مثلا الثاني مصدوقه وهو مايقع عليه من الافراد باعتبار وجود معناه فيه كزيد وعمرو وزينب وهند للانسان فاما الاول وهو المفهوم فهو كلي ابدا في نحو هذا وهو متصور في الذهن سواء كان له وجود في الخارج ام لا. واما الثاني وهو المصدوق فقد يوجد للكلي منه واحد وقد يوجد كثير وقد لايوجد شيء اصلا كالشريك وبحر من زيبق.

اذا تقرر هذا فنقول قول الخروبي ما ادعاه المشركون يحتمل ان يريد به مصدوقه الخارجي كالشجر والحجر وهذا موضع الاعتراض ويحتمل ان يريد به مفهومه وهو مفهوم الشريك الكلي او الشركاء فان المشركين على اختلاف نحلهم وتباين مللهم من وثني وفلكي وثنوي ومثلث وغير هؤلاء متفقون على امر واحد هو القدر المشترك بينهم وهو تجويز ان يكون مع الله جل اسمه وتعالت كلمته من يشاركه في استحقاق العبادة ثم لم يقتصروا على هذا التجويز بل حكموا بوجود ذلك غير انهم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من يثبت شريكا واحدا هو فاعل الشر كالثنوي ومنهم

من يثبت اثنين كالنصراني المثلث. وهؤلاء غلاة المشركين القائلون بالشركة في الالوهية الحقيقية. ومنهم من لا تنضبط حاله بل يثبت ما اتفق له مما قام له عليه داع الى الشركة وباعث الى العبادة كغيرهم من الوثنيين والفلكيين ونحوهم فقد اجتمعوا على اثبات الشريك المستحق العبادة في الجملة. وهذا مفهوم كلي من غير التفات الى مصدوقاته الخارجية في زعمهم. ولا شك ان هذا المفهوم الكلي قد ادعوه كلهم ولا اشكال انه هو المنفي في الكلمة المشرفة فيجب ان يكون هو المعنى في قول ما ادعاه المشركون فلا يبقى على الخروبي اعتراض لامن قبل الاستثني لان هذا كلي لاجزءي ولا من قبل الهبطي لان هذا منفي ليس بموجود ولا يصح وجوده. ثم قال:

وقول المعترض ان في كلام الخروبي تناقضا حيث اتى بكلام ذلك العالم فان من يستحيل كونه مفهومه كلي الى اخره يقال لهذا المعترض من يستحيل كونه مفهومه كلي وله مصدوق جزئي وهو معبود الكافر بحسب وصفه المدعي باطلا فان كونه مستحقا لان يعبد مستحيل وهكذا كلام الخروبي له مفهوم كلي ومصدوق جزئي فلم تثبت في كلام هذا العالم رعاية المفهوم حتى صح كلامه وفي كلام الخروبي رعاية المصدوق حتى بطل كلامه ؟» ثم قال:

واما كلام الاستثني فموقع الاعتراض منه قوله ليس فيما ادعاه، يعني الخروبي، كبير ادب بل الادب ان يكون النفي شاملا لكل

الاه يقدر سوى الحق سبحانه الخ فالظاهر منه انه يقول ينبغي للخروبي ان لا يقتصر بالنفي على ما ادعاه المشركون من الالهة الباطلة بل يجعل النفي متوجها اليها والى غيرها من كل ما يقدر سوى الله تعلى، ومبنى الاعتراض عليه انه اراد ان يضم ما وقع عند الخروبي من الجزئيات الخارجة الى كل ما يقدر ليعم النفي فيقع الاعتراض من جهتين. احداهما ان تلك الجزئيات الخارجية موجودة فلا يصح نفيها. الثانية ان في هذا تهافتا لانه قال اولا في اعتراضه على الخروبى ان الجزئيات لا يصح ان تكون مدخولة للا لان مدخول لا انما يكون جنسا كليا فكيف استباح هنا ان تدخل هي وغيرها؛ ولا يصيرها انضمام غيرها اليها كلية بعد اذ كانت جزئية. والجواب عن اليستثني انه ما اراد ادخال المعبودات الجزئية فى النفي من حيث هي كذلك وانما مراده ان الادب هو الخروج عن هذا المسلك وترك الالتفات الى ذوات المعبودات الخارجية وذلك بان يجعل النفي متسلطاً على كل الاه يقدر في الذهن مستحقاً للعبادة غير مولانا جل وعز كما صرح به من غير التفات الى ما ادعي في الخارج وما لم يدع. ثم قال:

وأما كلام الهبطي فموقع الاعتراض منه هو قوله ان معبودات الكفار لا دخل لها في النفي، فان القول بذلك يقتضي انها مسلمة متروكة لم يتعرض لابطالها وان الكفار لم يقع الرد عليهم فهم مقرون على عبادتها واعتقاد الوهيتها مع ان مدلول هذه الكلمة من ابطال كل الاه سوى الله

تعلى واثبات الالوهية لله تعلى مما علم من الدين ضروة. ومحمل كلامه عندنا وجهان. احدهما انها من حيث ذواتها اي الحجر والشجر والفلك والنار وغير ذلك لا تنفى، وهذا لا اشكال فيه ويوافق الخصوم عليه اذ لااشكال ان الاجرام وكذا الاعراض لا دخل لها في مستحق العبادة المنفي فى كلمة الاخلاص. الثاني انها من حيث وصفها اي كونها ءالهة باطلة لاتستحق ان تعبد ولا ان يتقرب اليها ولا بها لاتنفى ايضا. وهذا ايضا صحيح لاشك فيه لان هذا الوصف اعني كونها ءالهة باطلة لاتضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع موجود لها قائم بها كما هو موجود في اذهان الموحدين العارفين فلم يصح تسلط النفي عليه من جهتين. احداهما انه موجود وكما لا يصح نفي الذوات الموجودة كذات الصنم لايصح نفي وصفه الموجود له ككونه معبودا بغير حق وفتنة ومضلة ووبالا. الثانية ان المنفي في كلمة الاخلاص هو المثبت بالا لما بعدها فلو كان المنفى هو الالوهية الباطلة الموجودة في الخارج لكان ذلك هو المثبت لله تعلى عن ذلك علوا كبيرا، ولما علم علم اليقين ان المثبت لله تعلى انما هو الالوهية الحقية علم انها هي المنفية عن غيره لا الباطلة.

مناظرة العلامة محمد بن عبد القادر الفاسي

للملا ابراهيم بن حسن الشهرزوري في

تحقيق الالقاء في الامنية

ورد على فاس من المدينة المنورة رسالة الملا المذكور سماها اللمعة

السنية في تحقيق الالقاء في الامنية مضمنها الكلام على ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم قال افرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقد جنح الى صحة الحديث المذكور وابقائه على ظاهره من ان الناطق بذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم. فتصدى له العلامة محمد بن عبد القادر الفاسي وكتب رسالة في نقض اقواله ولم يرجع الملا ابراهيم عن رأيه بل كتب رسالة اخرى مؤيدا له فاكتفى علامتنا الفاسي بان علق كلمات مفيدة على مواضع الخطأ منها ونحن نكتفي من هذه الرسائل كلها بالرسالة الثانية اذ سياقها كلها فيه طول. وقد تصرفنا فيها بحذف يسير قصد الاختصار. وهي هذه:

اما الخبر من حيث النقل فقال في الشفا: هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون والمولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب روايته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول انه في الصلاة وءاخر يقول في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وءاخر يقول قالها وقد اصابته سنة وءاخر يقول بل حدث نفسه بها وءاخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم

لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وءاخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الروايات. ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فيما احسب، الشك في الحديث، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة. قال ابو بكر البزار: هذا الحديث لانعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية ابن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس. فقد بين ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه من وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه. واما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله. والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انتهى كلام صاحب الشفا.

وقال الشيخ ابو حيان في تفسير قوله تعلى «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي» الاية: وذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري

فمن قبلهما ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المومنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله وسلامه عليه واطالوا في ذلك وفى تقريره سؤالا وجوابا وهي قضية سئل عنها الامام محمد بن اسحاق جامع السيرة النبوية فقال: هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك كتابا. وقال الامام الحافظ ابو بكر احمد بن حسن البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال ما معناه: ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه. والعجب من نقل هذا وهم يتلون فى كتاب الله «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» وقال تعلى ءامرا لنبيه «قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» وقال تعلى: «ولو تقول علينا بعض الاقاويل» الآية وقال تعلى: «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم» الآية فالتثبيت واقع والقرابة منفية. وقال تعلى: «سنقرئك فلا تنسى» وهذه نصوص تشهد بعصمته. انتهى الغرض من كلام ابي حيان

وقد تحصل ان القصة ليس لها سند صحيح اذ من شروط الصحة الاتصال وعدم الشذوذ وطرقها دائرة بين الشذوذ والانقطاع والارسال، فلهذا قال الحافظ ابن حجر بعد ايراده طرقا منها طريق البزار وطريق ابن مردويه وغيرهما: وكلها سوى طريق سعيد بن جبير اما ضعيف واما منقطع.

وأما قوله، اعني ابن حجر، باثر هذا: لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا مع ان لها طريقين اخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح وكذا قوله بعد هذا ردا على عياض: وجميع ذلك، اي ما قاله عياض، لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل وكذا من لا يحتج بها لاعتضاد بعضها ببعض واذا تقرر هذا تعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر، فقد يقال على قوله دل ذلك على ان لها اصلا: هذه الدلالة غير قطعية وهي معارضة بظواهر الآيات الدالة على امتناع حمل القضية على ظاهرها والظواهر الكثيرة ربما افادت القطع. سلمنا الدلالة على ان لها اصلا ولكن يكفي في ذلك المقدار الذي يوافق ما ثبت في الصحيح او المقدار الذى اتفقت عليه الروايات مما يقرب تاويله ولا يقدح في العصمة اذ لا يلزم ان تكون جميع الزيادات وجميع الروايات او اكثرها مقبولة ثابتة لا سيما ان تعذر الجمع او التاويل على وجه لا يقدح في منصب النبوءة. هذا وعلى فرض صحة السند واتصاله فهو خبر آحاد غايته افادة الظن فلا يهدم ما علم يقينا من العصمة اذ الظني لا يعارض القطعي فما امكن تاويله على وجه لائق بمنصب النبوءة قبل وما تعذر تاويله لم يقبل.

هذا ما يتعلق بالحديث من حيث النقل واما ما يلزم على ابقائه على

ظاهره كما قرره الملا ابراهيم في رسالته من ان الناطق بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بسبب انه التبس عليه القاء الشيطان بالقاء الملك ابتلاء فامور؛ منها تسور الشيطان وتسلطه عليه ولاسيما في مثل هذا من امور الوحي والتبليغ الاعتقاد وقد قال تعلى: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان» وقال تعلى: «انه ليس له سلطان على الذين ءامنوا» الآية. ومنها زيادته صلى الله عليه وسلم في القرءان ما ليس منه وعلى هذا الوجه اقتصر الحافظ ابن حجر في منع الحمل على الظاهر. ومنها اعتقاد النبي ما ليس من القرءان انه منه مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج المدح بالذم وهو خطأ شنيع لا ينبغي ان يستاهل في نسبته اليه صلى الله عليه وسلم. ومنها انه اما ان يكون عند نطقه بذلك معتقدا ما اعتقدوه من ذكر ءالهتهم ومدحها بهذه الكلمات وهو كفر ومحال في حقه صلى الله عليه وسلم واما ان يكون معتقدا معنى ءاخر مخالفاً لما اعتقدوه ومباينا لظاهر العبارة ولم يبينه لهم مع فرحهم وادعائهم انه مدح آلهتهم فيكون مقراً لهم على الباطل وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يقر على الباطل. ومنها كونه اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه الملك وهذا يقتضى انه على غير بصيرة فيما يوحى اليه ويقتضي ايضا انه يجوز تصور الشيطان بصورة الملك ملبساً على النبي والذي ينبغي اعتماده انه على بصيرة فيما يأتيه عن الله وانه يعلم يقينا ان المخاطب له ملك لا شيطان. ومنها التقول على الله اما عمدا او خطأ او سهوا وكل ذلك محال في حقه. ومنها

الاخلال بالوثوق بالقرءان فلا يومن فيه التبديل والتغيير فقد قال تعلى: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» وقال: «وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

وقد اردنا ان نجاري بعض الفاظ تلك الرسالة المسماة باللمعة السنية واخترنا الكلام الاخير منها لانه جامع لمقصودها ومحصل لخلاصة ما سبق منها بقوله: والمقصود ان نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات عن القاء الشيطان الملبس بالقاء الملك ابتلاء من الله تعلى، لاينافي عصمته. نقول عليه كيف لاينافي عصمته وادخاله اياه في السورة وتلاوته منزل منزلة قوله هذا: وحي من الله، هذا قرءان، هذا حق، وانتم ايها المكلفون مامورون بتلاوته وباعتقاداته من القرءان وباعتقاد معناه وكلها قضايا كاذبة والعصمة تنافي الكذب على اي وجه كان. ثم قال: ولا يعارض الآيات المذكورة، يعني اية «وماينطق عن الهوى» واية «ولولا ان ثبتناك» واية ولو تقول علينا» لان نطقه بذلك كان عن القاء ملبس وكلما كان النطق بها تابعا للالقاء لم يكن ذلك نطقا عن الهوى ولا تقولا على الله ولا ركونا اليهم شيئا قليلا لان شيئا من ذلك لا يتأتى الا اذا كان النطق عن اختيار منه ابتداء من غير تابعية الالقاء الملبس عليه واللازم باطل لدلالة صريح الآية على ان النطق بها كان عن تبعية لذلك الالقاء لا عن اختيار منه فكذا الملزوم فلا نطق عن الهوى ولا تقول على الله وركونا اليهم شيئا قليلا حاشاه من ذلك. ونحن نقول: سلمنا ان النطق

التابع للالقاء لا ملازمة بينه وبين النطق عن الهوى ولكن المتبادر من الآية ولحن الخطاب نفي النطق بالباطل سواء كان موجبه هوى او القاء شيطانيا او غيره والآية ان لم تدل على هذا المعنى منطوقا فقد دلت عليه بمفهوم المساواة ويؤيد ذلك ويعضده الحصر الذى في قوله «ان هو الا وحي يوحى» اي ما نطقه في امور الدين الا وحي لا غيره وهذا ليس بوحي قطعا او ان هو اي القرءان الا وحي فاذن لا ينطق الا بالوحي ولا يتلو الا ماهو وحي. واما آية «ولو تقول علينا» فسياقها باثر ادعائهم فيه الكهانة يوذن بان الكاهن المتبع لما يلقيه الجني متقول على الله فلا يصح ان يقال كل من اتبع ما القى اليه لم يكن متقولا على الله. واما آية «ولولا ان ثبتناك» فانها تقتضي التثبيت ونفي مقاربة الركون اليهم واذا وافقهم على مدح آلهتهم فاي ركون اعظم منه ولاسيما على ما في بعض الروايات من انه تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه او انه تمنى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم. والاختيار وان لم يوجد اولا فقد وجد ثانيا وكونه صادرا عن القاء الشيطان لا يدفع الاختيار ولا يكون عذرا لانه اتباع للباطل فقولكم ان شيئا من ذلك لا يتأتى الا اذا كان النطق عن اختيار ممنوع.

واما دلالة الاية على ان الشيطان القى في الامنية فلا يتعين لهذا الغرض قال ابو حيان: وهذه الآية ليس فيها اسناد شيء الى النبي صلى الله عليه وسلم انما تضمنت حال من كان قبله من الانبياء اذا تمنوا. لكن

كلامه مبني على ان القصة باطلة، واما على ان لها اصلا وانها نزلت في ذلك فقد ذكروا تاويلات : منها ان ذلك نطق به المشركون تخليطاً على عادتهم في قولهم: «لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه» ونسب للشيطان لكونه الحامل لهم او المراد شيطان الانس او نطق بها الشيطان في سكتة من سكتاته صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك. ثم قال:

واذا تقرر هذا ظهر ان تعبير الالقاء بمحاكاة الشيطان نغمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائه تلك الكلمات في اسماع الحاضرين تفسير بخلاف لواقع. نقول: لانسلم انه تفسير بخلاف الواقع لماقررناه من امتناع الحمل على الظاهر وعدم قبول ما يعين الحمل عليه. نعم هذا تفسير بخلاف الظاهر من اللفظ وذكر على سبيل الاحتمال لا الجزم والله اعلم بالواقع.

(ب) في الادب

مناظرة مالك بن المرحل

لابن ابي الربيع النحوي ، في كان ماذا

وقعت هذه اللفظة في شعر مالك بن المرحل فانكرها ابن ابي الربيع وقال: الصواب ما ذا كان فقال مالك:

عاب قوم كان ماذا ليت شعري لم هذا؟

واذا عابوه جهلا دون علم كان ماذا؟

وكثر النزاع بينهما والف كل في المسألة منتصرا لرأيه. وكان

الذي الفه مالك كتابا سماه الرمي بالحصى والضرب بالعصا وجزأه ثلاثة اجزاء. ولم نقف على شيء مما كتب ابن ابي الربيع. ودونك فصلا مما كتبه ابن المرحل فيما يشهد لاثبات كان ماذا من الجزء الاول مع اختصار وتصرف في بعض الالفاظ لمزيد الايضاح.

ايها القائل:

كان ماذا ليتها عدم جنبوها قربها ندم
ليتني يامال، الم ارها انها كالنار تضطرم

يقول لك مالك: لابد لك ان تصيح من تحت على طبق: ان كان ماذا؟ «ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون»

الى كم تقيد في كان ماذا تقييدا بعد تقييد؟ لقد حصلت منها في امر شديد. الى كم تعيد فيها وتبدي، وتنظم وتنشيء؟ غرك احتمالي لقدحك ومزحك، وصبري على الم جرحك، حتى قلت:

مالجرح بميت ايلام

انتهزت الفرصة في اذاية صبور، ودلاك حلمه بغرور، حتى قلت:

كل حلم اتى بغير احتمال حجة لاجيء اليها اللئام

تالله لقد ذهبت الاولى لاتذهب الآخرة، ولم تكن الفاقرة تتبعها الفاقرة ولكن اغضيت على القذى، وصبرت على الاذى، حتى قيل لو قدر لانتصر. واتصل الامر فصار ديدنا فلا جرم ان اتعقب كلامك، فالفت

عليك لامك، فاقول وانما اخاطب من سمع خطابي، ونظر في كتابي:

اعلم اعزك الله ان هذا الرجل المشار اليه هو الذي اثار نار كان ماذا التي احرقته حتى صاح: ليتني يامال لم ارها. البيت، وذلك انه سمع رجلا ينشدلي قصيدة في محل كريم جمعني واياه وكان فيها:

واذا عشقت يكون ماذا؟ هل له دين علي فيغتدي ويروح؟

فقال: لحن هذا الناظم لا يقال كان ماذا ولا يكون ماذا ولا فعل ماذا ولا ماذا ولا يجوز افعل ما كان على هذه الطريقة ولا سمع. فاستشهدت عليه ببيت الجارية وهو

فعاتبوه فذاب شوقا ومات عشقا فكان ماذا؟

وبقول الشاعر:

فعدك قد ملكت الارض طرا ودان لك العباد فكان ماذا؟

فقال: هذا لحن ولا يحتج بمثل هذا. فقلت له: ايراد العلماء لهذا الشعر وقبولهم له حجة على جوازه. وهذا كثير. ذكر ابو علي البغدادي في الذيل من النوادر: انبأنا الزبير حدثنا اخي هارون بسنده عن وهب بن مسلم عن ابيه قال دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق فمررنا بسعيد بن المسيب فسلمنا عليه فرد ثم قال ياأباسعيد من اشعر أصاحبنا ام صاحبكم؟ يريد عمر ابن ابي ربيعة وقيس الرقيات. فقال له ابن مساحق حين يقولان ما ذا؟ قال حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطايا كاننا نراها على الادبار بالقوم تنكص

الابيات. ويقول صاحبكم ماذا؟[1] فقال له وهب: صاحبكم اشعر بالغزل وصاحبنا اكثر افانين شعر فلما انقضى ما بينهما استغفر سعيد مائة مرة يعد بالخمس.

قال المملوك: رضي الله عن سعيد بن المسيب لم يزد على ان فاوض صاحبه في مباح لم يجر في كلامه فحش ولاغيبة مسلم ثم استغفر الله مائة مرة هكذا هكذا والا فلا لا.

اين هذا من الذي قيد فيه؟ وكم فيهم من فقيه سوء خبيث كثير الاذى والمضرة يعيب ويغتاب من غاب عنه الفا ويستغفر الله مرة.

وحكى ابو علي قال: قرع باب ابن الرقاع فخرجت بنية له صغيرة فقالت من هاهنا فقالوا نحن الشعراء قالت وتريدون ماذا؟ قالوا نهاجي اباك فقالت تجمعتم من كل اوب ووجهة على واحد، لازلتم قرن واحد. قال: فاستحيوا ورجعوا.

قال المملوك. وكذلك حالي الان بسبتة اجتمع كل من فيها من اصحاب هذا الرجل واهل بلده للنقد علي ولم يبلغوا ان يكونوا قرن واحد، والله المستعان.

واستشهدت بحكاية اخرى اخرجها ايضا في الذيل اولها لما اراد معاوية البيعة ليزيد كتب الى مروان وهو وال على المدينة، وفي الحكاية او

(1) الذي بالتتمة المطبوعة من الذيل والنوادر: ويقول صاحبكم ما شاء.

تفعل كما فعل ابو بكر قال فعل ماذا؟ وفيها او تفعل كما فعل عمر فقال فعل ماذا؟ وبحكاية اخرى اخرجها ابن ظفر في كتابه انباء نجباء الابناء اولها بلغني انه لما ولد لعبد الله بن جعفر ولده معاوية وكان لام ولد والحكاية طويلة وفيها من كلام خالد بن يزيد بن معاوية يخاطب عبد الملك ابن مروان بلغني ان الحجاج تزوج الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم فغضب عبد الملك وقال كان ماذا؟ ولم لا يكون الحجاج كفؤا لها قال خالد يا أمير المومنين انى لم ارد ذلك ولكنه تعلم انه لم يكن بين بيتين من بيوت قريش ما كان بيننا وبين آل الزبير، يعني من العداوة، فلما تزوجت اليهم انقلب ذلك البغض حبا. واستشهدت له بشواهد من هذا النوع وانما كان غرضي ان اثبت ان هذا النوع من الكلام قد قيل وانه فصيح ولم اتعرض الى انه على الاتصال ولا على التقديم والتاخير ولا على الانقطاع فتمادى على الانكار. وقال: لا يحتج بابي غلي البغدادي فلم يكن من اهل الصناعة ولا بابن ظفر. وانما يحتج باهل صناعة العربية. فاستشهدت له بحكاية اخرى اخرجها العالم الجليل ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى حيث قال:

يادار اقفر رسمها بين المحصب والمجون

وفي آخر الحكاية فكان ماذا؟. واستشهدت بحكاية اخرى اخرجها ابن قتيبة في عيون الاخبار قال: مر اعرابي بمؤذن وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله بنصب رسول الله فقال الاعرابي: ويحك يفعل ماذا؟ وبحكاية

اخرى من الكتاب المذكور قال: وصعد اليربوعي فخطب وقال اما بعد فاني والله ماادري ما اقول ولا فيم اقمتموني، اقول ماذا؟ فقال بعضهم قل في الزيت فقال الزيت مبارك فكلوا منه وادهنوا. وبحكاية اخرى منه قدم ابن جامع مكة بخير كثير فقال ابن عيينة: علام يعطي الملوك هذا الغلام هذه الاموال ويحبونه هذا الحباء؟ قالوا يغنيهم قال يقول ماذا؟ فهذان رجلان من ائمة العلماء وصناعة العربية قد حكيا في تاليفيهما المشهورين هذه الالفاظ. واستشهدت بحكاية اخرى اخرجها العالم ابوبكر الزبيري وهو من ائمة العربية في تاريخ النحويين واللغويين. حدث بسنده عن العجوي قال: كان ثعلب من الحفظ والعلم وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين، على ما ليس عليه احد. وفي الحكاية من كلام ثعلب لصهره اذا رءاك الناس تذهب الى هذا الرجل تقرأ عليه يقولون ماذا؟

قال المملوك فلما بلغه ذلك قال: لايتنزل نطقهم بهذه الالفاظ منزلة نقلهم. قلت فيظهر من قولك ايها الرجل ان الزبيري وابن قتيبة وثعلب وابا الفرج الاصبهاني وغيرهم كانوا لحانين ايضا، فالحمد لله استوى الماء والخشبة ولا عار على من لحن مع هؤلاء. ثم اوقفته على كتاب الفه ابو علي الرندي المالقي في شرح الجمل وهو بايدي الناس وقد تكلم على ماذا فقال: ومن حكم ما مع ذا ان الالف لاتحذف منها وان دخل عليها حرف الجر فتقول بما ذا جئت؟ وعما ذا سألت؟ ومن حكمها انها يعمل فيها

ما قبلها وان كانت استفهاما ثم قال :ويقوي ذلك حديث ام حبيبة حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك في بنت ابي سفيان فقال اضع ماذا؟ انتهى كلامه.

قال المملوك: وخرج هذا الحديث في كتاب البخاري ومسلم والنساءي وابي داود وابن ابي خيثمة. فلما وقف على الجملة اكبرها واعظمها ورأى ان الحديث المذكور تمخضت عنه بطون الامهات الكبار، ودارت عليه كتائب من كتب الائمة الاخيار، بين سمر القنا وبيض الشفار، فحصل في امر عظيم، ووقع في مقعد مقيم، ثم نظر فرأى ان الطرق كلها تجتمع في هشام بن عروة ابن الزبير رضي الله عنه فقال هذا نقله بالمعنى وقد لحن فيه فقيل له ولم تقول ذلك؟ قال: اني لاأراه يحسن ادوات النقل وكانت امه امة وانفرد بنقل هذا اللفظ الذي لايوجد في كلام العرب. فنقل الطلبة كلامه، وأكبروا جرأته واقدامه، فامر بالتقييد في ذلك ليوقف على كلامه فاضطر الى القول بجواز ذلك وقال: اما افعل ماذا اذا ورد في كلام فصيح فيجوز على ان تكون ما ذا منقطعة من افعل ويكون التقدير ماذا تريد ومشى في تقييده على ذلك. ثم تكلم في بيت الجارية فقال رأيت ابن طاهر قد قال انه على الانقطاع. فظهر من كلام هذا الرجل انه لم يكن عنده علم من الحديث ولا من بيت الجارية ولا ان ذلك جائز حتى وقف على كلام ابن طاهر في بيت الجارية بعد وقوع النازلة فمن هناك تدلى وقال ان الحديث يجوز على الانقطاع. ومع هذا فلم ينزل مصمماً

على قوله الاول ان الحديث منقول بالمعنى وان ذلك لحن فيه فانه اورد في تقييده ان النقل بالمعنى جائز، وهذا الذي ذكر لا ينازع فيه انما ينازع في انه لحن، وقد جرى كلامه في هشام بن عروة رضي الله عنه في تقييده فاشار في موضع منه انه كان ابن امة وان اللحن طرأ عليه من قبلها فقال: روي عن ابن ابي عتيق قال تحدثت انا والقاسم عند عائشة وكان القاسم رجلا لحانا وكان لام ولد فانكرت عليه عائشة ثم قالت: اما انى قد علمت من اين اتيت هذا ادبته وانت ادبتك امك. قلت: فهذه اشارة الى ان هشاما كان كذلك الى ما صرح به في مجالسه وهذا الذي نقل عن ابن ابي عتيق رضي الله عنه لم يعن به اللحن الذي هو فساد الاعراب وانما عنى به اخراج الحروف من غير مخارجها ونحو ذلك. كما حكي ان اعرابيا قال لعمر رضي الله عنه ايضحى بضبي؟ فقال له عمر انما يقال ايضحى بظبي فقال له الاعرابي كذلك نقول او هي لغتنا وايضا فان القاسم كان صغيرا وعائشة هي ام المومنين وانما قصدت بقولها التعليم والتاديب وليس له ان يقول في هشام بن عروة كما قال ابن ابي عتيق في القاسم ولا ان ينزل نفسه منزلته في هذا القول.

قلت: وأشار في موضع آخر الى انه كان قليل المعرفة باللسان قال: ومما يستحق الراوي ان تكون عنده جملة صالحة من اللسان حتى لا يتوحش من شيء سمع منه واذا رأى منكرا نفر منه ولا بد ان يتقن جهات الاعراب وابنية الاسماء والافعال. ثم نقل فصلا عن الاصمعي ان اخوف

ما اخاف على طالب الحديث اذا لم يعرف اللحن ان يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه عليه السلام لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت. قلت: وهذه اشارة اخرى الى ان هشاما لم يكن يحسن من ذلك شيئا بحيث انه دخل بمقتضى قوله في الجملة التي تلحن فتكذب فتتبوأ مقعدها من النار. قلت: وكذلك اشار في موضع آخر الى تضعيفه فقال: ان من المحدثين من يكتب حديثه ولا يحتج به. قلت: هذا صحيح في غير هشام بن عروة. قال بعض من تكلم في الرجال: ابو الحصين عبيد الله القداح ليس بالقوي يكتب مكى ضعيف مولى لبعض اهلها. وقال ابن ابي حاتم سالت ابي عن عبيد الله القداح فقال ليس بالقوي يكتب حديثه. واما هشام بن عروة فمعاذ الله ان يكون من هؤلاء. وهذه نبذة من اخباره وماقيل فيه رضي الله عنه (وذكرها) ثم قال:

فاما قوله وقد انفرد بهذه اللفظة التي لا توجد في كلام العرب فباطل قد جاء في حديث آخر ما يشبه هذا، اخرج الامام ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه صفوة الصفوة عن ابن سعيد عن مسلم عن ابراهيم عن هشام الدستوائي عن عطاء بن السائب قال لما استخلف ابو بكر اصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته اثواب ليتجر بها فلقيه عمر وابو عبيدة فقالا له الى اين تريد ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين؟ قال فمن اين يطعم

عيالي ؟ قال انطلق حتى نفرض لك شيئا فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شاة وماكسوه في الرأس والبطن. وخرج ابو داود في كتابه قال: نا موسى بن اسماعيل قال نا وهب قال نا داود عن عامر عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هذاالدين عزيزا الى اثنى عشر خليفة قال فبكى الناس وضجوا ثم قال كلمة خفية فقلت لابي ما قال ؟ قال كلهم من قريش. حدثنا ابن نفيل قال نا زهير قال نا زياد بن خيثمة قال حدثني الاسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة بهذا الحديث زاد: فلما رجع الى منزله اتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا؟ قال ثم يكون الهرج. قلت فقد اشترك هشام بن عروة مع غيره في رواية هذا النوع من الكلام لافرق بين افعل ماذا وتصنع ماذا وثم يكون ماذا. فلينظر في هؤلاء الرواة كما نظر في غيرهم وليبحث فلعل فيهم ابن امة فيكون الحديث لحنا على مذهبه ولعل فيهم مثل عبيد الله القداح اعوذ بالله من الجهل والضلال. قلت : ثم ان هذا الرجل لما قهرته الادلة، ووقف موقف الهوان والذلة، احتاج الى المطالعة فوقف على كلام ابن طاهر في بيت الجارية كما ذكر وعلى كلام غيره واضطر الى التقييد في ذلك. فقال وهو يمشي الضراء ويقف وراء وراء : انما انكرت ان يكون ما قبل ماذا عاملا فيها قال وقد تبين بما لاخفاء معه ان افعل ماذا ليس على تقدير ماذا افعل، وان ماذا منقطعة من افعل. لكن بقي ذكر المعاني التي يأتي عليها الكلام فاقول: يظهر لي في افعل ماذا

اذا ورد في كلام العرب انه يكون على ستة اوجه؛ احدها ان تاتي بافعل لتعلم مخاطبك بالموافقة ثم تقول ماذا اي ماذا تريد قلت واذا اردت ان تخرج البيت على هذا الوجه كأن العاذل قال له اذا عشقت يكون كذا ويكون كذا فعدد له ما يطرأ عليه من المحن فى الهوى فيقول موافقا له: واذا عشقت يكون اي يكون ما قلت ثم يقول ماذا؟ اي ماذا يكون علي؟ الوجه الثاني ان تقول افعل وتسكت على وجه التذكر ثم تقول ماذا؟ الوجه الثالث ان تقول افعل على جهة الانكار وتمثل بقول ام حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انا لنتحدث انك تريد ان تنكح درة بنت ابي سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ام سلمة؟ الوجه الرابع ان تقول افعل وتحذف المفعول تعظيما للامر وتهويلا. الوجه الخامس ان تقول افعل وتحذف المفعول لان الذي بعد ذا يبينه. الوجه السادس ان يكون انتقالا من كلام الى كلام. ثم قال:

واذا جاء افعل ماذا ويفعل ماذا فقد يكون على وجه آخر غير الوجوه المذكورة وهو ان يكون المفعول محذوفا كما تقول لانسان يقول لك افعل معي ما فعل فلان فتقول فعل! اي ادري انه فعل شيئا ولكني لا أعينه ثم تسأله عن تعيينه لتنظر في ذلك. ثم قال: وقد يكون على ان تذكر فعل لتحقق ما يقال ومثال ذلك ان يقول قائل زيد ضرب فتقول ضرب! على معنى اقلت ضرب؟ ثم قال: فاذا تتبع كلام العرب ومقاصدها في كلامها فيوجد اكثر مما ذكر. قال المملوك: انظر كيف قال اولا انه يكون

على ستة اوجه ثم انه زاد وجهين بعد الحصر في ستة اوجه ثم قال واذا تتبع كلام العرب ومقاصدها في كلامها فيوجد اكثر مما ذكر، فقد صار المنحصر لاينحصر. ثم قال بعد ذلك: ويمكن ان تجعل ما بمنزلة الذي وذا خبر لمبتدا محذوف ويكون بمنزلة قوله تعلى «تماما على الذي احسن» على قراءة من قرأ احسن بالرفع، وذا اشارة والتقدير افعل الذي هو هذا. ثم قال: ويمكن ان تجعل ذا بمنزلة الذي وتكون الصلة محذوفة على حسب قوله:

وكفيت جانبها الينا والتي

قلت: انظر كيف زاد بعد قوله ان الوجوه لاتنحصر وجهين آخرين وهذا كله من قلة التحصيل. ثم انه كر على بيت الجارية فقال: واذا نظرت الى الوجوه التي ذكرت بدا لك في بيت الجارية غير ذلك فاخرج بيت الجارية عن الجواز على تلك الوجوه وضعف الوجه الذي ذكره ابن طاهر وقال انه ضعيف ومعنى سخيف لانه خال عن رشاقة عار عن لباقة في كلام له مفقر بارد تركته ثم قال: واما البيت الذي وقع فيه الكلام، وزلت بسببه الاقدام، فلا يشبه بيت الجارية لانه قال: واذا عشقت يكون ما ذا فاذا وقف على يكون وهو قد جعله جوابا لاذا لانها لاتخلو من الشرط فقد جعل جملة الجواب لاتفيد الا ما افادت جملة الشرط. قلت: هذا اعتراض بليد لم يفهم من البيت الا ما وقع في اذنيه فان الرجل لايحسن في الادب شيئا ولا يحسن اغراض الشعراء ولا ما جرى عليه

عملهم حتى يفهم . هذا قول حبيب :

اجب ايها الربع الذي انا سائله

فانه ينظر فلا يرى كلاما متقدما ولا يسمع قول مخاطب يكون هذا جوابه فيظن ان الشاعر مجنون. قلت: وانا بعون الله ابين للمبتدئين كيف يخرج البيت الذي فيه الكلام عند اهل الصناعة العربية وذلك ان فيه:

حق وان جعل النصيح يصيح اناعاشق، هذا الحديث صحيح

واذا عشقت يكون ماذا هل له دين علي فيغتدي ويروح ؟

فكأن الناصح عنفه على العشق وعذله، وقال له انت عاشق وجعل يصيح وينظر ويسمع فقال حق انا عاشق، هذا الحديث صحيح، ثم قال واذا عشقت يكون العشق كما تقول وماذا علي فيه ؟ ويدل على ذلك بعد هذا :

فيه قضاء ؟ لا ولا كفارة فارح فؤادي ان قولك ريح

فقد تبين المعنى وظهر وجه التقرير والاعراب على الطريقة في صناعة العربية وصار يكون جوابا لاذا على رغم من انكره فان المنكر بعيد من فهم الشعر ومن قوله على انه قد تكتب وتكلف الشعر بالعروض على ما تقف عليه ان شاء الله. فان قيل لي هذا مذهبك في البيت قلت نعم! ويمكن تخريجه على اكثر الوجوه التي فسرها هذا الرجل، بعد تحصيل الفهم لماقبل البيت كما ذكرت لك ولا يبعد عندي التقديم والتاخير من غير عمل كما ابين للمبتدي ان شاء الله وذلك انك تقول ماذا افعله ؟ ثم تحذف

الضمير فتقول ماذا افعل ؟ ثم تقلب فتقول افعل ماذا؟ ويتبين لك في اي تقول اي شيء افعله؟ ثم تقول اي شيء افعل؟ برفع اي ثم تقول افعل اي شيء؟ بالرفع فكذلك التقدير في يكون ماذا! والتقديم والتاخير في الكلام كثير ومن ذلك قوله تعلى : «اني لكما لمن الناصحين» على احد القولين وقول الشاعر :

افعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟

على احدهما.

وهذا الكلام مقتضب وانما هو تذكير للعالم وتنبيه للنائم والله الموفق

واما حديث النبي صلى الله عليه وسلم اعني حديث ام حبيبة فالتقديم والتاخير عندي فيه هو الصواب لان غير ذلك يبدل معناه ويخرجه عن ظاهره ويطمس حسنه ونور فصاحته. واما سائر ما تقدم فمما يستوي فيه النظر.

قال المملوك: ونظير البيت المذكور قول عمر رضي الله عنه للاعرابي الذي انشده:

يا عمر الخير رزقت الجنه اكس بناتي وامهنه

وكن لنا من الزمان جنه اقسم بالله لتفعلنه

فقال له عمر فان لم افعل يكون ماذا؟ فقال الاعرابي:

اذن ابا حفص لا ذهبنه

فقال له عمر واذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال الاعرابي :

يكون عن حالي لتسألنه يوم تكون الاعطيات هنه
وموقف السؤال ينتهنه اما الى نار واما جنـــه

قال فبكى عمر حتى اخضل لحيته ودعا بقميص فدفعه اليه وقال خذهذا لاهوال ذلك اليوم لا للشعر. والحكاية رواها ابو علي البغدادي.

والبيت الثاني الذي تقدم وهو :

فعدك قد ملكت الارض طرا ودان لك العباد فكان ما ذا؟

وقع في حكاية اوردها ائمة الادباء في كتبهم قال جعفر بن القاسم الامير بالبصرة : اني لفي الجامع الاعظم بالبصرة ومعي جماعة يعظونني اذوقف علي بعض المجانين فقال :

فعدك قد ملكت الارض طرا ودان لك العباد فكان ماذا؟
الست تصير في لحد ويحوي تراثك بعد ، هذا ثم هذا؟

وينسبان ايضا لبهلول يقولهما لبعض الخلفاء العباسيين وقد لقيه في بعض الطرق. ويروى البيت الاخير :

الست تصير في لحد ويحثو عليك الترب، هذا ثم هذا؟

ورايت في كتاب ابن ظفر ان هشام بن المغيرة كان بينه وبين العاصي ابن وائل بنوة وكان ابو جهل بن هشام حديث السن معجبا بنفسه حديدا فمر بالعاصي بن وائل وهو في نادي قومه وابنه عمرو بن العاص بين يديه وهو طفل فقال ابو جهل كلاماً يتهدده به فلم يجبه العاصي بشيء فقال عمرو لابيه مالك لاتجيبه؟ قال اقول ماذا؟ قال تقول اذا كنت

يومك ذا عاجزا مهينا فانت غدا اعجز، ولو كنت تعقل الهاك عن وعيدك ذا ما به تنبز، فاستطير العاصي سرورا وقال انت ابني حقا وكان قبل ذلك يفضل غيره من ولده عليه.

قلت: والحكايات والاشعار التي وقعت فيها كان ماذا ويكون ماذا ونحو ذلك كثيرة وانما اعود الى ايرادها لعلمي انه متماد على انكاره وانما احتاج الى القول بالجواز في تقييده على الوجوه التي ذكر للضرورة وما زال عن قوله ان ذلك لحن ولا يزول ابدا.

مناظرة اليوسي والمرابط

قال اليوسي: ومما اتفق لي اني كنت قدمت في اعوام الستين والف من رحلتي في طلب العلم وكنت اذ ذاك شابا فدخلت الزاوية البكرية فوجدت شيخنا ابا عبد الله المرابط رحمه الله قد جمع خطبا وعظية وتقدم الى اهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقريظا فكتب كل ما قدر له من نثر او نظم فلما رأيت ذلك كتبت انا ايضا فوقع في مكتوبي لفظ القطائف اللطائف فاعترض علي ورام تبكيتي وقال انا لانعرف القطائف الا هذه المفروشات فقلت له ان القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة فقال هو صحيح في اللغة ولكن الادباء لهم الاختيار وعندهم الفاظ يستعملونها مخصوصة فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة فقلت حينئذ هذا ابو محمد الحريري يقول في مقاماته:

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على ان منعتم في اقتطاف القطائف
على ان ما زودتم من فكاهة الذ من الحلوى لدى كل عارف

فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة.

مناظرة ابن الطيب العلمي لبعض المناسيين

نظم ابن الطيب العلمي قصيدة في رثاء الشيخ سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف وقع فيها هذا البيت:

ان تمت يا محمد اليوم لا تعتب فمن قبل ماتت الانبياء

فانكر عليه بعض المكناسين لفظة العتب وقال انها في هذا المحل من الخطإ الصراح فكتب اليه ابن الطيب:

اما بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقد بلغني انك طالعت قصيدتي العديمة النظير، الفائقة الدر النثير، والروض النضير، المنظومة على الارتجال، بشهادة عدة من الرجال، فانكرت كلمة العتب من ذلك البيت، الموضوع لتسلية الميت، وانى اقول لو تزودت شيئا من المعقول، او طرفاً من المنقول، لتأملت قبل ان تقول، واخترت التسليم لاهل العقول وهب ذلك الخطأ قد كان، وتصور في الامكان، فالانسان لا تومن عثراته ومصائبه، وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وقد ذكرت في ايرادك، المبني على مرادك، اني جعلت الميت ممن لم يرض بالوفاة، ولم يقتد فيه بمن فات، وان ذلك حمله على عتاب من اماته، حيث لم يطل حياته، فنهيته عن ذلك العتاب، بهذا الخطاب، وقد حملتني في ذلك اثما كثيرا، وتعلى

الله عن ذلك علوا كبيرا، قلت: وهذا من البعيد الذي لا يمكن ان يقصد وتاويله لا ينكر ابدا ولا يجحد، وذلك ان قولي لا تعتب اعني على الموت الذي اصاب، فالكل به مصاب، لا على رب الارباب، ومع ذلك فهي هنا مصروفة عن معناها الذي له وضعت، كما وردت في اشعار القوم وسمعت، قال شاعرهم: لا تعتبي يا هند ان مت فكلما حي الى الموت

اخذه من قول الاخر:

دع العتب يا سلمى فان ذقت موتة فهاذا دعاء للبرية شـــامل

وقرينة السياق تنفي ذلك المعنى البعيد، وتعين الوجه الذي اريد، وفي هاذين البيتين، تسهيل مصيبة الحين، لما علم ان الامر اذا كان عام النزول، وكان لازما لا يزول، خف حمله، وهان على الضعفاء حمله، فظهر بهذا انه لا يلزم على هذه الكلمة شيء ولا يترتب، لانه يقال لا تعجب لمن عجب ومن لم يعجب، ولا تعتب لمن عتب ولمن لم يعتب، وقد ظهر لي ان ذاك الوهم، انما اتاك من قلة الفهم، ومن الوقوف مع الحقيقة، ولم تعلم ان المجاز بحر المعاني الدقيقة، على انك شافهتني غير مرة انك استصعبت هذا الفن فملت لما عداه، ومن جهل شيئا كما قيل عاداه، ولو مارست هذا الفن كما مارسناه، وتدارسته كما تدارسناه، لعلمت انه يتعين على من جهله ان لا يتكلم، حتى يتعلم، ولو كان سيبويه او الاعلم، وقد بلغني انك قرأت المطول السعد[1] قراءة تحقيق لا قراءة سرد، فليت شعري

(1) المطول: شرح على التلخيص لسعد الدين التفتزاني في علوم البلاغة

اين انت كما هنالك من البراعات، والكنايات والاستعارات، اكل تلك الالفاظ الرقيقة، على سبيل الحقيقة، اما علمت ان بعض الالفاظ العربية، غلب المجاز عليها حتى صار فيها كالحقيقة العرفية، فلعمري لقد ابعدت جدا، وتعديت حدا، وجئت امرا ادا، وما اراك الا رمت مكانا قصيا وشتان ما بين الثرى والثريا:

علوم الارض لم تصلو اليها فكيف بكم الى علم السماء

واما من اقتدى بك في ذلك، وسلك معك هاتيك المسالك، وتكلف ما ليس في طوقه، فاني اقول في حقى وحقه:

علي جلب اللئالي من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر

رجع الى ان الشيء اذا كان عام النزول، خف حمله على ذوي العقول، ذكرت بهذا المعنى ما كتبه لي بخطه بعض اشياخي على ظهر قصيدة مشتملة على التشكي، والبكاء والتبكي، ونصه: «وبعد فيخفف ما نزل بساحتكم من هذه الحال، العلم بعدم الاختصاص بها من بين الامثال» انتهى موضع الحاجة منه، فانت ترى كيف سهل هذه الواقعة، من حيث كونها جامعة، واما كلمة العتب فجارية في هذا الباب، «وما يذكر الا اولوا الالباب» قال الشاعر:

خليلي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

اخذه من قول الاخر:

وقائلة ماتت سعاد فما ترى؟ فقلت لها ما ان من الموت مهرب
ولو ان غير الموت شيء اصابها عتبت ولكن ما على الموت معتب

واشباه ذلك كثيرة وهذا القدر كاف في الجواب، والله اعلم بالصواب، فان اكتفيت بهذا المقدار، فقد آثرت لي ولك العافية على العار، والا فاحضر جوابا، وافتح للنزال بابا، ورض نفسك على الرهان، وعند الامتحان يعز المرء او يهان

كل من يدعي بما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان

(ج) في السياسة

مناظرة السلطان ابي العالي زيدان بن المنصور الذهبي للشيخ يحيى بن عبد الله الحامي

كان للشيخ المذكور دالة على زيدان بن المنصور بسبب انه اعانه على حرب الثائر ابي محلي وانقاذ مراكش من يده فكان بعد ذلك يراسله وينصحه وكان زيدان يتحمل من ذلك امرا عظيما ويداريه اشد المداراة ومما كتب له به مع الاختصار قوله:

وبعد، فالباعث به اليكم في هذه البطاقة ثلاثة امور مدارها على قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم؛ - الاول بيان سبب الركون اليكم والانتماء لجانبكم الثاني الحامل على دفع مناوئكم الثالث ملازمة

نصحكم والضجر مما يصدر من اعوانكم للرعية.

فاما الامر الاول فله اسباب كثيرة منها مراعاة الجناب النبوي الكريم في اهل بيته ورضي الله عن ابي بكر الصديق القائل: ارقبوا محمدا في اهل بيته والقائل: لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اصل قرابتي، ومنها نصح عامة المسلمين الذي هو الدعاء لهم بالهداية ورد القلوب النافرة اليهم؛ ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة. وقد بذلنا الجهد في ذلك اخلص الله القصد في الجميع.

واما الامر الثاني فلما جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على الرقاب والحريم والاموال وادخاله بتاويلاته البعيدة عن الصواب ماليس في المذهب وتعدي ضروب الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها وما مع ذلك الوعيد المؤكد بالايمان الينا في الانفس والاموال

واما الامر الثالث فمما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع، اما الكتاب فسورة العصر، قائمة البرهان في كل عصر، وقد قال تعلى في قصة كليمه: «رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين» وقد استشهد به بعض العلماء في بري قلم كاتب الامراء فجعله منه وقال تعلي: «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان» واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: المعاون شريك وقوله: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان للعلم بكون التغيير العملي اليكم

حتى حذبتمونا اليه ودللتمونا بارتكاب اصعب حرام عليه. وقوله صلى الله عليه وسلم: من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله. قال المواق: من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يامن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفك. واتى بالحديث المتقدم استعظاما لذلك الامر الفظيع فانا لله وانا اليه راجعون على انا انخدعنا بالله حيث كتبت لنا مرارا وامنت، وكنت اتخوف من هذا الواقع بازمور واسفي ومراكش والغرب، وكنت الححت عليك في تقرير العهد حتى اتاني القائد عبد الصادق بمصحف وقال امرني السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقائه على العهد فيما بينك وبينه من تامين كل من امنته وامضاء كل ما رأيته صلاحا لامته صلى الله عليه وسلم. ثم لم اكتف حتى اتى القاضي وكتبت لي ان كل ما رأيت فيه الصلاح امضيته وانك امنت كل من امنته. ثم بعد استقرارك في دارك كتبت لي كتابا بانك باق على ما تعاهدنا عليه وان الامور كلها على معيار الشرع - فما راعني الا وقد اخفرت في ذمة الله وامانى الذي عقدته للناس فمن ماسور ومقيد ومطلوب بمال ومطرود عن بلده، واخبار اخر ترد علينا من جهة السواحل ان الناس تباع فيها للعدو دمره الله ولم نر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه امور الثغور فلم ندر هل بلغك خبر ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع او لم يبلغك ما علمنا لله تعلى لتطمئن قلوبنا فاني كاتبتك في ذلك فلم ار جوابا فقضيت والله من الامر عجبا.

واما الاجماع فلم نر من العلماء من نهى عن نصيحة خاصة المسلمين وتنبيههم على ما يصح بهم وبالرعية بل عدوه من الدين لحديث الدين النصيحة وغيره. وما استشعرناه من امتعاضكم من عدم الانة القول في مكاتبتنا لكم، فما خاطبناكم قط رعيا لذلك ولو بنصف ما خاطب الائمة الاول به اهل زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم وعلمكم بما لم نعلمه من ذلك. ويكفيكم نصح الفضيل بن عياض وسفيان الثوري وامامنا مالك رضي الله عنهم لمعاصريهم من الولاة، وفيهم من بكى وانتفع، ومن غشي عليه وتوجع، ومن ندم واسترجع، الى غير ما ذكر على اختلاف الاعصار وتنوع الدول، فبذلك اقتدينا وبما كان عليه اشياخنا واسلافنا لكم ولاسلافكم كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدي عبد الله الهبطي لجدكم المرحوم بكرم الله تعلى، فطمعت في نجح النصح دنيا واخرى فهذا اصل قضيتنا معكم وهلم جرا والذكرى تنفع المومنين.

فاجابه زيدان:

وبعد فقد ورد علينا كتابكم ففضضنا ختامه ووقفنا على سائر فصوله ثم اننا ان جاوبناكم على مايقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وادى الى المباغضة والمشاحنة. ويحكى عن عثمان رضي الله عنه انه بعث لعلي كرم الله وجهه واحضره عنده والقى اليه ما كان يجد من اولاد الصحابة الذين اعصوصبوا باهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد ابي بكر الصديق، وهو في ذلك لايجيبه، فقال له عثمان ما اسكتك؟ فقال له ياامير

المومنين ان تكلمت ما اقول لك الا ما تكره وان سكت فليس لك عندي الا ما تحب. ولكن لما لم اجد بدا من الجواب ارى ان اقدم لك مقدمة قبل الجواب وذلك ان الحجاج لما ولاه عبد الملك بن مروان العراق وكان من سيرته ما يغني اشتهاره عن تسطيرته هنا فتأول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وامثاله من اولاد الصحابة ولما قوى عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصري رضي الله عنه فقال لا افعل فاني ارى ان الحجاج عقوبة من الله تعلى فنفزع الى الدعاء اولى. قال بعض فضلاء العجم يوخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر، وجواز المقام معه تحت ولاية الظلم والجور. وقد علمت ما كان من امر عبد الرحمان بن الاشعث وسعيد وامثاله. وقضية اهل الحرة لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف[1] ما اوقع ولما بلغه الخبر وهو بالشام انشد:

ليت اخوالي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وشاع ذلك عنه وذاع وكان ذلك على عهد اكابر الصحابة واولادهم فما تعرض احد منهم للنكير عليه ولا تصدى للقيام بكلام.

وما يرجع لجواب الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضي الله عنه في اهل البيت والاحاديث الواردة في انه يجب احترامهم وتعظيمهم وتبجيلهم لاجل النبي صلى الله عليه وسلم فان كان يجب عليكم تعظيمهم

(1) يعني حرم المدينة

فانه يجب علي اولى واولى، عملا بقوله تعلى: «قل لا أسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى» واجرى سبحانه وتعلى عادة حكمه ما تصدى احد لعداوة اهل البيت الا اكبه لوجهه. واما ما اوردتم من احاديث النصح فاني والله احب ان تنصحني سرا وعلانية مع زيادة شكري عليها واراها منك مودة واعدها محبة ولكن افعل من ذلك ما اقدر عليه لان الله تعلى يقول: «لايكلف الله نفسا الا وسعها» وقد كثر قولهم. ولم آل جهدا في كذا، لان النفوس الشريفة العلية لاتترك من فعل الخير والجد في اكتسابه الا ما عز تناوله وصعب اكتسابه عليها.

واما ما ذكرتم من امر ابي محلي وسيرته وما كان تسلط عليه لولا ما كان من استنهاضكم اليه، اماتذكر استنهاضنا لكم المرة بعد المرة وتكررت في ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه ولا تحتاج فيه لاقامة حجة غير كونه خرج من الجماعة، وقوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه اهل الحل والعقد واخذ ذلك بوسائط مثل بيعة جدنا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغرب واهل الدين المشاهير، ولو كان وصل لذلك بمثل هذه الوسائط لما وجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم لان السلطان لاينعزل بالفسق والجور والا فان الصحابة رضي الله عنهم في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم وما تصدى احد منهم للقيام عليه ولا قال بعزله والا فانهم لايقيمون على مثل ذلك ولو نشروا بالمناشير. واما ابومحلي فبمجرد

قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتنا عليه لانك في بيعتنا وهي لازمة لك فالطاعة واجبة عليك. واعلم ان والدك افضل منك بدليل، آباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة وكان عمنا عبد المالك رضي الله تعلى عنه وسمح له على ما كان عليه واشتهر به اعلانا وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا انكر عليها ولا تعرض لما يسوء ملك الوقت ولا سمع ذلك منه فان كان راضيا بفعله فهو مثله وان لم يكن راضيا فما وجه سكونه والوفادة عليه؟ واما ماذكرتم من ان من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله فهذه حجة عليك لا علينا لاني ما سعيت في قتل احد ولا قتل من قتل الا بامر القضاة واهل العلم. واعلم ان انه اذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لايقف القتل على المأئة والمأئتين والالف والخمسة آلاف ونهب الاموال وكشف الحريم وغير ذلك. اما تعلم ان ايام فتنة ابي محلي قد هلك من النفوس والاموال بسببها مالا يحصى عدده حاسب ولا يستوفي نهايته كاتب، وكان ذلك في صحيفته لانه المتسبب الاول الفاتح ابواب الفتنة لانه كان يقتل كل من انتمى الينا حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمأئة قتيل ولولا ابو محلي ما قتلوا.

واعظم في حرمة النفوس من هذا قوله تعلى: «من اجل ذلك، كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما

قتل الناس جميعاء وليس في قول المواق ما يحتج به على السلطان وانما تكلم في اصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده مثل اصحاب الشرط كصاحب شرطة السوق الذي ينفذ عن القاضي وغير ذلك من الولايات. وولاية ابي محلي لا تعد ولاية حتى يعد عزله عزلا. وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه من الشيوخ الجلة وعرفناماعند الشافعية والحنفيّة ودرسناه المرة بعد المرة. ولست ممن ينطبق عليه قوله عليه السلام اشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه ولكن لماذا تجنح بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك فيه في يونس اليوسي وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم الحرم لا يعيذ عاصيا. واما مسألة اهل ازمور لما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرحنا من كان عنده ورددنا الخيل. وقضية الحناشة الناس في شأنهم بالاجتهاد. وقضية العرب اعلم ان العرب قد افسدوا الارض واستطالوا علي اهل سواد هذه البلاد والعرب الذي يليق بهم ما افتى به سحنون في عرب افريقيا والمغرب ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة الفتنة بالمغرب لاتى ذلك على اموالهم والناس خرجت على اطوارها واحبوا الفتنة طلبا للراحة فان كنت تصغى لمقالتهم واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان فهذا نفس خراب العالم.

ورأيت ان اقدم لك مقدمة امام هذا وان كانت ادبية، قيل لابن الرومي، وهو علي بن العباس، لم لم تقل كعبد الله بن المعتز:

كأن آذر يـوننـا والشمس فيه كـاليه
مـداهن من ذهب فيها بقـايا غـاليه

فاجاب بان قال هو لا يقدر ان يقول مثل قولي في وصف الرقاقة:

ان انس، لا انس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في الكف دائرة وبيـن رؤيتهـا قـوراء كالقمر
الا بمقـدار مـا تنداح دائـــرة في صفحة الماء يرمى فيـه بالحجر

وقال كل منا يصف اواني بيته، ورب البيت ادري بما فيه واهل مكة ادرى بشعابها والصيرفي اعرف بنقد الدينار وقضية الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهما السلام فيها كفاية لمن يعتبر .. فاخبرنا كيف تحب ان نسلك مع الناس في الغرب فـان كنت تحب ان تسلك فيهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان والاسعار قد ارتفعت وبلغت النهاية والله تعلى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان وهـذا يعرفـه من خالط الشرائع والكتب المنزلة واخـذ العلم من افواه الرجال وادبته مجالس العلم.

ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما اورد الناس في الخارج. اما ما بنوا عليـه فرضه في صدر الاسلام الدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته واما في الغرب خصوصا فاول من فرضه عبد المومن بن علي وجعله على اقطاع الارض بناء على ان المغرب فتح عنوة واليه ذهب بعض العلماء ومنهم من يقول ان السهل فتح عنوة والجبل صلحا. فاذا تقرر هذا علمت

ان اهل هذا العصر قد بادوا واندثروا فيكون السهل كله لبيت المال وتعين ان يكون الخارج فيه على ما يرضى صاحب الارض وهو السلطان والجبل تتعذر معرفة ما كان الصلح عليه ولا سبيل الى الوقوف عليه فيرجع للاجتهاد. وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة على وفق ايمة السنة ومشائخ اهل العلم والدين في ذلك العهد فجرى الامر على السنن الاقوم الى ان هبت عواصف الفتنة لايام ابن عمنا صاحب الجبل وازاله مولانا الامام وصنوه المرحوم عن حواضر المغرب وسبيله عند الزحف بالاتراك وامتدت به الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى دمرهم الله في الغزوة الشهيرة وجاد الله من مولانا المقدس بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الاهوال فقدر رضي الله عنه الاشياء حق قدرها ورأى المغرب غب تلك الفتن قد فغر الافواه لانتهابه عدوان عدو عظيم من الترك وعدو الدين الطاغية فاضطر رحمه الله الى الاستكثار من الاجناد لمقاومة الاعداء والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء وتضاعف العطاء الى تضاعف الخراج وتضاعف الخراج الى الاحجاف بالرعية والاحجاف بالرعية امر يستنكف رضي الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول ايامه فلم يبق له حينئذ الا ان امعن النظر في اصل الخراج فوجد بين السعر الذي بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطى الرعية منذ زمان الفرض بحسبه وبين سعر الوقت اضعافا فحينئذ تحرى

العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه او دفع ما يساوي سعر الوقت فاختاروا السعر مخافة ان يرتفع الى ما هو اكثر فاسعفهم رضي الله عنه وعرف الناس الحق فلم ينكره واحد من اهل الدين ولا من اهل السياسية. وليت شعري لو طالبنا نحن الناس اليوم بسعر الوقت الذي ارتفع الى اضعاف مضاعفة ماذا تقولون وقد انتقدتم علينا ما هو اخف من ذلك؟

واما ما تقضيه من العجب لتعطيل اجوبتنا عنك حتى نراجع منك فان كتابك اكدت مبناه على قضية اهل ءازمور فانفذنا من اخرج الذي كان به واقصاه عنه وسرح من كان عنده فتوقف الجواب حتى يرجع الخديم فينئذ اجبناكم بما وصلكم وكرة تعطيل الجواب منشأه ما من الله به علينا من رجوعنا الى سرير ملكنا واجتماعنا بابناء امنا فاعلم ان اهل المغرب لما تمالؤوا علي وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والاروام وجالسوني وجالستهم وخاطبوني وخاطبتهم، منهم مشافهة ومنهم مراسلة، كنت ايام مقامي بارضهم كمقامي على سرير ملكي لان كبيرهم وصغيرهم ورءيسهم ومرءوسهم كان ينتجع فضلي ويمد كف رغبته لنعمتي وواسيت الجميع عطاء مترفا مع قلة الزاد والدخيرة وترفعت عن مراسلة الاماثل والاكابر من العجم والعرب ولم اركن لاحد بل تجردت بما قدرت عليه من الاخبية حتى جعلت محلة برمتها وخيلها فترامى على العجم بالرغبة وبسطوا اكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم وعرضوا

على الاقطاع السنية والبلادات الملوكية بلطف مقال وادب خطاب حتى قال القبطان مراد رئيس المجاهدين وما مثلك يكون مع الغرب، ها نحن نخدمك باموالنا وانفسنا وبما لنا من السفن حيث اردت واحببت وما انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي اني احمل اهلي وحاشيتي وارجع اليهم الا ان تمكن لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد وقد قفلت من عندهم ولم يتعلق ثوب عفافي بما يشينه معهم ولا مع العرب ولاكن ليس لاحد على منة ولا نعمة الا فضل الله تعلى «وكان فضل الله عليك عظيما»

ثم اني دخلت سجلماسة على رغم انف اهلها ووليها ومنها دخلت للسوس وجعلت ولى الله تعالى العارف ابا محمد عبد الله بن مبارك واسطة بيني وبين اخي حتى اجتمعت باهلي ومالي وبعث الى الترك باحد بلكباش اسمه مصطفى صولحي الى السوس راغبين انجاز الوعد فجنحت للمسير اليهم فرايت الاهل والاتباع قد عظم عليهم الامر واستكبروا الخروج فاسعفت رغبتهم في المقام بالمغرب وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومقابلة اهلها عليها وعززته برسول من عندي اليهم بتحف واموال ورد بها عليهم مع رسولهم. ثم اني اقتحمت مراكش مع اهل فاس على كثرة عددهم وعدهم وقلتي ووحدتي وفتح الله علي ثم خرجب للسوس مرة اخرى واوقعت بولد مولاي احمد الشريف وجموع مراكش وقد تعصبوا عليه لانهم شيعة جده ففضضته على رغمهم ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه وحكم

بيني وبينه. ثم نجم نجم القوي ابى محلى وغلبت على الراي وقد قال من هو افضل مني مولانا علي كرم الله وجهه لا رأي لمن لا يطاع، ودخل هذه البلاد وخرجت انا للسوس بينما تجتمع لنا قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه الى ان بلغتهم وقصد اليهم ابو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد ان اثخنوا فيه بالقتل ثم وافيتهم بالمكان والحرب بيننا سجال فهل سمعتم خلال هذه الاحوال كلها انى احتجت لاحد فيما قل او جل وهذا كله بحيث لا يخفى عليك، اللهم الا ان تعتد الوفادة التي وفدنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج فلا ندري.

على اني ما قصدتك لطلب دنيا بل لانى كنت اسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاغرو ومن كان هذا وصفه جدير بان يقصد للدعاء والتبرك ولاصلاح القلب. ولو علمت ان ذلك يعد ويظن انه نوع من الاحتياج والله ما كنت لاقف على احد ولو انه يملكنى الدنيا بحذافيرها لان الخير والشر بيد الفاعل المختار وهو اولى اليه بالاضطرار.

واما سربى فما تروع قط حتى يامن. واما من كان في الدار التي ذكرتم فانماهم اهلي ومتروك اعمامي. واما ما اخبركم به القاضي فكل ما حمل فهو عني والتزمته الى الآن الا ما طرأ علينا فيه النسيان ذكرونا به فانا لا نخرج عنه.

واما يمين المصحف واني كنت حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا

والله ما حلفت فيه ولا نحلف لاحد الى لقاء الله. اما علمت اني حضرت بيعة صاحب المغرب سامحه الله وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا انا فانه قال: فلان لا يحلف ولا يحتاج اليه فما نامره به يفعله وعظم ذلك على اخوتي وظهرت في وجوههم الكراهية لاجله. ولاكن الذي قلت لعبد الصادق احلف للمرابط وانا اوفي لك به وما زلت على ذلك الى الآن اذ كنت تقول في ذلك الوقت اخاف ان تقع في اهل مراكش والاكابر ونحو هذا مثل حكومة عبد القادر.

واما الامتعاض من عدم الانة القول وحسن الخطاب كما قال الله تعلى: «وقولوا للناس حسنا» وانك لم تبلغ واو نصف ما خاطب به الايمة رضوان الله عليهم اهل زمانهم اتكالا على علمنا به فحسبي نصح الفضيل بن عياض وسفيان التوري ومالك بن انس رضي الله عنهم فهذه المسألة حسبى في الجواب عنك والسلام.

مناظرة القاضي ابي مهدي السجناني

للشيخ يحيى بن عبد الله وكان راوده على الخروج فلم يوافقه وغضب يحيى عليه حتى هم بقتله فخرج ابو مهدي من محل ولايته تارودانت خائفا يترقب وكتب اليه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

يقول العبد الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه، الغني به عمن سواه، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنه ومأواه، كاتبه عيسى بن

عبد الرحمن عفا الله عنه وسامحه: الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الرسل والانبياء، واورثه من بعدهم من خلقه فريق العلماء العاملين الاولياء والصلاة والسلام على من اكد امر النصح وقال: ان الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم والرضى عن اله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه، وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى يوم الفصل والقصاص بين الخليقة.

وبعد فاني قفلت والحمد لله بسلامة وعافية الى حيي وجيرتي واهلي واولادي مستوحشين بالباديـة وان كانت محل سلفي ومقر تلادي بعد ان الفوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانـوا احق بها واهلها. وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالاولاد فتذكرت قول بعض فقهاء الاندلس لما نابه مانابني واصابه مثل ما اصابني:

اليس من القبيح مقام مثلي بدار الخسف منخسف الجمال
اخالط اهل سائمة ورعى وارتع بيـن راعيـة الجمال

فجلت بفكري وان كان الكل بقدر الله وارادته فرايت ان في ذلك القضاء لطف امرا نتجه كما لا يخفى على ذي بصيرة ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الانس والجن بذوي العقول منهم فصاروا احزابا وفرقا فتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد حتى اذا عرض لعاقل او عرض عليه الاقلاع بادرت الشياطين فسدوا عليه بابه وواروه باغوائهم وزينوا له ان ذلك يشينه عند العامة ويوجب لـه السقوط من

اعين الناس مع انه لا يعده من السقوط الا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس واين يغيب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى واين غاب عنه ان العبرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا زال الشيطان يلعب به ءاخذا بزمامه ساكنا على قلبه ولسانه واين يغيب عنه من كتاب الله «فاما من طغى وءاثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» وقلت انا لله وانا اليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بغربنا فافترق ملأهم وقلت سرواتهم وانتهبت اموالهم وانتهكت حرماتهم ومزقت اعراضهم وفسدت اديانهم واختلت وبعدت عن التوفيق ءاراؤهم وكادت تطمع فيهم اعداؤهم!

اللهم ياذا الطول والامتنان ياحنان يامنان ياذا الجلال والاكرام تداركنا بالطافك الخفية في ديننا ودنيانا يا خالق الارض والسماء!

فان قلت ما ذكرته من ان خروجك من الحواضر الى البوادي نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدي به من الصحابة رضي الله عنهم فهو قصد صحيح وما دليلك على التلاعب؟ قلت ما خرجه ايمة الصحاح من منع الخروج على الايمة وان الصواب فى خق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب اذ غاية الجور وان تفاحش اقل بكثير من غائلة الخروج التي يترتب عليها فساد المهج والاموال والاعراض والاديان

وهتك الحرم ولهذا صبر على جور الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالمي الاديان وبالعبادة معمري الازمان وتذكر ما ءال اليه الحال ووقع بالمرابط ابى محلى فانه كان في قصره عالي الصيت يقصد للزيارة ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قطب زمانه وبلغ به الحال الى إن سولت له نفسه انه يصلح به ما لم يصلح بغيره من الانام فقام وأعانه عليه قوم ءاخرون حتى ملأ الدنيا صياحا ودعاوي وعياطا واكاذيب مما لا يشهد به عقل ولا نقل فتجزأ على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ولا من يده فسب واغتاب وقتل ونهب وحمل نفسه ما لا تطيقه فاستهوته شياطين الانس والجن والنفس والهوى ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل وءافته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضى عن النفس والهوى حتى انه حكمها فصارت تلعب به الى أن ادعى دعاوي وفاه بما استباح ما كان معصوما من دمه وهلكت بعده بسببه نفوس وأموال وغير ذلك، أيشك من ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك ما حمله عليه من يوجب على نفسه مخالفة الشياطين والنفس والهوى وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلى به او قلده تقليدا رديا في فعله: فان توليت فانما عليك إثم الاريسيين والى الآن كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع أنه بمعزل عن الكتاب والسنة.

فان قلت هذه طوائف الفقراء ما بين متعصب متحزب ومتخيل

متصيد ومتسور على ما استأثر الله به من الغيوب مرتكبا للآثام مصرا على الذنوب، قلت هذه طوائف الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بها السطور والطروس قد بددتها والعياذ بالله الفتن وشردتها ما تخافه من المحن فماتت العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا منطوق ولا مفهوم:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قلت وهذا الشيخ ابو زكرياء، وهو الذي يساق الى نصحه الحديث، كنا نستسقي به ونستشفي وكانت تشد له الرحال، ولا يانف من اتباعه النساء والرجال، وقد أتته من أقطار مغربنا الوفود، ودانت له الذئاب والاسود، وكان يعلم الجاهل، ويهدي الضال، ويطعم الجائع، ويكسو العريان، ويعين ذا الحاجة، ويغيث اللهفان، وهي سبيل يا لها من سبيل وطريقة ما أحسنها من طريقة، ثم صارت تلك الجموع أيادي سبا، وتلاشت شذر مذر وما لها من نبإ، وكان أمر الله قدرا مقدورا:

أيها الشيخ اكرمك الله بتسديده أو تجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فتطلبه؟ أو تجد سلطانا يوازيه او يقاربه فتحاوله؟ أين خفي عليك هذا وهو ضروري؟ وأين ضلت عنك نصوص الكتاب والسنة يا معقولي؟ «ألم يان للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» لقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم» وان أبغض الكلام الى الله أن يقول الرجل

للرجل اتق الله فيقول لـه عليك نفسك وهو طرف من حديث خرجه النساءي، قد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكرى لقوله جل من قائل : «وذكر فان الذكرى تنفع المومنين»

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

فان قال شيطان من شياطين الانس والجن هذه ما اريد بها وجه الله قلت الله الموعد : إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وان خطر هذا أو هجس بقلب الشيخ اكرمه الله قلت: والشيطان يجري من ابن ءادم مجرى الدم وادل دليل على أني قصدت محض النصيحة هو انه استنصحني على دفاع ابي محلى فنصحته وقلت له ان هذا لا تستقيم معه الديانة فكانه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول استخر لي الله فكاتبته بان لا تفعل ثم نزل وكان على باب الغزو من تارودانت فخلوت به وقلت له اذ ذاك ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته اذ ذاك بما عرفته من ابناء الزمان وقلت له ارجع لتظفر بالامن والخير ويسلم لك دينك وتتبرأ من كل ما يقال وما زلت على المنع الى ان جاءت كراريس من قبل ابي محلى فتاملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات فحينئذ شرح الله صدري لاباحة دفاعه ثم اني قلت بعد ذلك يانفسي ءامره واقول في نفسي ما كان يقوله الامام سحنون في قضية ابن ابي الجواد مالي وله الشرع قتله ولو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت له قتاله اولا لان ذلك مقتضى

التعصب للامير واذا لم اتعصب اذ ذاك فكيف استسهله الان؟ فتعين اني نصحت لكم ان قبلتم والا فكما قال الله تعلى اخبارا عن نبي من انبيائه «ولاكن لا تحبون الناصحين».

انشدك الله الذي باذنه تقوم السموات والارض اني قلت لك بعد رجوعك الاول من مراكش بل العام الذي قبله الغدر لا يحسن ولو حت وصرحت بان شق العصا لا يحل غير ما مرة وما كفاني القول الدال على ذلك الى ان زدت الفعل وخرجت من مدينة لا ابغضها كما قال الشاعر:

فوالله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطي جانبيها العارف

ورضيت بالبادية مع جفائها فرارا من الفتن وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم: يوشك ان يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ثم بعد هذا كله نصحت فلم افلح وخانوا فافلحوا واسكنني نصحي بدار هوان وعدوا علي من القبائح عدم طاعتي للامير مع انك يوم جاء لدارك قلت لهم هذا اميركم ونحن لا نشك انك من المعتبرين في مغربنا وان بيعتك لاحد لازمة لنا وكذلك حين ذهبت لمراكش في واقعة ابي حفص قد اراد اهل مراكش بيعتك فابيت وابحت البلاد لخدام الامير وقلت لهم انه الامير وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرأى منك ومسمع افتشك بعد ما كان هذا منك انك مبايع وانت قدوة؟ واذا كان هذا فاي حجة على الامير ولا على المامورين؟ فمن مزين لك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم

وابن مسلمين

فان قلت موافقتي مشروطة بشروط ولم يف لي بها قلت هب انه لم يف استبيح قتاله لاجل ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار الحديث[1]؟ فبالله ايها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وانظاره؟ وما تقول فيما انتهب او عسى ان ينتهب من اموال الناس او اخذ بغير حق وانفق في سبيل الطاغوت والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس منه؟ او ما تستحي من ربك يوم تسال عن النقير والقطمير ولست ممن خفى عليك ذلك كله فتعذر عند المخلوقين؟ او ما علمت ان كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك اذا رأوك ارتكبته فتكون قد سننت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس؟ او ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب؟ او ما كنت تعير على من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه: لاتعير اخاك المومن الحديث

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

اما انتبهت الى وما وقع باهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحرار وهتك الحرم: ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث وقد اتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع ذلك ولم يستطع اذ ذاك من ينظر بنور العلم ان يقول لهم في وزن قطر الماء الى ما ءال اليه الحال في اهل درعة مع

(1) تمامه قيل يارسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال انه كان حريصا على قتل صاحبه

ان جلهم حملة القرآن وعامتهم بله واكثر اهل الجنة البله افيليق في حق الضحاء ان يسلط عليهم ولا يرحمهم ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي انما يرحم الله من عباده الرحماء من لا يرحم لا يرحم، الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء، انسيت انه يقتص للجماء من القرناء وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض افي علمك ان حسناتك تفى بما عليك من التباعات او انه لا تباعة لاحد عليك ولو كنت بدريا لاحتمل ان يقال في شانك ما قاله عليه السلام لعمر وما يدريك ان الله اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم او كما قال والظلم ظلمات يوم القيامة او تستطيع ان تقتحم ظلمات الصراط والا فانت مسؤول عن القيراط وحتى اهل تارودانت انه لم يغن في شانهم الترويع بل بلغ بهم الجور والحال الى التقريع فاتق الله ايها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم

هذا بعض ما يتعلق بحقوق الناس على العموم ويتعلق بحقوق كاتبه على الخصوص انك اخذت عليه اذا أدى الطاعة للامير ووعى ما هو من شيم المومنين من حسن العهد والتبري من القدر وشق العصا بعد بذل وسعه في نصحك ونصح الامير وحاول بكليته جمع الكلمة وتعب في ذلك واقتحم عقبات لا يقطعها بازل ولا سبيل اليها لمن يكون في دينه وعلمه مثلي ممن هو نازل كما قيل

اذا غاب ملاح السفينة فارتمت بها الريح هذا جاذبتها الضفادع

وقيـــــــل

لعمرا بيك ما نسب المعلي الى كرم وفى الدنيـا كريم
ولاكن البلاد اذا اقشعرت وصوح بنتها رعي الهشيم

ولاكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير لما غير لان هذه طاعة وتلك اخرى والتوفيق بيد الله سبحانه نعم بلغني مع ذلك وجزم لي به اني مع بذل النصيحة لك وللامير اصلح الله الجميع واصلح ذات بينهم اخذ على بالرصد في قفولي لصبيتي والرجوع اليهم رعـاية لما يجب وينوب من حقوقهم وهل هذا ايضا الا حكم الهوى والشيطان اعندك اكرمك الله ما تستبيح به ذلك مع اني والحمد لله اين مـا كنت لا اسعى الا في مصلحة جهد الاستطاعة او بث نصيحة حين لا ارى من يبث او اغاثة ملهوف حين تجب اغاثته «لئن بسطت الى يدك» الاية ولاكن الباري سبحانه وتعلى يقول «ولا يحيق المكر السيىء الا باهله» وفي التوراة من حفر حفرة ليوسعها، ولا تحفرن بيرا تريد اخابها، البيت[1] فاين وجدت ما يسوغ لك ارتكـاب مثل هذا قولا او فعلا او اشارة او تلويحا او تصريحا واي جريمة توازي هذه الجريمة او كبيرة من الاثم اكبر منها والى الله الموعد «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون» هذا والسعاية المحبوبة بسؤال عن دفاع سجتانة اين تجدون ما يوجب اباحتها اين غاب عنكم قوله

(1) تمامه فانك فيها دون غيرك واقع

عليه السلام «ان الرجل ليتكلم بكلمة يهوى بها في جهنم سبعين خريفا» اهذا من اخلاق المومنين والصالحين وانت من بيت الصلاح ما كان جدك يرضى مثل هذا وما كان ابوك امر أسوء وهذا والله اعلم نتيجة قرناء السوء وقد قيل لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله والى هذا ينتهي حق الصحبة اعني بذل النصح: ان الله يسأل عن صحبة ساعة ونحن صاحبناك واعتقدناك ونصحناك ووعظناك: انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرناك بالرد الى الجادة اين انت من مولانا الحسن بن على اذ تخلى لابن عمه معاوية مع انه هاشمي علوي فاطمي احد ريحانتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية اموى يجمعهما عبد مناف عن الامارة مع انه امام ابن امام اصلح الله به وهو سيد بين فئتين عظيمتين من المسلمين بعد ان كان يلقب بامير المومنين قال له أصحابه اذا سلم في الامارة يا عار المسلمين فلم يكترث بذلك ولم يبال به وقال النار أشد من العار ألهمنا الله واياكم لرشد أنفسنا وجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الرسائل

(أ) السلطانيات

جواب يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف حينما استنصروا به على العدو

بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم وانكم مما بايديكم من الملك في اوسع اباحة مخصوصون منا باكرم ايثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام.

توقيعه على كتاب الفنش

كتب الفونش الى يوسف بن تاشفين لما سمع باستدعاء ملوك الطوائف له وعزمه على الجواز الى الاندلس، كتابا يهدده فيه ويغلظ له القول ليصرفه عن الجواز فوقع على ظهر كتابه «الجواب ما ترى لا ما تسمع» فعلم الفونش انه بلى برجل يفعل ولا يقول.

كتابه بالفتح في واقعة الزلاقة الى العدوة

أما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله واكرم خلقة واسراه، فان العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه، وتوافقنا بازائه لقناه الدعوة

وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاختار الحرب فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب وقال الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود وفي عسكرنا منهم خلق كثير والاحد عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك واضمر اللعين خلاف ما شرطناه وعلمنا انهم اهل خدع ونقض عهود فاخذنا اهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا الينا أحوالهم فاتتنا الانباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب المذكور بان العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين يرى انه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين فانتدبت اليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين فتقشته قبل أن يتقشاها [1] وتغدته قبل ان يتغداها، وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته، ووثبت عليهم وثوب الاسد على فريسته، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة، في سائر المشاهد المشهورة، في جيوش لمتونة نحو الفنش فلما أبصر النصارى رايتنا المشتهرة المنتشرة ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة المظفرة، وغشيتهم بروق الصفاح، وأظلتهم سحائب الرماح، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح، التحم النصارى بطاغيتهم الفونش وحملوا على المسلمين حملة منكرة فتلقاهم المرابطون بنية صادقة خالصة وهمم عالية فعصفت ريح الحرب، ووكفت ديم السيوف والرماح بالطعن والضرب، وطاحت المهج، وأقبل سيل الدماء في هوج، ونزل من سماء الله على اوليائه النصر العزيز

(1) في الاصول فتعشته بالعين المهملة وليس بصواب ولم ينتبه ايضا مصحح الطبقة الجديدة للقرطاس

والفرج، وولى الفونش مطعونا في احدى ركبتيه، طعنة أفقدته احدى ساقيه، في خمسمائة فارس من مائة وثمانين الف فارس ومائتي الف راجل، قادهم الله الى المصارع والحتف العاجل، وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ونظر النهب والنيران في محلته من كل جانب وهو من أعلى الجبل ينظرها شزرا، لم يجد عنها صبرا، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا فاخذ يدعو بالثبور والويل، ويرجو النجاة في ظلام الليل، وامير المسلمين بحمد الله قد ثبت في وسط مراكبه المظفرة، تحت ظلال بنوده المنشرة منصور الجهاد، موفور الاعداد، يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد، وقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها واسبابها، وتريه رأي العين دمارها ونهابها، والفونش ينظر اليها نظر المغشى عليها ويعض غيظا واسفا علي أنامل كفيه، وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار، عاد رؤساء الانداس المنهزمون نحو بطليوس والغار، وتراجعوا حذرا من العار، ولم يلبث منهم غير زعيم الرؤساء والقواد، أبو القاسم المعتمد بن عباد، فاتى الى أمير المسلمين وهو مهيض الجناح، مريض عناء وجراح، فهنأه بالفتح الجميل، والصنع الجليل، وتسلل الفونش تحت الظلام فارا لا يهدأ ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة فلم يدخل طليطلة الا في مائة فارس والحمد لله على ذلك كثيرا.

ظهير له في تلقيبه بامير المسلمين وناصر الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما، من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين، الى الاشياخ والاعيان والكافة من اهل فلانة [1] أدام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد حمد الله اهل الحمد والشكر، ميسر اليسر وواهب النصر، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر، وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله في نصف محرم سنة ستة وستين وأربعمائة وانا لما من الله علينا بالفتح الجسيم، وأسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة وهدانا إلى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم. صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، رأينا ان نخصص انفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر امراء القبائل وهو امير المسلمين وناصر الدين فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولي العدل بمنه وكرمه والسلام.

كتاب عبد المومن الى الشيخ محمد بن سعد يدعوه الى الدخول في دعوتهم

من امير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته، الى الشيخ ابي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله، ويسره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فالحمد لله الذي له الاقتدار والاختيار، ومنه العون

---

(1) يعني المدينة او القبيلة

لاوليائه والاقدار، وإليه يرجع الامر كله فلا يمنع منه الاستبداد والاستئثار، والصلاة والسلام على محمد نبيه الذي ابتعثت بمبعثه الاضواء والانوار، وعمرت بدعوته الانجاد والاغوار، وخصم بدعوته الكفر والكفار، وعلى ءاله وصحبه الذين هم الكرام الابرار، والمهاجرون والانصار، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله حين غيرته الاغيار، وتقدم الامتعاض له والانتصار. وهذا - كتابنا كتب الله لكم نظرا يريكم المنهج، ويلفيكم الابهج فالابهج، وءاتاكم الله من نعمة الايمان، وعصمة الانقياد له والاذعان، ما تجدون به اليقين والثلج - من حضرة مراكش حرسها الله تعالى، ولا استظهار إلا بقوته وصوله، ولا استكثار الا من احسانه وطوله.

ولما جعل الله هذا الامر العظيم رحمة لخلقه، ومطية لرقيه وقراره لاقامة حقه، وحمل حملته الدعاء إليه، والدلالة به عليه، والترغيب في عظيم ما عنده ونعيم ما لديه، وجعل الانذار والاعذار من فصوله المستوعبة، وأحكامه المرتبة، ومنتجاته المخلصة من الخطوب المهلكة والاحوال المعطبة - رأينا ان نخاطبكم بكتابنا هذا اخذا بامر الله تعالى لرسوله في المضاء الى سبيله، والتحريض على اغتنام النجاء وتحصيله، واقامة الحجة في تبليغ القول وتفصيله، فاجيبوا - رفعكم الله - داعي الله تسعدوا، وتمسكوا بامر المهدي - رضي الله عنه - في اتباع سبيله تهتدوا، واصرفوا أعنة العناية الى النظر في المثال، والتفكر في نواشىء التغير والزوال، وتدبروا

جري هذه الامور وتصرف هذه الاحوال، واعلموا انه لا عزة الا باعتزاز الله تعالى فهو ذو العزة والجلال، ولا يغرنكم بالله الغرور، فالدنيا دار الغرور، وسوق المحال، وليس لكم في قبول النصيحة، وابتداء التوبة الصحيحة، والعمل بثبوت الايمان في هذه العاجلة الفسيحة، الا ما تحبونه في ذات الله تعالى من الأمنة والدعة، والكرامة المتسعة والمكانة المرفعة، والتنعم بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتنعة، فنحن لا نريدكم ولسائر من نرجو انابته، ونستدعي قبوله واجابته، الا الصلاح الاعم، والنجاح الاتم، وتأملوا سددكم الله من كان بتلك الجزيرة حرسها الله من أعيانها وزعماء شأنها، هل تخلص منهم الى ما يوده، وفاز بما يدخره ويعده، الا من تمسك بهذه العروة الوثقى، واستبقى لنفسه من هذا الخير الادوم الابقى، وتنعم بما لقى من هذا النعيم المقيم ويلقى، وأما من أخلد الى الارض واتبع هواه، ورغب بنفسه عن هذا الامر العزيز الى ما سواه، فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبه، وخسارة مذهبه ومطلبه، وتنقل منه حادث الانتقام اخسر ما تنقل به، وحق عليكم - وفقكم الله وسيركم لما يرضاه - ان تحسنوا الاختيار، وتصلوا الاذكار والاعتبار، وتبتدروا الابتدار، وما حق من انقطع الى هذا الامر الموصول الواصل، وازمع ما يناله من خيره المحوز الحاصل، ان يناله منكم شاغل يشغله عن مقصوده، ويحيط به ما يصرفه عن محبوبه ومودوده، فقد كان منكم في امر اهل بلنسية حين اعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلقهم

بهذا الامر السعيد، ما كان ثم كان منكم في عقب ذلك ما اعتمدتموه في امر اهل لورقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم وبان اخلاصهم، وليس لذلك وأمثاله عاقبة تحمد، فالخير خير ما يقصد، والنجاة فيما ينزح عن الشر ويبعد، وانا لنرجو ان يكفكم عن ذلك واشباهه نظر موفق، ومتاع محقق، ويجذبكم الى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد وسائق يرشد، والله يمن عليكم بما ينجيكم ويمكن لكم في طاعته اسباب تاميلكم وترجيكم، بمنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توقيعه على رسالة أبي جعفر بن عطية

كان عبد المومن قد نقم على وزيره ابي جعفر افشاءه لسر افضى اليه به فقبض عليه ثم نكبه وقد صدرت من ابي جعفر اليه رسائل استعطاف بليغة يتنصل فيها من الذنب ويعتذر فوقع عبد المومن على احداها «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»

رسالة أبي حفص الرهنتاني الى عبد المومن بالفتح

في ثورة ابن هود، وهي من انشاء الوزير ابى جعفر بن عطية

كتابنا هذا من وادي ماسة بعد ما تجدد من امر الله الكريم، ونصره تعالى المعهود القديم، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم، فتح بهر الانوار اشراقا، واحدق بنفوس المومنين احداقا، ونبه للامماني النائمة جفونا واحداقا. واستغرق غاية الشكر استغراقا، فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا، جمع اشتات الطلب والارب، وتقلب في النعم

اكرم منقلب، وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب.

فتح تفتح ابواب السماء لـه وتبرز الارض في اثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة: كان اولائك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما، واقتطعوا الكفر معنى واسما واملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما، وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى النفوس بمهولاته، ونصب له الشيطان من حبالاته فاتته المخاطبات من بعد ومن كثب، ونسلت اليه الرسل من كل حدب، واعتقدته الخواطر اعجب عجب، وكان الذي قادهم الى ذلك، واوردهم تلك المهالك، وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام ءاناء الليل والايام، لبسوا الناموس اثوابا، وتذرعوا الرياء جلبابا، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا.

ومنها في ذكر الثائر المذكور[1]

فصرع بحمد الله تعالى لحينه، وبادرت اليه بوادر منونه، واتته وافدات الخطايا عن يساره ويمينه، وقد كان يدعي انه بشر بان المنية في هذه الاعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه، ويقول في سواه قولا كثيرا ويختلق على الله افكا وزورا، فلما رأوا هيئة اضطجاعه، وما خطته الاسنة في أعضائه وأضلاعه، ونفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه

(1) لم نر من ذكرها كلها فاقتصرنا على ما ذكروه منها

هزم من كان لهم من الاحزاب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب واعطوا على بكرة ابيه صفحات الرقاب، ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب فامتلات تلك الجهات باجسادهم، وءاذنت الآجال بانقراض ءامادهم، واخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم، فلم يعاين منهم الا من خر صريعا وسقى الارض نجيعا، ولقى من امر الهنديات فظيعا، ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه، ويسبح طامعا في الخروج الى ما ينجيه، اختطفته الاسنة اختطافا، واذاقته موتا زعافا، ومن لج في الترامي على لجه، ورام البقاء في ثبجه، قضى عليه شرقه، والوى بذقنه غرقه، ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتلهم طعنا وضربا، ويلقونهم بامر الله تعالى هو لا عظيما وكربا حتى انبسطت مراقات الدماء، على صفحات الماء، وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء، وجرت العبرة للمعتبر، في جرى ذلك الدم جرى الابحر.

توقيع المنصور الموحدي على كتاب الفونش

كان المنصور الموحدي حسن التوقيع جدا يضرب به المثل في ذلك وكتب اليه الفونش حين كان يستعد لغزوة الارك الشهيرة يتوعده ويهدده ويطلب اليه ان يبعث بقطع من اسطوله ليجوز هو الى محاربته في عقر داره ويكفيه مئونة الحركة فلما وصل كتابه الى المنصور مزقه وكتب على ظهر قطعة منه «ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها

ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون» ثم كتب «الجواب ما ترى لا ما تسمع» وانشد متمثلا:

ولا كتب الا المشرفية والقنى ولا رسل الا الخميس العرمرم

توقيع «امر له

طلب يوما من قاضيه ان يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط امر فعرفه برجلين قال في احدهما هو بحر في علمه وقال في الآخر هو بر في دينه ولما خرج المنصور احضرهما واختبرهما فقصرا بين يديه واكذبا الدعوى فوقع المنصور على رقعة القاضي «اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظهر الفساد في البر والبحر»

كتاب السلطان ابي الحسن المريني الى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، في شأن ركب الحاج والمصحف الذي خطه بيده ووقفه على الحرم النبوي الشريف

من عبد علي امير المسلمين، ناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، مالك العدوتين، ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، ابي سعيد ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق، منح الله التأييد مقامه، وفسح لفتح معاقل الكفر وكسر فحافل الصفر ايامه.

الى السلطان الجليل الكبير الشهير العادل الفاضل الكامل الكافل

الملك الناصر المجاهد المرابط المؤيد المنصور الاسعد الاصعد الارقى الاوفى الامجد الانجد الافخم الاضخم الاوحد الاوفى ناصر الدين عاضد كلمة المسلمين، محي العدل في العالمين، فاتح الامصار، حائز ملك الاقطار مفيد الاوطار، مبيد الكفار، هازم جيوش الارمن والفرنج والكرج والتتار، خادم الحرمين غيث العفاة غوث العناة مصرف الكتائب مشرف المواكب، ناصر الاسلام، ناشر الاعلام، فخر الانام، ذخر الايام، قائد الجنود، عاقد البنود، حافظ الثغور، حائط الجمهور، حامي كلمة الموحدين ابي المعالي محمد بن السلطان الجليل الكبير الشهير الخطير العادل الفاضل الكافل الكامل الحافظ الحافل المؤيد المكرم المبجل المكبر الموقر المعزر المعزز المجاهد المرابط المثاغر الاوحد الاسعد الاصعد الاوفى الافخم الاضخم المقدس المرحوم الملك المنصور سيف الدنيا والدين، قسيم امير المومنين، ابقى الله ملكه موصول الصولة والاقتدار، محمي الحوزة حاميا للذيار، حميد المآثر المأثورة والآثار، عزيز الاولياء في كل موطن والانصار سلام كريم، زاكٍ عميم، تشرق إشراق النهار صفحاته، وتعبق عن شذا الروض المعطار نفحاته، يخص اخاءكم العلي، ورحمة الله وبركاته.

اما بعد حمد الله الذي وسع العباد منا جسيما وفضلا جزيلا، والهمهم الرشاد بان ابدى لهم من ءاثار قدرته، على مقدار وحدته، برهانا واضحا ودليلا، والزم امة الاسلام، حج بيته الحرام، من استطاع اليه سبيلا، وجعل تعظيم شعائره من تقوى القلوب، ومثابات محط الاوزار والذنوب

فما اجزل نعمته منيلا، واجمل رحمة ربه مقيلا. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المصطفى من افضل العرب فصيلة، في اكمل بقاع الارض فضيلة، واكرمها جملة وتفصيلا، المحتبى لختم الرسالة، وحسم ادواء الضلالة، فاحسب الله به النبوة تتميما والرسالة تكميلا، المخصوص بالحوض المورود، والمقام المحمود، يوم يقول الظالم يا ويلتني لم اتخذ فلانا خليلا، المبوإ من دار هجرته، ومقر نصرته، محلا ما بينه وبين منبره فيه روضة من رياض الجنه لم ينزل بها نزيلا، والرضى عن اله الابرار، واصحابه الاخيار، الذين فضلتهم سابقة السعادة تفضيلا، وامهلتهم العناية بامر الدين الى ان يوسعوا الاحكام برهانا ودليلا، فانا نحيط علم الإخاء الاعز ما كان من عزم مولاتنا الوالدة قدس الله روحها ونور ضريحها، على اداء فريضة الحج الواجبة، وتوفيته مناسكه اللازبة فاعترض الحمام، دون ذلك المرام، وعاق القدر، عن بلوغ ذلك الوطر فطوي كتابها، وعجل الى مقر الرحمة بفضل الله مثابها، وعلى الله اجرها، وعنده يحتسب ذخرها، وان لدينا من نوجب اعظامها، ونقيمها بحكم البر مقامها، وعزمها الى ما املته مصروف، واملها الى ما كانت املته موقوف، وهي محل والدتنا المكرمة، المبرورة الاثيرة الموقرة المبجلة المفضلة المعززة المعزرة المعظمة المطهرة اسنى الله مكانتها، وسنى من هذا القصد الشريف لبانتها، وقد شيعناها الى حج بيت الله الحرام، والمثول بحول الله تعالى ما بين زمزم والمقام، والفوز من السلام على

ضريح الرسالة، ومثابة الجلالة، بنيل السول والمرام، لتظفر باملها المرغوب وتنفر بعد اداء فرضها في كرم الوجوب.

وحين شخص لذالكم الغرض الكريم موكبها، وخاص إلى قصد الحرم العظيم مذهبها، والكرامة تلحقها، والسلامة ان شاء الله تكنفها، اصحبناها من حور دولتنا واحظيائها، ووجوه دعوتنا العلية واوليائها، من اخترناه لهذه الوجهة الحميدة الاثر، والرحلة السعيدة الورد ان شاء الله تعالى والصدر، من أعيان بني مرين اعزهم الله تعالى والعرب، واولاد المشائخ اولي الديانة والتقوى المالئين دلاء القرب، الى عقد الكرب، وكل من له اثرة مشهورة، وشهرة بالمزايا الراجحة والسجايا الصالحة مأثورة وقصدهم من اداء فرض الحج قصدها، ووردهم ان شاء الله تعالى من منهل بركاته الجمة وردها، وهكذا سيرنا من تحف هذه البلاد اليكم ما تيسر في الوقت تسييره، وان تعذر في كثير مما قصدناه ولهذا الغرض اردناه تيسيره، لطول المغيب عن الحضرة، والشغل بتمهيد البلاد التي فتحها الله عليها في هذه السفرة، وعينا لايرادها لديكم، وابعادها عليكم ابا اسحاق ابن الشيخ ابي زكرياء يحيى بن عثمان السويدي، واامير الركب الحسن بن عمران وغدمهم، كتب اليه سلامته، ويمن ظعنهم واقامتهم، ومقام ذلك الاخاء الكريم، يسني لهم من اليسرى والتسهيل القصد والسول، ويامر نواب ماله من الممالك، وقوام ما بها من المسالك، لتكمل العناية بهم في الممر والقفول، ومعظم قصدنا من هذه الوجهة

المباركة ايصال المصحف العزيز الذي خططناه بيدنا، وجعلناه ذخيرة يومنا لغدنا، الى مسجد سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطيبة زادها الله تشريفا، وأبقى على الايام فخرها منيفا، رغبة في الثواب، وحرصا على الفوز بحط من اجر التلاوة فيه يوم المثاب وقد عينا بيد محل الوالدة المذكورة فيه، كرم الله جبهتها، ويمن وجهتها، من المال ما يشتري به في تلكم البلاد المحوطة من المستغلات ما يكون وقفا على القرأة فيه، مؤبدا عليهم وعلى غيرهم من المالكية فوائده ومجانيه. والاخاء المذكور يتلقى من الرسل المذكورين ما اليهم في هذه الاغراض القيناه، ويامر باحضارهم لادائهم بالمشافهة ما لديهم اوعيناه، ويوعز باعانتهم على هذا الغرض المطلوب، وييسر لهم اسباب التوصل الى الامل والمرغوب، وشانه العون على الاعمال الصالحة، ولاسيما ما كان من أمثال هذا الى مثل هذه السبل الواضحة، وشكر بادراتكم موطد الاساس، مطرد القياس، متجدد مع اللحظات والانفاس، والله يصل للاخاء العلي-نظرة ايامه، ويوالى نصرة اعلامه، ويبقى الثغور القصية، والسبل السرية، منوطة بنقضه وابرامه، محوطة بمعاضدة اسيافه واقلامه، والسلام الكريم العميم، يخص اخاءكم الاعز ورحمة الله وبركاته.

كتاب الى الملك الصالح ابي الفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون في التعزية بوالده واغراض اخرى

من عند امير المسلمين، المجاهد في سبيل الله رب العالمين، المنصور بفضل الله المتوكل عليه، المعتمد في جميع أموره لديه، سلطان البرين، حامي العدوتين، موثر المرابطة والمثاغرة، موازر حزب الاسلام حق الموازرة، ناصر الاسلام، مظاهر دين الملك العلام، ابن أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، فخر السلاطين، حامي حوزة الدين، ملك البرين، امام العدوتين، ممهد البلاد، مبدد شمل الاعاد، مجند الجنود، المنصور الرايات والبنود، محط الرحال، مبلغ الآمال، ابي سعيد ابن امير المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، حسنة الايام، حسام الاسلام، ابي الاملاك، مشجى اهل العناد والاشراك، مانع البلاد، رافع علم الجهاد، مدوخ اقطار الكفار، مصرخ من ناداه للانتصار، القائم لله باعلاء دين الحق، ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق، اخلص الله لوجهه جهاده، ويسر في قهر عداة الدين مراده - الى محل ولدنا الذي طلع في افق العلا بدرا تما، وصدع بانوار الفخار فجلى ظلاما وظلما، وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما واحيى رسما، حائط الحرمين، القائم بحفظ القبلتين، باسط الامان، قابض كف العدوان، الجزيل النوال، الكفيل تاميله بحياطة النفوس والاموال، قطب المجد وسماكه، حسب الحمد وملاكه، السلطان الجليل، الرفيع الاصيل الحافل العادل

الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المصان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح ابي الوليد اسماعيل ابن محل اخينا الشهير علاؤه، المستطير في الآفاق ثناؤه، زين الايام والليال، كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال، وارث الدول، النافث بصحيح رأيه في عقود اهل الملل والنحل، حامي القبلتين بعدله وحسامه، النامي في حفظ الحرمين اجر اضطلاعه بذلك وقيامه، هازم احزاب المعاندين وجيوشها، هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها، السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير، الرفيع الخطير، المجاهد المرابط، المقسط عدله في الجائر والقاسط، المؤيد المظفر، المنعم المقدس المطهر، زين السلاطين - ناصر الدنيا والدين، ابي المعالي محمد ابن الملك الارضى، الهمام الامضى، والد السلاطين الاخيار، عاقد لواء النصر في نهر الارمن والفرنج والتتار، محيي رسوم الجهاد، معلي كلمة الاسلام في البلاد، جمال الايام، تمال الاعلام، فاتح الاقالم، صالح ملوك عصره المتقادم، الامام المؤيد، المنصور المسدد، قسيم امير المومنين فيما تقلد، الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون، مكن الله له تمكين اوليائه، ونمى دولته التي اطلعها السعد شمسا في سمائه، واحسن ايزاعه للشكر ان جعله وارث ءابائه.

سلام كريم يفاوح زهر الربى مسراه، وينافح نسيم الصبا مجراه، يصحبه رضوان يدوم ما دامت تقل الفلك حركاته، ويتولاه روح وريحان تجيبه به رحمة الله وبركاته. أما بعد حمد الله مالك الملك، جاعل العاقبة

للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من اسر النفاق في النجوى فاصر على الدخن والافك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محى بانوار الهدى ظلم الشرك، ونبيه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك، ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محموله الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك، والرضا عن اله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجمل السلك، وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب انجح السلك وصابروا في جهاد الاعداء، فزاد خلوصهم مع الابتلاء، والذهب يزيد خلوصا على السبك، والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام، بنصر لمضائه في العدى اعظم الفتك، ويسر بقضائه درك آمال الظهور واجعل بذلك الدرك، ـ فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم، وسبوغ النعم، من حضرتنا مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف، ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف، ويصرف من امره العظيم، وقضائه الملتقى بالتسليم، ما يتكون بين النون والكاف، ومكانكم العتيد سلطانه، وسلطانكم المجيد مكانه، وولاؤكم الصحيح برهانه، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه ـ والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا، وافاد مقامكم تحصينا وتحسينا، وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا، فلا خفاء بما كانت عقدته ايدي التقوى، ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه، وبقربه مع الابرار في عليين انسه، من مؤاخاة

احكمت منها المهود تالية الكتب والفاتحة، وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة، فانعقت على التقوى والرضوان، واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان، حتى استحكمت وصلة الولاء، والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان، ولا عجب قصر زمن الوصلة ان يشكوه الخلان، ورد وارد اورد رنق المشارب وحق قول «ومن سيال الركبان عن كل غائب» [1] أنبأنا باستشار الله تعالى بنفسه الزكية، واكنان درته السنية، وانقلابه الى ما اعد له من المنازل الرضوانية، بجليل ما وقر لفقده فى الصدور، وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور، حنانا للاسلام بتلك الاقطار، واشفاقا من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار، ومساهمة في نصيب الملك الكريم والوصي الحميم.

ثم عمت الاخبار وطويت طي أسجل الآثار، فلم نر مخبرا صادقا ولا معلما بمن استقر له ذالكم الملك حقا، وفي اثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها، وتواتر الاخبار بان النصارى اجمعوا على خراب اوطانها ونحن اثناء ذلك الشأن نستخبر الوراد من تلكم البلدان، عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان، فبعد لأى وقعنا منها على الخبير، وجدنا بوقاية حرم الله بكم البشير، وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه، ويداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من ابوابه،

(1) هو شطر بيت للشريف الرضى من قصيدة قالها عند توجه الحاج، وتمامه وهو المقصود
فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدها، وابرأ من أدواء النفاق مما اعل البلاد وافسدها، فقام سبيل الحج سابلا، وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا، ولما احتفت بهذا الخبر القرائن، وتواترت بنقل الحاضر المعاين، اثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا الموارث، فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار، الجامعة بين الخبر والاستخبار، الملبسة من العزاء والهناء ثوبى الشعار والدثار، ومثل ذالكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه، وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين اوانه، لكن الصبر اجمل ما ارتداه ذو عقل حصين، والاجر اولى ما اقتناه ذو دين متين، ومثلكم من لا يخف وقاره، ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره، ومن قمتم بامره فما زال بل زاد فخره، وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب، وطاب بين مبداه ومختصره هنيئا بما من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير منقلب، ووفد من كرم الله على افضل ما منح موقنا ووهب، فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة ارضه المقدسة، وحماية زوار بيته مقيلة او معرسة، ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية، وفي ذات الله الايراد والاصدار، وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار، فاستقبلوا دولة القى العز عليها رواقه، وعقد الظهور عليها نطاقه، واعطاها أمان الزمان عهده وميثاقه، ونحن على ما عهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالات محققة، وثناء كمائمه عن اذكى من الزهر

غب القطر مفتقة.

ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين، وءاوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين، وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه، واورده موارد احسانه، في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل، ما ناسب مكانه الرفيع، وشاكل فضله من البر الذي لا يضيع، حتى طبق فعله الآفاق ذكرا، وطوق اعناق الوراد والقصاد برا، وكان من اجمل ما به تحفى واتحف، واعظم ما يعرفه الملك العلام في ذلك تعرف، اذنه للمتوجهين اذ ذاك في شراء وباع توقف على المصحفين، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين، فجرت احوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد، ريثما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد، على ما رسمه رحمه الله من عناية بهم متصلة، واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة، وقد امرنا مؤدي هذا لكمالكم، وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل، ابا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم ابي عبد الله بن ابي مدين حفظ الله عليه رتبته، ويسر في قصد البيت الحرام بغيته، بان يتفقد أحوال تلك الاوقاف، ويتصرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف، وان يتخير لها من يرتضي لذلك، ويحمد تصرفه فيما هنالك، وخاطبنا سلطانكم في هذا الشأن، جريا على

الود الثابت الاركان، واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان، وكمالهم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل، وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل، وتشييد ما اشتمل عليه من الثراء الاصيل، والاجر الجزيل، والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب، على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طرق الصواب، وثناؤنا عليكم اثناء الذي يفاوح زهر الربى، ويطارح نغم حمام الايك مطربا.

وبحسب المصافات ومقتضى الموالاة، نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات، وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب علي ذلكم الجناب، وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ، ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ، انبأنا ان الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب، وفرض عليهم باباهم اللعين التناصر من كل اوب.

وان تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بايجابها، وتنقص بالمنازلة ارضها من اطرافها ليمحوا كلمة الاسلام منها ويقلعوا ظل الايمان عنها، فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد، وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد، فما وصلناها الا وقد اخذ اخذه العدو الكفور، وسدت اجفان الطواغيت مجاز العبور، وأتوا من اجفانهم بما لا يحصى عددا، وارصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز الى دفع العدا، وتقاصوا عن الانبساط في البلاد، واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء ـ اعادها الله ـ بكل من جمعوه من الاعداد، لاكتنا مع انسداد تلك السبيل،

وعدم امور نستعين بها في ذلكم العمل الجليل، حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد، واضرمناهم بما امكن من الجند، وجهزنا اجفانا مختلسين فرصة الاجازة، تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه، وامرنا لصاحب الاندلس من المال، بما يجهز به حركته لمداناة محلة جزب الضلال، واجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة، وارضخنا لهم من النوال ما نرجوا به ثواب الاخرة، وجعلت اجفاننا تتردد في ميناء السواحل، وتلج ابواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل، مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة، والخيل المسومة، والاقوات المقومة، فمن ناج حارب دونه الاجل، وشهيد مضى عند الله عز وجل، وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر، حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر، ثم لم نقنع بهذا العمل في الامداد، فبعثنا أحد اولادنا اسعدهم الله مساهمة بهلأهل تلك البلاد، فلقى من هول البحر وارتجاجه، والحاح العدو ولجاجه، ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب، ولما خلص لتلك العدوة بمن أبقته الشدائد، نزل بازاء الكافر الجاحد، حتى كان منه بفرسخين او أدنى. وقد ضرب بعطن يصابح العدد ويماسيه بحرب بها يمنى، وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته، وقويت في الحرب ارادته، يبلون البلاء الاصدق، ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الاورق، الا أن المطاولة بحصارها في البحر مدة ثلاثة اعوام ونصف، ومنازلتها في البر نحو عامين معقودا عليها الصف

بالصف، أدى الى فناء الاقوات في البلد، حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد، وبه من الخلق ما يربي على عشرة آلاف دون الحرم والولد، فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب في الاذن له في عقد الصلح، ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح، فاذنا له فيه الاذن العام، اذ في اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك وعن النصارى الى السلم فاستجابوا، وقد كانوا علموا فناء الاقوات وما استرابوا، فتم الصلح الى عشر سنين، وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين، ولا رزءوا مالا ولا عدة، ولا لقوا في خروجهم غير النزوح عن اول ارض مس الجلد ترابها شدة، ووصلوا الينا فاجزلناهم العطاء، واسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها، وخلع تربى على عشرة آلاف اطواقها، وأموال عمت الغنى والفقير، ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير، وكف الله ضر الطواغيت عما عداها، وما انقلبوا بغير مدرة[1] عفا رسمها وصم صداها.

وقد كان من لطف الله حين قضى باخذ هذا الثغر، ان قدر لنا فتح جبل طارق من ايدي الكفر، وهو المطل على هذه المذرة، والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة، حتى يفرق عقد الكفار، ويفرج بهذه

---

(1) هذه زخرفة لفضية وتسلية باردة وما ضاعت بلاد الاسلام الا بمثل هذا التهاون، ولنا من قصيدة كنا انشدناها بالمدرسة الاهلية بتطوان من نحو عشرة اعوام:

لولا تهاونا ما كان عاجلنا • هذا التاخر او رايتنا خولا

الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار، فلولا اجلابهم من كل جانب، وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب، لما باليانا باصفاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم، ولكن للموانع احكام، ولا راد لما جرت به الاقلام، وقد امرنا لذلك الثغر بما يزيد به المدد، وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد، وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر، ونرتبط الجياد وننتخب العدد لوقت الظهور المنتظر، ونكون على اهبة الجهاد، وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الاعاد، وعند عودنا من تلك المحاولة، نيسر الركب الحجازي موجها الى هناكم رواحله، فاصدرنا اليكم هذا الخطاب، اصدار الود الخالص والحب اللباب، وعندنا لكم ما عند احنى الاباء، واعتقدنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء، وما لكم من غرض بهذه الانحاء، فموفى قصده على اكمل الاهواء، موالي تتميمه على اجمل الآراء، والبلاد باتحاد الود متحدة، والقلوب والايدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة، جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد، مدخورا ليوم التناد، مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد، بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب، وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الانم يخصكم كثيرا اثيرا ورحمة الله وبركاته.

ظهير السلطان ابي زيان المريني لابن الخطيب

في توقيره واعفائه من المغارم وتنفيذ راتب شهري له

هذا ظهير كريم من امير المسلمين ايده الله ونصره، وسنى له الفتح المبين ويسيره للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى، الارفع الامجد الاسمى الاوحد، الانوه الارقى، العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد الصدر الاحفل الافضل الاكمل ابي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل الافضل الحسيب الاصيل الاكمل المبرور المرحوم ابي محمد ابن الخطيب قابله ايده الله بوجه القبول والاقبال، واضفى عليه ملابس الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة امرنا العال، وامر في جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من محبي مدينة سلا حرسها الله ومن حيث جرت العادة ان تمشي له ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب له من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بخارجها واحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف، يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تاما،

واحتراما عاما، اعلن بتجديد الحظوة واتصالها، واتمام النعمة واكمالها، من تواريخ الاوامر المذكورة الى الآن ومن الآن الى ما ياتي على الدوام واتصال الايام، وان يحمل جانبه فيمن يشركه او يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت، والوظائف اذا افترضت، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف، وتتضاعف اسباب المنن والعوارف، بفضل الله تعالى وتحرر له الازواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة وتحاشى من مغرم او ضريبة، بالتحرير التام، بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه، وليمض ما امضاه، ان شاء الله.

كتاب السلطان ابي سعيد المريني الاصغر الى الملك الناصر فرج بن برقوق يعلمه باستعداده لمناصرته على العدو المهاجم

من عبد الله ووليه عثمان امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، سلطان الاسلام والمسلمين، ناشر بساط العدل في العالمين، المقتدي بآثار ءابائه الكرام، المنتقي سنتهم الحميدة في نصرة الاسلام، المعمل نفسه العزيزة في التهمم بما قلده الله من امور عباده، وحياطة ثغوره وبلاده، سيف الله المسلول على اعدائه، المنتشر عدله على اقطار المعمور وانحائه، ظل الله تعالى في ارضه، القائم بسنته وفرضه، عماد الدنيا والدين، علم الايمة المهتدين، ابن مولانا السلطان المظفر الخليفة الامام ملك الملوك الاعلام، فاتح البلدان والاقطار، ممهد الاقاليم والامصار، جامع

اشتات المحامد، ملجأ الصادر والوارد، الملك الجواد، الذي حلت محبته في الصدور محل الارواح في الاجساد، امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ابي العباس ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ابي سالم ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين ابي الحسن ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ابي سعيد ابن مولانا امير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وصل الله تعالى اسباب تاييده وعضده، وقضى باتصال عرف تجديد سعده، وانا له من جميل صنعه ما يتكفل بتيسير امره وبلوغ قصده.

الى محل اخينا الذي نوثر حق اخائه الكريم، ونثني على سلطانه السعيد ثناء الولي الحميم، ونشكر ما له فينا من الحب السليم، ولود الثابت المقيم، السلطان الجليل، الماجد الاصيل، الاعز الخطير المثيل، الشهير الامجد الارفع، الهمام الامنع، السري الارضى، المجاهد الامضى الاوحد الاسنى، المكين الاحمى، خديم الحرمين الشريفين، حائز الفخرين المنيفين، ناصر الدنيا والدين، محي العدل في العالمين، الاجد الاود المكين الاخلص الافضل الاكمل ابي السعادات فرج ابن السلطان الجليل، الاعز المثيل، الخطير الاصيل، الارفع الامجد، الشهير الهمام الاوحد، الاسمى الاسرى الارضى، المجاهد الامضى، خديم الحرمين الشريفين، حائز الفخرين المنيفين، الافضل الاكمل المبرور المقدم المرحوم

ابي سعيد برقوق ابن أنص، وصل الله لسلطانه المؤيد جدا لا يعجم عوده وعزا لا يميل عموده، ونصرا يملأ قطره بما يقص به حسوده، وعضدا ياخذ بزمام أمله السنى فيسوقه ويقوده.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

اما بعد حمد الله على سبوغ نعمائه، وترادف لطفه وءالائه، الذي عرفنا من ولائه الكريم ما سرنا من اطراد اعتنائه، وابهج النفوس والاسماع من صفاء ولائه، ومواصلة صفائه، والصلاة والسلام الاكملين على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله وانبيائه، ومبلغ رسالاته وانبائه، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، فاكرم بمقامه وحوضه ولوائه والرضى عن ءاله وصحبه واوليائه، الذين هم للدين بدور اهتدائه ونجوم اقتدائه، وصلة الدعاء لمقامكم الكريم بدوام عزه واعتلائه، واقتبال النصر المبالغ في احتفاله واحتفائه وحياطة انحائه وارجائه، وتاييد عزماته وءاراته.

فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم سعدا سافرا، وعزما ظافرا، من حضرتنا العلية بالمدينة البيضاء كلأها الله تعالى وحرسها ونعم الله سبحانه لدينا واكفة السجال، وولاؤه جل جلاله سابغ الاذيال، وخلافته التي نرعى بعين البر جوانبها، ونقتفي في كل منقبة كريمة سيرها الحميدة ومذاهبها، والى هذا وصل سعادتكم، ووالى عضدكم، وكتابنا هذا يقرر لكم من ودادنا ما شاع وذاع، ويؤكد من اخلاصنا اليكم ما تتحدث به

السمار فتوعيه جميع الاسماع، وقد كان انتهى الينا حركة عدو الله وعدو الاسلام، الباغي بالاجتراء على عباده سبحانه بالبؤس والانتقام الآخذ فيهم بالعيث والفساد، الساعي بجهده في تهديم الحصون وتخريب البلاد، وتعرفنا انه كان يعلق امله الخائب بالوصل الى اطراف بلادكم المصرية، وانتهاز الفرصة على حين غفلة من خلافتكم العلية، والحمد لله كفى بفضله شره، ودفع نقمته وضره، وانصرف ناكصا على عقبه، خائبا من نيل أربه ولقد كنا حين سمعنا بسوء رأيه الذي غلبه الله عليه، وما اضمر لخلق الله من الشر الذي يجده في اخراه ظلامه يسعى بين يديه عزمنا على ان نمدكم من عساكرنا المظفرة بما يضيق عنه الفضاء ونجهز لجهتكم من اساطيلنا المنصورة ما يحمد في امداده لمناصرة ويرتضى، فالحمد لله على ان كفى المومنين القتال، واذهب عنهم الاوجال، ويسر لهم الاعمال، وهيأ لخلافتكم السنية وللمسلمين، هناء يتضمن السلامة لكم ولهم على تعاقب الاعوام والسنين. وبحسب ما لنا فيكم من الود الذي اسست المصافاة بنيانه، والحب الذي اوضح الاخلاص برهانه، وقع تخيرنا فيمن يتوجه من بابنا الكريم لتفصيل مجمله، وتقرير ما لدينا فيه على اتم وجه الاعتقاد واكمله، على الشيخ الاجل الشريف المبارك الاصيل الاسنى الحظي الاعز الحاج المبرور الامين الاحفل الافضل الاكمل ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل الاغر الاسنى الاوجه الانوه الارفع الامجد الآثر الازهى الشريف الاصيل المعظم المثيل الاشهر الاخطر

الامثل الاجمل الافضل الاكمل المرضي المقدس المرحوم ابي عبد الله بن ابي القاسم بن نفيس الحسيني العراقي، وصل الله سعادته، واحمد على حضرتكم السنية وفادته، حسب ما يفي بشرح ما حملناه نقله، ويكمل بابضاحه لديكم يقظته ونبله، ان شاء الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يديم سعادتكم ويحفظ مجادتكم، ويسنى من كل خير ارادتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بيعة صاحب مملكة برنو منه اقطار السودان
للمنصور الذهبي أنشأها له كاتب المنصور
عبد العزيز الفشتالي

الحمد لله الذي اعلى لكلمة الحق منارا يسامى في مطالعها النجوم، وازاح بها عن شمس الهدايا المنيرة غياهب الغباوة المدلهمة وسحاب الغواية المركوم، وحى على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة اجلها المعلوم، وشرف هذا الوجود، والعالم الموجود، بالخلافة النبوية، والامامة الحسنة العلوية، التي صرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة، واستبان الحق بتبلج الصباح في مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة، ونسخ بدولتها الغراء دول الحيف التي هى بسيف النبوة المصلت مقطوعة وبلسان السنة مدفوعة، وقوض بها مباني الادعاء التي هى على غير اساس الشرع الصحيح مرفوعة، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التي هى على مشاقة الله ورسوله تابعة ومتبوعة، وخلع

بظهورها على اعطاف الحنيفية السمحة رداء العز الفضفاض، واستل بتاييدها للدين المحمدي سيف الانفة والامتعاض، واشار للاعادى من بأسها المروع بلسان الحية النضناض، وفجر للمومنين ينبوع رحمتها الجاري على حصى عدلها الرضراض، ومهد بسيوفها المنتضاة الآفاق والاقطار تمهيدا ازال عن حكمه الاعتراض، وجلى بانوارها المتألقة سدف الجهالة التي ادلهم جوها وغيم، واسعد الوجود بيمنها الذي لبث في اكناف مجدها وخيم، وقضى لها بتراحم الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى ابن مريم.

والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي تعاضدت البراهين القاطعة، على صدق رسالته البارعة، ونهج للدين القويم طريقة الحق المثلى ومادته الشارعة، وسوغ لمن ءامن به مناهل الهدى النميرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه، نبي الرحمة، وشفيع الامة، وعلى ءاله واصحابه الكرام ايمة الهدى ومصابيح الظلام.

والدعاء لمولانا الامام، العلوي الهمام، امير المومنين، ابن امير المومنين، نجل سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، وسليل الوصى والسبطين.

وبعد فانه لما اذن الله في ليل الجهالة ان ينجاب، وفي شمس الحق الوهاجة ان يرتفع عنها الحجاب، وفي العز الخلق الجلباب، ان يعود الى الشباب، وفي النجاح والاستقامة ان يفتح لهما الباب، وفي الامارة ان تسند السنة والكتاب وتتعلق من الشرع باسباب، تدارك الله سبحانه الوجود واعز العالم الموجود واستطارت الانوار المضيئة للاغوار والنجود، بطلوع شمس

الخلافة النبوية، والامامة الهاشمية العلوية، ففاضت على أديم البسيطة انوارها، وارتفع الى حيث السها والفرقدين منارها، وتبلج بالاصباح نهارها ولاحت في سماء المجد بدورها واقمارها، وكادت تنهب نجوم السماء اتباعها وانصارها، وانتشرت في الآفاق والاقطار على البعد والقرب ءاثارها، وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها واخبارها وفاض ببركتها على اكناف المعمور يمها الزاهر وتيارها، خلافة ينتمي الى النبوة عنصرها وتستنبط من رسالة الوحي اسطرها، ويناط بعروتها الوثقى خنصرها، وامامة علي وليها والله نصيرها والسبط بدرها الذي حياه منبرها وسريرها.

والحمد لله الذي اصطفى من هذه الدوحة النبوية الشماء، والشجرة الطيبة الهاشمية التي اصلها ثابت وفرعها في السماء، إماماً القى الله له في القلوب حبا جميلا، ومولى جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا وخليفة استرعاه بحسن الرعي لخلقه وعباده كفيلا، وانتضى من بأسه وبسالته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا، مولانا امير المومنين، وخليفة الله في الارضين، وسليل خاتم النبيئين، ووارث الانبياء والمرسلين، المفترضة طاعته على الخلق اجمعين، والممنون بامامته المقدسة على العالمين، بحر الندى والباس، وعصمة الله للناس، امير المومنين، المنصور بالله مولانا أبا العباس صلوات الله عليه وعلى ءاله الخلفاء الراشدين والايمة الطيبين الطاهرين، وطيب بانفاس المغفرة لحودهم اجمعين. امام تهتز لذكره اعطاف المنابر، وتتقلد من شريف دعوته ابهى من نفيس الجواهر، وتستضيء البلاد

بالكيل شرفه الزاهر، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر ابقى الله ايامه الغر بقاء يصحب النصر دوامه، وخلد له ولاعقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة.

ولما طلعت، ايده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته، ولاحت في سمائها شهب مناقبه المنيفة الدالة على فخامة شرفه وانافته، وتليت لمجده آلايات البينات التي تشهد له بتراث الرسالة، وتقضي له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة، واوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته والاقتداء بامامته، والانقياد لدعوته، وتقليد بيعته ماجاء به كتابه الحكيم، ووردت سنة نبيه الكريم كما قال عليه السلام لاتزال الخلافة في قريش ما بقى منهم اثنان، وكما ورد في صحيح الخبر ان الخلافة في قريش والقضاء في الانصار وفي الحبشة الاذان، ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان، فلاناكر ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره ايده الله من ثان، فنهض بدليل الشرع انه امام الجماعة حقا المستوفى شروطها، والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام ان يحوطها، وان القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره دعي، ومحاوله دون اذنه المشروع بدعي، فتعين لذلك ان الرجوع الى الحق فريضة، واستبان بما تقرر وعلم ان امارة لا تلاقى في الشروع محلها المشروع منبوذة مرفوضة، وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة.

فانتدب لهذه الاثار، وصحيح الاخبار، وصرف الى رضا الله العناية

ووقف من الشرائع المشروعة حيث مركز الراية، ومنتهى الغاية، الرئيس ابو العلاء ادريس اكرمه الله انتداب فى وقفت به مطية التوفيق، على حضرة الاخلاص والتصديق، واخذت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضا الله ورضا رسوله حقيق، والتاييد صاحب ورفيق، وروض الآمال انيق وراح الراحة والاطمئنان عتيق الى تلقد بيعة امام الجماعة امير المومنين، المنصور بالله زاده الله تقديسا وتشريفا، التي تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان، وءاثر اسعده الله ان يؤدي فرضها المعدود من فروض الاعيان، وحكمها الذى توجه بـه خطاب الشرع العام الى القاصي والدان، وينشر سنتها المشروعة فـي صقعه وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان، تقلداً يستضيء ان شاء الله بانواره، ويستشرف به العز المكين على مناره، ويخمد به للجهل جذوة ناره وتنتظم به في اتباع الحق زمرة انصاره ويجتلي به صورة انسانه، ويستوجب من الله عوارف صنعه واحسانه ويرهف به للعدو على العزمات حد سيفه وسنانه، ويقرع به لرضا الله باب القبول، ويتضاعف له ببركته العمل المقبول، ويستنشق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوة، ويعود له به الزمان للشباب والفتوة، ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع الوثيقة، ويعدل به في كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة، وتتسنى له به وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى الاسوة الحسنة بامامى من بني العباس السفاح والمنصور، ويحيى سنتهما التي نقلها ثقات الاعلام والصدور في مبايعتهما

الامام الخليفة المهدي الاكبرسليل سيد المرسلين، وجد مولانا امير المومنين الذي رأى امام دار الهجرة انه بتراث الخلافة اولى واحق، وفي منصب الامامة على شرطها اعرق، وبسريرها ومنبرها أليق.

فتأكد للمنتدب ايده الله بهذه الآثار الشريفة، والمناقب المنيفة، العزم والقصد، وانجز له فيما اراده صادق الوعد وساعد نيته الصالحة فيه السعد، فبايعه اعلى الله يده على الامن والامانة، والعفاف والديانة والعدل الذي يشيد المجد اركانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم اكرم الله اتباعه، وجموعه واشياعه، بحكم الوفاق والاتفاق، والمواثيق الشديدة الوثاق، وبجميع الايمان الصادقة الايمان، اعطوا بها صفقة ايديهم، ورفع بها العقيرة مناديهم عارفين ان يد الله فيها فوق ايديهم، وأمضوها على السمع والطاعة، والانتظام في سلك الجماعة، امضاء يدينون به في السر والجهر، والعسر واليسر، والرخاء والشدة، والازمان المشتدة، والتزموا شروطها طوعا واستوعبوها جنسا ونوعا، بنيات منهم خالصة صادقة، وعدة من الله بالخير لهم سابقة، وسعادة بالحسنى لاحقة، ابرموا عقدها، واحكموا وعدها وعهدها، على حكم الكتاب والسنة والجماعة، والاخذ بسنتها اعقابا عن اعقاب، واحقابا اثر احقاب، الى يوم القيامة واقتراب الساعة، لا يلحق عقدها الكريم فسخ، ولا يعقبه بحول الله نسخ، ولا يتطرق إليه نقض ولا نكث ولا يشوبه بشوائب الشبهات بحث، واجمع على هذا اسعده الله بالمواثيق المستفيضة والايمان اللازمة المغلظة هو واتباعه اجماعا شرعيا، وختموه على

انفسهم حتما مقضيا واعتقدوه اعتقادا ابديا، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك افرادا وازواجا، وحدانا وافواجا، واشهدوا على الوفاء به بايمانهم الصادقة البرور، ومواثيقهم المثلجة للصدور، قائلين بالله الذي لا اله الا هو الملك القدوس العليم بالخفيات، والخبير بالآجال الوفيات، وبجميع الرسل الكرام والانبياء وملائكة الرحمان فى الارض والسماء، وعلى انهم ان حادوا عن هذا السبيل، وانقادوا لدعاء داعى التغيير والتبديل، او انحرفوا عن هذا المنهاج وسنته، فهم برءاء من حول الله وقوته، ومن دينه وعصمته، ومستوجبين لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته، وبعداء من رحمته، ومن شفاعة نبيه الكريم يوم القيامة لامته، وانهم خالعون لربقة الاسلام، وخارجون عن سنة الرسول عليه السلام، اعلنوا بهذا اعلانا تعضده النجوى، وادوه بشروطه الجارية على مذاهب الفتوى، واحكامه اللازمة لكلمة التقوى، استرضاء لله وللخلافة النبوية، والامامة العلوية، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة النقيبة، واستيفاء لشروطها واقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة، مستسلمين الى الله بالقلوب الخاشعة، ومتضرعين الى بابه الكريم بالادعية النافعة، في ان يعرفهم خير هذا العقد الكريم، والعهد الصميم بدءا وختاما، وان يمنحهم بركته التي تصحبهم حالا ودواما، لارب غيره ولاخير الا خيره.

اشهد على نفسه بما فيه وعلى رعيته الرئيس ابو العلاء ادريس اسعده الله واكرمه وبتاريخ المحرم الحرام من عام تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية

كتاب المنصور الى الشيخين البدر القرافي والزين البكري في اعلامهما ببعض الفتوح وتشوفه للاندلس

من عبد ربه المجاهد في سبيله احمد المنصور بالله امير المومنين الحسني الى الفاضل الذي اعتجر بالتقوى وهو زين العابدين، وتحلى بحلى المعارف الربانية وتلك حلى العارفين، والسالك الذي برز في الطريقة، وسلك على المجاز الواضح الى الحقيقة، ففات شأو السابقين، والعارف الذي تجرد عن رعونة الاهواء النفسانية فكان سلوكه على التجريد الى حضرة الواصلين الشيخ العالم الحجة الوافي، السيد بدر الدين القرافي، والشيخ العارف الواصل، السري الكامل، سلالة العلماء، سبط الفضلاء، ابي عبدالله زين العابدين ابن الشيخ السامي المقام، قطب المشائخ الاعلام، فخر علماء الاسلام، الشهير البركة في الانام، ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن الصديقي، ابقاكما الله وارواحكما تتعطر برياحين الانس، في حضرة القدس وتشم النفحات الهابة من رياض المشاهدة الى مدارج الانس ومعارج النفس، وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته:

وبعد حمد الله مفيض انوار عناية احمد على صاحبه الصديق، مظهر كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت عتيق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختار لمرافقته صاحبه في الغار والعريش والطريق، والرضا عن اله ايمة الخلق، وسيوف الحق، واصحابه الذين فاضت انوار هدايتهم على الغرب والشرق، وببركتهم انتسق انا الفتح انتساق الاسلاك، وبفضلهم

يعلو سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الافلاك ـ فكتبنا هذا اليكم من حضرتنا السعيدة مراكش حاطها الله وصنع لها مفعم السجال، وواسع المجال، وعزمتها الماضية تبعث الى العدى رسل الاوجال. والايام بعز صولتها، ويمن دولتها، بهذه المغارب باسمة الثغور، موذنة باتصال امرها العزيز بحول الله الى ان تطوى ملاءة الدهور

هذا وانه اتصل بعلي مقامنا كتابكما الذي صدحت على افنان البلاغة سواجعه، وعذبت في موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ولطفت في كل معنى من المعاني افانينه ومنازعه، وتالفت على الاجادة في كل مقصد من المقاصد مواصله العذبة ومقاطعه، واينعت بازهار العناية الربانية اباطحه الفيح واجارعه، ومعه المنظومات التي سحت بالحكم ديمها، ورسا في البلاغة، قدمها، وربا في منبت المواهب الربانية يراعها الفصيح وقلمها، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه الثريا في مطلعها والبدر ليلة تمامه اعجابا بهاوتنويها بمهديها، وابتهاجا بالخوارق التي اطاق الله على لسان مبديها، والى هذا فليحط علمكما بان مقامنا تنفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم، وتنمو فيه مع الايام سعود مطالعكم، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم، وتستوضح فيه على المحبة الصميمة اماراتكم الواضحة وعلاماتكم، فعلى هذا تنعقد منكم الخناصر، وتشتد الاواخى والاواصر، بعز الله ومنه.

ثم مما نستطرد لكم ذكره على جهة البشري، واهداء المسرة الكبرى

اعلامكم ان عدو الدين طاغية قشتالة الذي هو اليوم العدو الكبير للاسلام وعميد ملل التثليث وعبدة الاصنام لما انس من تلقاء جانبنا نار العزم تلتهب منا التهابا، وبحر الاحتفال تضطرب امواجه الزاخرة بكل عدد وعدة اضطرابا، وهممنا قد همت بتجديد الاسطول، والاستكثار من المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين ممطول، وعلم ان الحديث اليه يساق، والى ارضه بالخسف والتدمير يحول الله يهفو كل لواء خفاق رام خذله الله مكافاتنا على ذلك بما امل ان يفت به في عضدنا الاقوى، وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى فرمى بمخذول من ابناء اخينا عبد الله كان ربي لديه، وطوحت به الطوائح منذ ثمانية عشر عاما، اليه، الى مليلية احدى الثغور المصاقبة لغرب ممالكنا الشريفة التي هى الى كفالة ولدنا وولي عهدنا، كافل الامة من بعدنا، الامير الاجل الارضى، صارم العزم المنتضى، وحسام الدين م الامضى، ابي عبد الله محمد الشيخ المامون بالله وصل الله لراياته التاييد والظهور، والعز الذي يستخدم الايام والدهور، فالتف عليه من اغتر باطيلة الواهية البناء، من اوباش العامة والغوغاء، ومن فضى له من اجناد تلك الناحية بالشقاء جموع تكاثر الرمل، وتفوت الحصا والنمل، لاح بها للشقي خلب بارق اكذبته أمنيته اذ صدقته منيته، فصمم نحوه ولدنا اعزه الله بجنود الله التي اليه، وبعساكر تلك الممالك التي القينا زمام تدبيرها بين يديه فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من الجو انقضاض الاجدل، وتصميمه اليه بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجندل

فاستولي عليه بحمد الله للحين، وعلى جنوده الاشقياء في يوم اغر محجل وساعة انزل الله فيها على الخوارج المارقين العذاب المعجل فاستاصلتهم الشفار، وحصدت هشيمهم المصوح اسنة النار، وقبض على الشقى في يوم كان شفاء للصدور، ومنتزها لحملة السيوف وربات الخدور، واحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم، والمن الجسيم، لولدنا اعزه الله عزوجل في خاصة اجناده، ونهض وحده باعبائه ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون، واجنادنا في اوطارنا لاهون ومفتنون، فلم يحتج الى انجاده من قبلنا ولا امداده والعاقبة للمتقين، والحمد لله حمد الشاكرين.

وعرفناكم لتاخذوا بحظكم من السرور بهذه البشرى التي سرت الاسلام وساءت بحمد الله عبدة الاوثان والاصنام، وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم، وشحذ اراء الحزم، واعمال عوامل الجزم، الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله على فعلته التي عادت عليه أسفا ولهفا، واعادة ما كان اسلف من ذلك إن شاء الله بالمكيال الاوفى، وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا إن شاء الله بادعيتكم الصالحة في اوقات الاجابة، وتحرصوا على التماسها هنالك وبالحرمين الشريفين من كل ذي خضوع وانابة، ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله، وينجز لنا وعده الصادق في اظهار دين الحق على الدين كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته اسباب فتح الاندلس، وتجديد رسوم الدين بها واحياء أطلاله الدرس، حتى ينطلق لسان الدين في ارضها

بكلمة الله التي طالما سكت عنها نداؤه وخرس، وشرق بريقه فغص وخنس، فبيده الحول والقوة، وعنايته العناية المرجوة.

ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع اصحابنا فيما يشترى من الكتب العلمية برسم خزانتنا الكريمة الامامية العلية، ثم الاتحاف بديوان الشيخ والدكم التماسا لجميل بركاته، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة في سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته، وهذا موجبه اليكم، والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته.

توقيعه على كتاب جؤذر

لما انتصر جؤذر مولى المنصور على اسحاق سكية صاحب السودان فر هذا أمامه واعتصم ببلده كاغو فحاصره جؤذر فطلب الصلح على خراج عظيم يؤديه للمنصور كل سنة فكتب جؤذر بذلك للمنصور يستامره فيه فغضب المنصور ووقع على كتاب جؤذر «أتمدونني بمال فما ءاتاني الله خير مما ءاتاكم الاية» ثم أرسل القائد محمودا باشا وعزل به جؤذرا وكان الفتح على يده.

عهد السلطان مولاي سليمان العلوي لولد امير

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه اجمعين أما بعد فان الامام الذي يصلح ان يكون مالكا للمسلمين وخليفة عن رب العالمين، من شروطه المحافظة على الصلوات في اوقاتها في الجماعة ومن شروطه ان يحمي حرمات الله وحرمات المسلمين ويعظم ما عظم الله

ويرحم الضعفاء ويصل ما امر الله بوصله ويقطع ما امر الله بقطعه، ومن شروطه ان لا يتعامى عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد ان قدر عليه ثم باللسان ثم بالقلب وذلك اضعف الايمان. وهذه الشروط كلها قد اجتمعت في ولد اخينا مولاي عبد الرحمن بن هشام، فاشهد الله انه اهل لها وهي اهل له. اقول الحق ولا ابالي.

كتبه عبد ربه سليمان بن محمد غفر الله له

كتاب السلطان مولاى الحسن لاهل مملكته

في اعلامهم بنتيجة حركته الى السوس

اما بعد فانا لما نهضنا من مراكش بحول الله وقوته، وسطوته الباهرة وصولته، وجيوش الله المظفرة موفورة، وجنوده سبحانه مقطورة، واعلامها منشورة منصورة، نهضة معتمد على مولاه، منقاد لما قذف في قلبه فابداه، متمسك بعروته الوثقى التي من استمسك بها بلغ مناه، وانتهينا بمعونة الله لمبدإ هذه الاقطار السوسية، وامتطينا صهوتها وهي ذاول في ربوع اليمن ساعية، وبنود الله خافقة على مفارق الظفر وبذرى المجد سامية، تواردت على حضرتنا العالية بالله الوفود متناسقة متتابعة، وانتظمت في سلك السمع والطاعة والخدمة الجامعة، فتسارعوا الى ما اليه دعوا، وتلقوه تلقي الظمئان فنهلوا وكرعوا، واوفدوا لوفود كبرائهم واعيانهم واشياخهم مصباحا، واستضاءوا بضياء نور الله غدوا ورواحا، ومدوا اعناق الاذعان، وبسطوا ايدي المسالمة والابقاء عليهم والامتنان، بعد ما كانت قد بلغت

منهم القلوب الحناجر، وارتعدت فرائصهم من هيبة الله ثم اطمأن البر وشره الفاجر، وانتبهت اجفان المراسم المخزنية[1] التي عفت بعدنومتها، «فانظر الى ءاثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها» وصرفنا اليهم عنان الترتيب، بعد ان وطأنا لهم كنف الترحيب، فبوأنا من توسمنا فيه الاهلية للتولية على اخوانه مهادا، وقلدناه امرهم جمعا وفرادى، وضربنا لكل فيها على مقتضى السياسة بمعونة الله بسهم مصيب، وارعيناه من مربع خدمتنا الشريفة المرعى الخصيب، حتى وقع التمكن من ازمتهم، واجلسنا خاصتهم وعمالهم على اسرتهم، فاتصلت بهم المخزنية اتصال الارواح بالاجساد واستنارت هذه الارجاء بنور الله استنارة عمت الحاضر والباد، فادوا من الطرف والهدايا، ما فيه غنية لمن ركب متن المزايا، مع كون البلاد لم تتكح بالمخزن مدة من السنين، تنيف على عدد الستين، ولو لم تنل من هذه الفتوح الباهرة بفضل الله الا عشرا، لكان في جنب من قدم عهده بالمخزنية كثيرا، ولاكن ما عودنا سبحانه الا الجميل، اذ هو المتصرف الغني القاهر القوى الكفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. ثم ولينا عليهم من القضاة من فيهم الكفاية لاقامة شرائع الدين، ولم نال جهدا فى انتخابهم من امثل المقلدين[2]، عالما بان الشرع عليه المبنى، وبه يعمر المغنى، ويغزر الحس

---

(1) اى السلطانية نسبة الى المخزن وهو في عرف المغاربة يعني الحكومة والسلطان وقدتكرر اللفظ في هذه الرسالة

(2) بفتح اللام المشددة الذين يقلدهم الناس اي يتبعونهم وهم الفقهاء

والمعنى، ثم[1] تطارح شرفاؤهم ومرابطوهم على اعلى جنابنا باقرارهم على عوائدهم، وابقائهم على اعرافهم وعاتدهم التى عندهم عليها ظهائر اسلافنا المقدسين، ايمة المسلمين وامراء المومنين وكذا ظهائر من غبر من الملوك المتقدمين، رضوان الله عليهم اجمعين، فانتهجنا، نهجهم، وسمكنا بحول الله اوجهم، وساعدناهم فاقررنا وجددنا لكل ظهيره، واجريناه على ما اسس له من المجد وجعلناه سميه وسميره،

وحيث كان القصد الاهم من هذه الوجهة المباركة هو حماية ذمار هؤلاء المسلمين، والدفاع عن بلادهم ورقابهم واموالهم مماطمحت اليه نفوس المؤملين، وكان ملاك ذلك هو فتح المرسى بوادى نول بمحل يسمى ءاساكا بارض قبيلتي تكنا وءايت باعمران اذ بفتحها يستقيم امر الدفاع ويسهل على هل ذلك المحل البيع والابتياع، يقينا بان سد ابواب الضرر من الامر المحتوم، وارشاد الضال في الشرع من المقرر المعلوم، تسابق القبيلتان المذكورتان الى تلقى جنابنا العالي حين عبرنا وادي والغاس، وقصدنا بجيوش الله بلادهم قصد طبيب ءاس، فتلقوا ركابنا السعيد بمحل يعرف بآمصاو قرب مرسى تمسى بآكلوا اذهو الطرف الموالى لآيت باعمران المسمى بالساحل، واليه شدت هذه المراحل، وبين ءامصاو ومحل المرسى الذي اريد فتحه مرحلتان، وثلاث عشرة ساعة ميقاتية مقدرتان فاتوا بشرفائهم وفقهائهم ومرابطيهم واعيانهم واشياخهم المالكين لقيادهم فقوبلوا بما قوبل

(1) عطف هذا على ما قبله يبين ان المراد بالعوائد والاعراف امر غير نبذ الشريعة بالعراء واسقاط وظيفة القضاء

به امثالهم، وناسب ان يتصل به حالهم. ثم ولينا عليهم عدة من العمال، جعلناهم بحول الله عدة في تلك الاعمال، وحينئذ وقع الكلام معهم في شأن المرسى، فامتثلوا ما امرناهم به من فتحها امتثال من اضحى يتقلب في رضا الله ورسوله وامسى، ثم وجهنا معهم سرية من اعيان الجيش معتبرة، ومعهم من الفقهاء والمهندسين من يعتد بهم في رسم تلك المرسى وتخطيطها على نهج القواعد المقررة والاعمال المحررة، اقتضى المقام والحال تسبيقها رفقا بعباد الله، واعتبارا بان الله سبحانه قد قضى الغرض ووهبه واسداه «وما تشاءون الا ان يشاء الله» قل ان الفضل بيد الله، وما بكم من نعمة فمن الله» ثم اقمنا في المحل المذكور لانتظارهم، في تشييد منارهم فان انقلبوا بالمقصود فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وان لم يشفوا الغليل شددنا بحول الله لذلك المرسى عزمات الرحيل، وقطعنا تلك المفازات.

هذا وقد نصبنا قائدا من قواد جيشنا السعيد، مختارا من ذوي الرأي السديد، واقمناه بقصبة تيزنيت محل المخزن في القديم، بقصد ان يكون اعانة لسائر عمال القطر السوسي من وادي والغاس الى منتهى وادي نول وكليميم، يتفاوضون معه فيما عسى ان يعرض لهم من المهمات ولاسيما اذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات، بعد ما عرفناهم بانا اقمناه مشرفا للتفاوض معه وبصيرة على ما قصدنا من فتح ذلك المرسى، ايثاراً للنعمى ودفعا للبؤسى، ففرحوا بذلك فرح الظمئان الوارد، والضال الواجد، ووقع الاشهاد عليهم بكل ما فصلناه، وانبرم عقده معهم على نحو ما رسمناه

فكان ذلك تمام العمل الذي قصدناه، والمورد الذي اردناه وانتحيناه، والله تعالى يخلص في ذاته العمل، ويجعل هذه الوجهة المباركة بفضله ومنته من الجهاد المتقبل، انه جواد كريم، متفضل غني حليم، والسلام.

توقيعات له

كان رحمه الله كما يحكى عن المنصور الموحدي حسن التوقيع فمما وقع به على كتاب قوم بالغوا في الشكوى اليه بعبد الله بن موسى وهو ممن احسن اليه ايام كونه بسوس قبل ولايته «لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل»

وكتب اليه الطلبة يستاذنونه في اقامة نزهتهم قبل الابان وهو بفاس عسى ان يحضرها فوقع لهم «حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا»

ورفع اليه اهل فاس اعتذارهم عما كان من الفتنة قائلين ان ذلك من فعل السفهاء، فوقع «السفيه اذا لم ينه فهو مامور»

وكتب اليه بعض مشائخ القبائل وقد اوقع بهم «اتهلكنا بما فعل السفهاء منا» فوقع له «وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم»

(ب) الاخوانيات

رسالة للقاضي عياض الى الفتح ابن خاقان

حمله فيها تحية للرئيس ابي عبد الرحمان بن طاهر

عمادي ابا نصر، مثني الوزارة ووحيد العصر، هل لك في منة تفوت

الحصر، تخف محملا، وتبلغ املاء وتشكر قولا وعملا، شكراً تترنم به الحداة تقيلا ورملا، اذا بلغت الحضرة العلية مستلما، ولقيت الطاهر ابن طاهر فخر الوزارة مسلماً، وحللت من فنائه الارحب حرما، ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرما، فقف شوقي بعرفات تلك المعارف، وانسك شكري بمشاعر تلك العوارف، واطف إكباري بكعبة ذاك الجلال سبعا وبوىء لودي في مقر ذلك الكمال ربعا، وابلغ عني تلك الفضائل سلاما يلتثم بصريح الحب التئاما، ويحسن عني بظهر الغيب مقاما، ويسير عني بأرج الحمد انجادا واتهاما.

رسالة لابي الحسن بن مراوه الرباطي الكاتب

الى ابن الربيب المؤرخ وقد استعار منه نسخة من تاريخ غريب

يا أخي سدد الله اراءك، وجعل عقلك امامك لاوراءك، مايلزمني من كونك مضيعا ان اكون كذلك، والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا اوحشني الناس وكاتم سري اذا خانوني فما اعيرها الا بشيء أعلم انك تتأذى بفقده اذا فقد جزء من النسخة وانا الذي اقول:

أنس اخي الفضل كتاب انيق او صاحب يعني بود وثيق
فان تعره دون رهن به تخسره او تخسر وداد الصديق
وربما تخسر هذا وذا فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

رسالة لابن هانيء السبتي اجاب بها ابا القاسم الشريف

وكان بعث له بقصيدة همزية فرد عليه بقصيدة مثلها وهذا النثر

هذا بنى، وصل الله سبحانه لي ولك علو المقدار، واجرى وفق او فوق ارادتك وارادتي لك جاريات الاقدار: ما سنح به الذهن الكليل، واللسان الفليل، في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالبة السراء الاخذة بمجامع القلوب، الموفية بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع والاسلوب، المتحلية بالحلى السنية، العريقة المنتسب في العلى الحسنية، الجالية لصدا القلوب ران عليها الكسل، وخانها المسعدان السؤل والامل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو اقامت حولها، شكت ويلها وعولها، وحرمت من فريضة الفضيلة عولها، وعهدي بها والزمان زمان، واحكامها الماضية اماني مقضية وامان، تتوارد الافها، ويجمع اجماعها وخلافها، ويساعدها من الالفاظ كل سهل ممتنع، مفترق مجتمع، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلى، واضح العلا، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين، ايد من الفصاحة بأياد، قلم يحفل بصاحبي طيىء وإياد، وكسي نصاعة البلاغة، فلم يعبأ بهمام وابن المراغة، شفاء المحزون، وعلم سر المخزون، ما بين منثوره والموزون.

والآن لا ملهج ولا مبهج، ولا مرشد ولا منهج، عكست القضايا فلم تنتج، فتبلد القلب الذكى، ولم يرشح القلم الزكى وعم الافحام، وغم الاحجام، وتمكن الاكداء والاجبال، وكورت الشمس وسيرت الجبال، وعلت سآمة، وغلبت

ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لنوعي الادب قيامة، حتى اذا ورد ذلك المهرق، وفرع غصنه المورق، تغنى به الحمام الاورق، واحاط بعداد عداته الغصص والشرق، وامن من الغصب والسرق، وأقبل الامن وذهب لاقباله الفرق، نفخ في صور اهل المنظوم والمنثور، بعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتراءت للأدب صور، وعمرت للبلاغة كور، وهمت لليراعة درر، ونظمت للبراعة درر، وعندما تبين انك واحد حلبة البيان، والسابق في ذلك الميدان يوم الرهان، فكان لك القدم، وأقر لك مع التأخر السابق الاقدم، فوحق فصاحة الفاظ اجدتها حين أوردتها، واسلتها حين أرسلتها، وازنتها حين وزنتها، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها، وارويتها حين رويتها، واوريتها واصلتها، حين فصلتها ووصلتها، ونظام جعلته يحسد البيان قلبا، ولمعصمه قلبا، وهصرت حدائقه غلبا وارتكبت رويه صعبا، ونثار اتبعته له خديما، وصيرته لمدير كأسه نديما، ولحفظه ذمامه المدامي او مدامه الذمامي مديما، لقد فتنتني حين اتتني، وسبتني حين صبتني، فذهبت خفتها بوقاري، ولم يرعها بعد شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحبا، وحللت لفتنتها الحبا، ولم أحفل بشيب، وألفيت ما رد نصابي نصيب، وان كنا فرسى رهان، وسابقي حلبة ميدان، غير أن الجلدة بيضاء، والمرجو الاغضاء بل الارضاء.

بني، كيف رأيت للبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع الى نوع، أين صفوان بن ادريس، ومحل دعواه بين رحلة وتعريس، كم بين ثقاء

بقر الفلاة وبين ليث الفريس، كما انـي اعلم قطعا واقطع علما، واحكم قضاء وامضي حكما، انه لو نظر الى قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته، لذهب عرضا وطولا ثم اعتقد لك اليد الطولى، واقر فارتفع النزاع، وذهبت له تلك العلامات والاطماع، ونسى كلمته اللؤلؤية، ورجع عـن دعواه الادبية، واستغفر ربه من تلك الالهية.

بنيّ، وهذا من ذلك، من الجري فـي تلك المسالك، والتبسط في تلك المئاخذ والمتارك، أينزع غيري هـذا المنزع، أم المرء بنفسه وابنه مولع، حيا الله الادب وبنيه، واعاد علينا من ايامه وسنيه، ما أعلى تنازعه، واكبر منازعه، واجل مآخذه، واجهل تاركه واعلم ءاخذه، وارق طباعه، واحق اشياعه واتباعه، وابعد طريقه، واسعد فريقه، واقوم نهجه، واوثق نسجه، وأسمح الفاظه، وافصح عكاظه، واصدق معانيه والفاظه، وأحمد نظامه ونثاره، واغنى شعاره ودثـاره، فعائبه مطرود، وعـائبه مصفود، وجاهله محصود، وعـالمه محسود، غير ان الاحسان فيه قليل، والطريق الاصابة فيه علم ودليل، من ظفر بهما وصل، وعـلى الغاية القصوى منه حصل، ومن نكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البر الزكي، الحبيب الحفي، الصفي الوفي، انك حـامل رايته، وواصل غايته، ليس اولوه وءاخروه لك بمنكرين، ولا تجد اكثرهم شاكرين، ولولا ان يطول الكتاب، وينحرف الشعراء والكتاب، لفاضت

ينابيع هذا الفصل فيضا، وخرجت الى نوع ءاخر من البلاغة ايضا، قرت عيون اودائك، وملئت غيظا صدور أعدائك، ورقيت درج الآمال ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالي، والسلام الاتم الانم، الاكمل الاعم، يخصك به من طال في مدحه إرقالك واغذاذك، وراض روض حمده وابلك وطلك ورذاذك، وغدت مصالح سعيه في سعي مصالحك وسينفعك بحول الله وقوته وفضله ومنته معاذك، ووسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بانه استاذك، ابن هانئ، ورحمة الله تعالى وبركاته.

رسالة لابي جعفر الجفان المكناسي بعث بها لابن الخطيب
وقد فاتحه بنظيرتها محركا قريحته

يا خاطب الآداب مهلا فقد ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره في الارض كفء لها وشرطها الكفاة قول مصيب
أصبح للشرط بها معرسا فاستفت في الفسخ فهل من مجيب

أيها السيد الذي يتنافس في لقائه ويتغالى، ويصادم بولائه صرف الزمان ويعالى، وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامه فكيف بمداناة عيانه، جلوت علي من بنات فكرك عقائل نواهد، واقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد، واقتنصت بشوارد بديهتك من المعالي اوابد شوارد، وفجرت من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد، ثم كلفتني من اجراء ظالعي في ميدان ظليعها، مقابلة

الشمس النيرة بالسراج عند طلوعها، فاخلدت اخلاد مهيض الجناح، وفررت فرار الاعزل عن شاكي السلاح، وعلمت انني ان اخذت نفسي بالمقابلة، وادليت دلو قريحتي للمساجلة، كنت كمن كلف الايام رجوع امسها، أو طلب ممن علته السماء محاولة لمسها، وإن رضيت من القريحة بسجيتها وأظهرت القدر الذي كنت امتحت من ركيتها، أصبحت مسخرة للراءين والسامعين، ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الاشيب عيون العين، ثم ان امرك يا سيدي، لا يحل وثيق مبرمه، ولا يحل نسخ محكمه، فأمتثلت امتثال من لم يجد في نفسه حرجا من قضائك ورجوت حسن تجاوزك واغضائك، ابقاك الله قطبا لفلك المكارم والمآثر وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام.

رسالة للقاضي ابي عبد الله الفشتالي الى ابن الخطيب

جوابا عن مخاطبة مدح وثناء بعث بها اليه

وافت يجر الزهو فضلة بردها حسناء قد اضحت نسيجة وحدها
لله اي قصيدة اهديت لم يهد المعارض نحو غاية قصدها
لابن الخطيب بها محاسن جمة يلقى الخطيب فهاهة في عدها
سر البلاغة عنه اودع حافظا قد صانه حتى فشا من عندها
في غير عقد نفثته بسحرها فلدا اتى سلسا منظم عقدها
لم ادر ما فيها فقمت معاودا من طرسها او معلما من بردها
حتى دفعت بها لابعد غاية باعا تقصر في البلوغ بحدها

حدان من نظم ونثر إن من يلقاهما يرجع بذلة عبدها
اولى يدا بيضاء مسوليها فما لي قدرة حتى اقوم بحمدها
ورفضت تكذيب المنى متشيعا لعلي مرءاها بصادر وعدها
فبذلت شعري رافعا من قدرها وهززت عطفي رافلا من بردها

خذها اعز الله جنابك، وادال للانس على الوحشة اغترابك، كنغبة الطائر المتجعد، ونهبة السائل المسترفد، رميكية اللحظ، قليلة الحظ، وليتني إذ جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق، وانجاب العشا عن قريحة فكرتي بتقاضي الجواب انجياب الطوق، أيقنت اني قد سد على باب القول وارتج، وقلت هذه السالبة الكلية،[1] لكني قلت وجد المكثر كجهد المقل، والواجب قد يكفي الامتثال فيه بالاقل، فبعثت بها على علاتها، وابلغتها عذرها اذ كتبت عن شوقها بلغاتها، وهي لا تعدم من سيدي اغضاء كريم ورضاء سليم، والله عز وجل يصل بالتانيس الحبل، ويجمع الشمل، والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته.

رسالة لعبد العزيز الفشتالي بعث بها الى المقري

صاحب نفح الطيب جوابا عن كتاب كتبه له قبيل تشريقه

يا نسمة عطست بها انف الصبا فتضمخت بعبيرها قنن الربا
هبي على ساحات احمد واشرحي شوقي الى لقياه شرحا مطنبا
وصفي له بالمنحنى من اضلعي قلبا على جمر الغضا متقلبا

(1) كذا بالاصل وفيه سقط

بان الاحبة عنه حي قد توى منهم، وءاخر قد نأى وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم فاقول اهلا بالتقاء ومرحبا

السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب، وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب، سيادة العالم الذي تمشى تحت علم فتياه العلماء الاعلام، وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام، وحملة الاقلام، كلما خط او كتب. واذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع انثالت عليه من كل اوكارها ونسلت من كل حدب، وحكت بانسجامها السيل والقطر في صبب، الفقيه العالم العلم، والمحصل الذي ساجلت العلماء لتدرك في مجال الادراك شأوه فلم، سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا، ومالك المملكة في المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا، أبو العباس احمد بن محمد المقري ابقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره، ويجني من روضه اليانع ثماره، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد، ثابت الاوتاد، مزهو الاغوار والانجاد، ولا جديد الا الشوق الذي تحن الى لقياكم ركائبه وترتاح، وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح، جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور واسرة الهنا، واتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطب المشتهى وهو غض الجنى.

وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته، وأرانا معجز احمد فبهرت ءاياته، وخبا سقط الزند لما

اشرقت من سماء فكركم ءاياته، فاطربنا بتغريد طيور همزاته على اغصان ألفاته، وعوذنا بالسبع المثاني بنانا اجادت نثر زهراته على صفحاته، ثم مررنا بتضاعيفه بسوق الرقيق، فرمنا السلوك على منحاها فعمى علينا الطريق، وقلنا واهاً على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها، واستلاب البهجة عن نفيس درها وأنيقها، لا كسوق نفق فيها سوق الغزل، وعلا كعب الرامح والاعزل، وتظافر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل، وقد القينا السلاح وجنحنا للسلم، وتهيأنا للسباحة فوقفنا بساحل اليم، وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودي، فأبنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعي، وقلنا ما لنا وللانشاء، فهو فضل الله يوتيه من يشاء.

وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذي عطست به انف الصبا فقذفت به البديهة من الفم، وشرقت به صدر قناة القلم، كما شرقت صدر القناة من الدم، واما ما تحمل الرسول من كلام، في صورة ملام لا بل مدام، أترع به من سلاف المحبة كأس وجام، فلا وربك ما هي الا نفحة نفحت، لا سموم لفحت، هززنا به جذع ادبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا، ويهمى ودقه على الربع المحيل من أفكارنا وسميا ووليا، فجاد واروى، واجاد فيما رزى، واحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى، وطرسا بين انامل الايام ينشر ويطوى، احيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته، وعرج بارواحنا عند الممات الى المحل الاخص بالمومن من حضرته.

وأهدي السلام، المزري بمسك الختام، على الفقيهين الامجدين، الصدرين الانجدين الفذين التوأمين، الفاضلين المجيدين، فارسي البراعة واليراعة، ورئيس الجماعة في هذه الصناعة، رضيعي لبان الادب وواسطتي عقده، ومجيلي قدحه المعلى وموريي زنده، الممتعين بشميم عراره ورنده، الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده، الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده، الكاتب البارع ابي الحسن سيدي علي بن احمد الشامي، والكاتب البليغ ابي عبد الله سيدي محمد بن علي الوجدي، واقر لهما الود المستحكم المعاقد، الصافي المناهل العذب الموارد، واني قائم بورد الثناء عليكم وعليهما لدى المقام العلي الامامي الناصري دام سلطانه، وتمهدت اطواره واوطانه، وننهى اليكم ان الفقيه المحب الاستاذ سيدي محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على ايك الثناء عن تلكم السيادة بما اوليتموه به من جزيل الاحسان، وقابلتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان، والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

رسالة للاستاذ محمد بن يوسف التاملي المراكشي الى المقرى يعاتبه على عدم اجابة كتبه

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى، من المحب المخلص المشتاق، الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق، وطلعت شموس معارفه في غاية الاشراق، وصار له في ميدان الكمال حسن الاستباق،

الصدر الكامل، والعالم العامل، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه، البليغ الذي تفتدي البلغاء ببراعه وقلمه، ناشر الوية المعارف، ومسدي انواع العوارف، العلامة امام العصر، بجميع ادوات الحصر، سيدي احمد بن محمد المقري، قدس الله السلف كما بارك في الخلف، سلام من النسيم أرق، والطف من الزهر واعبق.

وبعد فان اخباركم دائما ترد علينا، وتصل الينا، بما يسر الخاطر، ويقر الناظر، مع كل وارد وصادر، والعبد يحمد الله تعالى على ذلك، ويدعو الله بالاجتماع معكم هنالك ويرحم الله عبدا قال امينا. كتبته اليكم ايها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة اشواق، لا تسعها اوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده، كما جعلكم ممن اخلص في موالاة الحق قصده، وودى إليكم غض الحدائق، مستجلي في مطلع الوفاء بمنظر رائق، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق، وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها، واسست على المحبة في الله قواعدها، ان يزيد عقدها على مر الايام شدة، وعهدها وان شطر المزار جدة، وان تدخر للاخرى عدة، وانى، ويعلم الله تعالى، لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم عملا صالحا يقرب من الله تعالى ويزلف اليه ويعتمدهما وزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل الا ظله عليه، فانكم واليتم فاخلصتم في الولاء وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولاء معرضين في تلكم الآخرة عن غرض الدنيا وعرضها، موفين بشروط نفلها ومفترضها، الى ان قضى

الله تعالى بافتراقنا، وحقوقكم المتأكدة دين علينا، والايام تمطل بقضائها عنا، وتوجه الملام الينا، فئاونة اقف فاقرع السن ندما، وءاونة استنيم امر فضلكم فاتقدم قدما، وفي اثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الا وقد كر عليه منكم ءاخر له لا حق، حتى وقفت موقف العجز، وضاقت العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا اتكلم الا بالرمز اجلالا لحقكم الرفيع، واشفاقا من التقصير المضيع، وقد كنت كتبت اعزكم الله تعالى اليكم قبل هذا بكتب اربعة او خمسة فيها عجالة قصائد كالعصائد، لا كالثريد من الكلام ككلامكم السلس الكثير الفوائد، فعذرا لمن كان اخرس من سمكة، واشد تخبطا من طائر في شبكة، فما عرفت اوصل شيء من ذلك، ام حصل في ايدي المعاطب والمهالك، وما رايت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي الشيخ الامام المقري يسأل عنك وقد ارسل معي كتابا اليك فوقع في البحر مع جملة ما وقع فقلت له لا غرابة في ذلك فقد رجع الى اصله، ومن ظلمة البحار تستخرج الدرر. وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين وهو الحاج الصالح السيد ابو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكر لي فيه انه متعه الله تعالى بلقائكم واخبرني بسؤالكم عني كثيرا والى الآن يا نعم السيد انما عرفته بما كتبته لسيادتكم تعريف تذكر لا تعريف منة، فانصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما الفته الادباء شريعة وسنة، وبالجملة ففؤادي لمجدكم

صحيح لا سقيم، واعتدادي بودكم منتج غير عقيم، والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة، ويقضى عن الاحبة دين المحبة فيوفى كل غريم غريمه.

رسالة للاديب محمد ابى ابراهيم الفاسي الى الشهاب محمود الحقاجي جوابا عن كتاب بعث به اليه

بعد تقبيل ثريا ذلك الثرى، الذي عبق في الشام عنبرا، وقلد جيد الزمان درا، لا زال منبع البيان، ومنتجع الاعيان، ولا برح جوهر حصبائه يفضله العيان على قلائد العقيان، هذا وصل الي وصل الله اليك اسباب العلا، والبسك رائق الحلى، كتابك الخطير في رقعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب، المزري برونق ريق الشباب، وبهجة من بدائع خطك المستوقف للناظر، المخجل بحسنه الوشي الفاخر، والروض الناضر فاجنانى ثمر البر يانعا، وجلا على وجه الود ابيض ناصعا.

واراني كيف انقياد القوافي في زمام البيان سمعا وطوعا

وفتح المخاطبة بابا طالما كنت له هيابا، ورفع حجابا ترك القلب وجابا ما زلت اغازلها املا، فلا اطيق لها عملا، والاحظها امدا، اذوب دونه كمدا.

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويزعم ان ياتي لها بضريب

لا جرم انه اقتضاني خالص ود، وصحيح عهد، لم يلتفت مني الى معذرة ولم يكلأني الى ما في الوسع من المقدرة، وقد يعود على عالمك بر القريحة

ثمدا، وحسام الذهن معضدا، فتكلفتها بحكم هذا الغرام تحت حصر، ونازح بصر، فان سمحت بالاغضاء، وسامحت في الاقتضاء، سلمت لك اليد البيضاء وظهرت لشكرك بالقضاء، واما العذر الذي توخيت ولاعدمت شرحه، وحميت بقوة الكلام سرحه، فاني غني عن تلكفات ايضاحه، ومداوضاحه، فالذي يثبت في النفوس، من الود المصون المحروس، لا يخشى عليه من تسلط الطموس والدروس، ولا اقول ان ودي لك كالتبر اذ لايصفو ما لم يشبه لهيب الجمر، ولا كالراح، حيث يفتقر في الرقة الى المساء والصباح، بل اقول ان ودي لك ابيت اللعن، كالفرات العذب، يشفي غليل القلب، ويطفي لهيب الصب، يحل بالارض الميتة فيحييها، ويمر بالروضة الذابلة فيتوجها بالازهار ويحليها، وانت اعزك الله لاتثريب عليك اذ كل يعمل على شاكلته، ويجري في اموره على مقتضى مرتبته، فان حنو السيد، وانت ذاك، يستكثر قليله، واخلاص العبد، وهو أنا، يستحقر كما علمت جليله، والحب اغلب، ومعرفة المرء نفسه اصوب.

وان تفضلت بالاستفسار عن احوال العبد فان الحال في خير، والمآل يعلمه الله تعالى، وبالجملة فسهم المصيبة ان سدده الدهر، فعلى مثله وقع، والتألم بمثل هذه الحالة قد ارتفع:

ولم ار مثل الصبر اما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

وكذلك كل من دعا الصبر لما شاء اجاب، واراه من نشره الافق المنجاب، واقامه بين مبرات والطاف، واعطاه مما احب جنى قطاف ولله در القائل:

يعيش المرء ما استغنى بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

وهو الدهر لا يرد عن مراده، ولا يصادر في اصداره وايراده :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

على ان طول الغيبة ليس لشيء علم الله اثرته على لقياكم اذ استبدله طوعا لكنه ارتكاب للاخف من الضررين، واختيار للاهون من الشرين

عسى غلطا يثنى الزمان عنانه بدور امور والامور تدور

فتدرك آمال وتقضى مآرب وتحدث من بعد الامور امور

فلذلك قنعت من البحر بالوشل، وسرحت في رياض المنى بين عسى ولعل، فقد قيل اذا دار الفلك، فعليك او فلك، ولله في خلقه امر لا تدرك العقول حكمته، «وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته» وما اجتليته في كتابك الخطير وروض خطابك المطير، استدعى شيئا من نظم العبد ونثره، والتنويه بذلك من خامل ذكره، فلا عدمت منك مولى على الاحسان مثابرا، وحكيما اكسر اكسير الخاطر جابرا، مع تشتت الحال لبعد مزارك، ونأى داري عن دارك، واقسم اني صممت على التغافل عن الجواب وهو الاولى بالصواب، اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع، والجبان بالشجاع، وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته افتضح لساعته، لكن عدم الامتثال محذور والملجأ الى ما لا يطاق معذور، فتكلفت ما يعرض عليك من المسمطات سوى القصائد المشار اليها بذكر بعضها فانها متقدمة على ورود مشرفتكم فتلك من سد الخلل وتجاوز عن الزلل، والله

يبقيك، ومن كل سوء يقيك والسلام.

رسالة لابن الطيب العلمي الى صاحبه الشرقي

يلومه على قطع رسائله عنه

امام الحضرة الادبية، المشهود له باللغة والعربية، المنفرد بالاجادة في الجانب الغربي والشرقي، ابو عبد الله السيد الحاج محمد الشرقي، رعاك الاهنا المولى، واولاك من المعروف ما انت به اولى.

وبعد ما تستحقه تلك السيادة الممنوحة بالحسنى والزيادة، من السلام الذي طابت نفحاته، وطالت غدواته وروحاته، والرحمة والبركة، ما هز ذكرك ساكن القلب وحركه، فانه لما طال امد الفراق، وبلغت الروح الى التراق، وظن انه الحين وقيل من راق؟ فكرت فيما يفك من يد الاشواق أسري، ويجبر ما بين الاضحاء كسري.

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالليل لم يسر

فما عثرت بعد معاناة البين، ومعاتبة الدهر المفرق بين المحبين، الا على بعض درر من كلامك، استخرجت من بحور مددك بمدد اقلامك، كنت ادخرتها عن القوم، لمثل هذا اليوم.

تفقدتها بعد السرور بانسها وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فما زالت تذكرني ايام الوصال، وتقطع من غراب البين الاوصال، وتخرسه ان صاح او صال.

ذكرت بها بعد التفرق ما مضى زمان اللقا والشيء بالشيء يذكر

الى ان استولت عليها يـد الضياع، وأعقبت لي ذلك الامن بالارتياع، فاصبت من فراقك واياها بلوعتين، واحترقت بجمرتين، والتذعت من جحر مرتين:

وكنت كذي رجلين رجل مريضة ورجل رماها الدهر يوما فشلت

غير ان الآمال كانت تسوفني والليالي لكتابك تشوفني، فكنت اصدق فيك الاوهام واعد حديثها من الإلهام:

صدقت وهمي في الحديث ولم اقل خبر رواه الـوهم فهـو ضعيف

الى ان ضاقت فسحة الامل، وخرجت شمس الرجاء من دارة الحمل، ووردت كتبك صريحة النصوص، لافراد على الخصوص فقلت كيف يحرم المتعفف ويعطي المستعير، ويجعل فريق في الجنة وفريق في السعير، فما طرق اذني ولا طرأ على ذهني، في قديم الدهر والحديث، اغرب من هذا الحديث، وبذلك علمت اني كنت في ذلك الظن السالف، والاعتقاد المخالف، كمن تبرد بالجمر، او استجار بعمرو:

المستجير بعمـرو عند كـربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقديما لقفت من فيك، ولـم اقل انك تنتسب لما ليس فيك: انك ممن يقوم بالحقوق، ويبذل البرور لاهل العقوق، فما لك وقد علمت مني صدق المحبة، التي لا يظلم منها مثقال حبة، قابلتني بالاعراض، ونسختني من ديوان الاغراض؟

اغـرك مني ان حبك قـاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل؟

فو الله لولا عهود سلفت وقلوب تألفت، ومواثيق تعددت وايمان تجددت، ما قصدتك بحرف، ولا نظرتك بطرف، بعد ما حاربت من عداتك الاجناد، وناديت بمديحك في كل ناد، وعرضت بقوة عارضتك، وان لا يطمع في معارضتك، ومهدت لك الارض، ما بين طولها والعرض، وألهجت الالسن بذكرك، وملأت الدنيا بحمدك وشكرك، فكان جميلا منك ان تسلني من القوم، سل البارحة من اليوم، والى الآن فاقرأ كتابك، واصبر على ما اصابك واعلم ان الدنيا للآفات، والصحبة للمكافاة، فمن كثرت مكافاته، قلت ءافاته، والا فلم أحب فتبغض، واقبل فتعرض، وأفي فتخلف، وتنفق فأخلف، الا انك عودك رأس اشياخك، الذي مكنك من فخاخك، وواخاك وليته لم يواخك، أن تقيم في مذاحك، ويقيم في خدمتك وخدمة فراخك، صاحب الديوان المعمور، والاشياء والامور، احمد عمور فانه اذهب عن اهلك جيوش العيلة، واستغرق في خدمتهم يومه وليله، واتعب خيله ورجله ويده ورجله.

ولما ان قربت منكم المفازة، وسمع وصولكم الى تازة، رقص برجله الصحيحة والعرجا، والمستقيمة والعوجا، وقلنا لولا قصر الخطوة، وضعف القوة، وبعد الشقة، واتقاء المشقة، لبذلنا في حق ملاقاتكم النفوس، واتيناكم سعيا على الرءوس، لاكن دون ذلك امور، لا اطيقها انا ولا عمور.

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولاكن دون ذلك اهوال

اما انا فلا يخفاك حالي، في مقامي وترحالي، واما عمور وان كان في عدم ملاقاتكم عن الصواب قد خرج، فليس على الاعرج حرج، والسلام.

رسالة للكاتب الاديب محمد ابن سليمان الى ابن الطيب العلمي يعتذر له فيها عن عدم اجابة دعوته

ادام الله مسرة سيدنا اديب الادبا، ونجيب النجبا، ومن به نتخذ الى سماء البلاغة سببا، امام النظام، ويتيمة الانتظام، وحرم النباهة الذي لا يسام بانتهاك ولا باهتضام، الذي ان قال اوجز، وان نطق أعجز، وان سابق نال كل بديعة واحرز، واظهر كل غريب وابرز، او تكلم افحم، او تقدم تأخر كل لبيب واحجم، نخبة النخب، المنزه في مقوله ومقوله عن كل سخب، اية المطاولة والتحدي، وخاتمة اولي الانتعاش بماء الفصاحة والتعدي، الذي رفع للكلام منارا، واقطع اربابه اساوجلنارا، وزين بعقوده نحورا، وافاض من ينابيعه خلجانا وبحورا، فخلذ منه اثرا لا يندثر، وسورا كادت ان تلحق بالمرسلات والمدثر، الآتي من بديع اختراعه، وربيع انتزاعه، بما أخجل كل غمام صيب، الشريف الاصيل ابي عبد الله بن الطيب، انعم الله بمنه مساءه، وطرد عن جانبه المعظم كل مضرة واساءة، والسلام التام الشامل العام، الذي طابت نفحاته، وتتابعت غدواته وروحاته، على هضبة السودد الاصيل، وطلعة المجد المزرية باشراق الضحى وشمس الاصيل.

هذا وانه لما تعذر لحاق العبد بمقيلكم السامي الذرا، ومنتزهكم

الذي أظهرته مطالع السرور كاظهار الهلال البرا، وعرض من الاشغال ما عاق دون الوصول اليكم وغال، وكان على ما تعهدون من الانتشاب بكم والايقال، وعلم أن الدهر لا يصفو نعيمه، ولا يخلو عن تلون جسده وأديمه، وان سروره غير تام، وجو اقباله لا ينفك عن قتام، وان ليس للانسان منه الا ما اختلس، والا قلب الحقائق واعكس، اناب عن الاقدام، محبرات الاقلام، وأقام مقام الاجتماع، ما كاد ان يضرب في قالب الابداع، وبعث به اليكم ممهدا للعذر، ومتشفعا في قبوله باسلافكم رجال بدر، وتلقيكم مضمنه باطيب نفس وارحب صدر، وطالبا منكم التجاوز والعفو، من تأخره عن مشاركتكم في ايراد ذلك الصفو، على أنه أشد ظمئا اليه من ذات الهيم، وافقر للاهتداء به من الساري في الليل البهيم، ولكن امر من لا يقيل عثارا، ولا يوسع العاري من الحجج استتارا، حملني على أن ادع لمراده مرادى، واترك لمساعدته اسعادي.

وما الدهر الا منجنونا باهله وما صاحب الحاجات الا معذبا

(ج) (المتفرقات)

رسالة للقاضي ابي موسى بن عمران المراكشي

المتوفى سنة 578 الى ولد له بفاس قد ناهز الحلم

الى ولدي فلان، هداه الله وصانه، وجمله بالعلم والتقوى وزانه، كتبته اليكم عن اشتياق كثير، وبمشيئة الله تعلى تتيسر الامور، ويتكاف السرور، واذا وجدتكم على ما احبه من ادوات الحفظ والاداء، ولزام

ءاداب العقلاء، جازيتكم بما يرضيكم، وبما يزيد على اقصى تمنيكم، وقد اجمعت الايمة على ان الراحة، لا تنال بالراحة، وان العلم لا ينال براحة الجسم، فادرس ترؤس، واحفظ تحفظ، واقرأ ترق، ومهما ركنت الى الدعة، كنت في أهل الضعة، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه، وما رايتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه، والاعدل الاقسط، ان تسلك السبيل الاوسط:

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

رسالة ابي جعفر بن عطية الى عبد المومن يستعطفه بها

عطفا علينا امير المومنين فقد بان العزاء لفرط الهم والحزن
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج ورحمة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام البين عن عرض وعطفة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطو حوادثه بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن والطرف يرهص بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم من دون من بها كلا ولا ضنن
ونحن من بعض من احييت مكارمكم كلتا الحياتين من روح ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم اياد منك سالفة والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

تالله لو احاطت بي كل خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة،

حتى سخرت بمن في الوجود، وانفت لآدم من السجود، وقلت ان الله لم يوح، في الفلك الى نوح، وابرمت لاحتطاب نار الخليل حبلا، وبريت لقدار ثمود نبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها، وكتبت صحيفة القطيعه بدار الندوة، وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة، وابغضت كل قرشي، واحببت لاجل وحشي كل حبشي، وقلت بان بيعة السقيفة، لا توجب امامة خليفة، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، واعتلقت من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبة، وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر، وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا، ثم كنت بحفرة المعصوم لائذا، وبقبر المهدي رضي الله عنه عائذا، لقد ءان لمقالتي ان تسمع، وأن تغفر لي هذه الخطيئات أجمع، مع اني مقترف وبالذنب معترف :

فعفوا امير المومنين فمن لنا برد قلوب هدها الخفقان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته.

عفر الخطابي (1)

يقول العبد الذي اعترف بما اقترف لمولاه، وأقر له بما أضاعه لا بما أطاعه على ما منحه من النعم واولاه، الميمون بن علي الخطابي، جبر الله بالتقوى

(1) لبهلول المجانون حديث يشبه ان يكون هو الاصل لهذا العقد فانظره ان شئت في كتاب عقلاء المجانين لابن ضعيب النيسابوري

كسره، وفك من حبائل الدنيا أسره، لم ازل مدة ايام بل عدة أعوام، اخالل كل مخل يدنيني، واستظل من اطالة البطالة بكل ظل مضل يردني، واخالف كل صالح مصلح، واحالف كل طالح غير مفلح، واجر اذيال المجون على ارض الراحة، واطلق عنان مهر الغفلة في ميدان النسيان فيطيل جماحه ومراحه، راكبا مطايا التسويف دون إهمال، مستوطئا فرش الكسل والانهماك في الشهوات والانهمال، مستوطنا ربع التصابي بقلة الاعمال، وكثرة الآمال، سالكا سبيل الهزل وطريقه، تاركا قبيل الجد وفريقه، لا اثني عناني، الى ما يعنيني، ولا ازال اعاني، ما يعييني ولطائف الله عز وجل التي يضيق عن حمل اصغرها الامكنة الفسيحة، ولا يطيق بلوغ شكرها الالسنة الفصيحة، ضاحية الورود، ضافية البرود وقد طنبت على قبابها وارواقها، وخلعت بعنقي ثيابها واطواقها واطردت بماء النعمة مذانبها وانهارها، وتساوى في القدوم بالكرم ليلها ونهارها، وانا مع ذلك لا ازيد الا غفلة عن القصد السني وسهوا، ولا استزيد الا اشتغالا عن المقصود السني ولهوا، الى ان اجرى الله عادة احسانه وجوده، وارادت مراداته السائقة السابقة اخراج العبد المذكور من عدم الغفلة الى ظهور الالهام ووجوده، فسلط رعد الخوف على سحائب سمائي فكشفها وجلاها، وحل بساحة ارضها سكر السلو فسكرها من سواه وخلاها، وقلد اجياد فكره بقلائد حمده وشكره وحلاها، وسل من سويداء قلبه محبة غيره فنزهها عنه وسلاها، فلاح اصباح النجاح وءاذن ليل الغفلة

بالصباح، ونادى منادي الوصلة بمنار العزلة حي على الفلاح، وصاح كالىء صبح النجح بالسفر المعرسين شدوا المطي فقد سال نهر النهار، ومال جرف الليل وانهار، وانفجر عمود الفجر بنوره الوضاح، فلاح، فافاق العبد المذكور من نوم الركون، الى السكون والكرى، وشمر للسير ذيوله وضمر للسبق خيوله إذ سمع عند الصباح يحمد القوم السرى.

ثم كتب العبد المذكور عقدا، وعهدا مع المولى الجليل عهدا، وهو على خوف ووجل يسأله ادراك ما امله، والوصول الى ما ام له، ويتبرأ من حوله وقوته اليه، ويتوكل في جميع اموره عليه، ويقف بقدم الندم بين يديه، معترفا بما كان له مقترفا، وراجيا ان يكون من بحر الاحسان لدار الامتنان مغترفا، والعقد المذكور:

هذا ما اشترى المولى اللطيف الجليل، من العبد الضعيف الذليل، الميمون ابن علي، اشترى منه في صفقة واحدة دون استبقاء ولا تبعيض، ولا استثناء بتصريح ولا تعريض، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد، الذي من سكانه الاخلاص والمحبة والوداد، حده من القبلة قبوله الاوامر المطاعة، ومن الشرق لزوم السمع والطاعة، ومن الجنوب الاقبال على ما عليه أهل السنة والجماعة، ومن الغرب دوام المراقبة في كل وقت وساعة، بكل ما يخص هذا المبيع المذكور ويعمه، وينتهي اليه كل حد من حدوده ويضمه، من داخل الحقوق وخارجها، ومداخل المنافع ومخارجها، وبكل ما له من الآلات التابعة له في التصرف، والحواس الجارية معه في

حالة الاضاعة والتشرف، السالكة مسلكه في التنكر والتعرف، من يدين ورجلين، ولسان وشفتين، وعينين واذنين، اشتراء صحيحا تاما، شائعا في جميع المبيع المذكور وعاما، ثبتت قواعده، وظهرت بالتسليم الصحيح شواهده، بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار، ولا بقيا مع حظ نفس ولا اختيار، بثمن رتبته العناية الربانية، ونسخته المشيئة الإلاهية، بين عاجل وءاجل، فالعاجل العون على كل مندوب ومفترض، والصون عن كل غرض وعرض، والثناء على النعم الظاهرة والباطنة، واهداء الآلاء المتحركة والساكنة. والآجل الفوز بالدار القدسية، والحضرة الانسية، التي فيها ما امتد به جناح التواتر بالخبر الصادق وانتشر، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من النعيم السرمدي، والحبور الدائم الابدي.

سلم العبد المذكور هذا المبيع المذكور تسليما تبرأ فيه من الملكة، ورفع به يد الاعتراض عما يفعل المولى الجليل فيما ملكه، وايقن انه المتصرف فيه في سره وجهره، وعلم ان الملك المذكور تحت يد عزته وقهره، يجري فيه احكامه القاهرة، وينفذ فيه قضاياه الباهرة، ومقتضى قدرته الظاهرة، وقد احاط المولى الجليل بهذا المبيع المذكور، احاطة ظهور، ولم يخف عليه شيء من قليله وكثيره، وجليله وحقيره، ومبانيه ومساكنه ومتحركه وساكنه، واطلع عليها اطلاع عليم قدير، «الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»

ولما اسلم العبد المذكور المبيع المذكور وامضاه، واستسلم لمولاه فيما حكم به وقضاه، تفضل عليه مولاه وغمره بجوده العميم واولاه، وجعل

له السكنى بهذا المنزل المذكور مدة حياته، والاقامة فيه الى حين مماته، واتيان وفاته، اذ يستحيل على المولى الجليل الحلول في شيء، اوالسكون الى شيء، وهو موجد كل شيء وخالق كل ميت وحى، ومريد كل رشد ومقدر كل شيء[1] به قيام جميع العبيد، وعن قدره غناهم وفقرهم لانه الفعال لما يريد، وهو ميسرهم لليسرى فمنهم شقي وسعيد، وله الغنى عن كل شيء وهو الغنى الحميد،

وقد امر المولى الجليل بخدمة هذا المنزل المذكور خدمة التقرب اليه، وجعل له التصرف فيه لقبول امره للفوز بما لديه، وبهذا المنزل المذكور بساتين تسمى بساتين الاخلاص، وجنات تعرف بجنات حضرة القلب المعروف بمحل الاستخلاص، التزم العبد المذكور تسهيل ارضها من شوك الشرك والارتياب، وتذليلها من حجر العجب والاضطراب، في حالتي الحضور والغياب، وتنقيتها من اعشاب الحسد والحقد والكبر، وزوال ما فيها من عوارض الغش والخديعة والمكر، وان يقطع منها كل عود لا منفعة فيه بحديد الفكر، مثل عود الحرص والطمع، ويغرس مكانه شجر الزهد والورع، ويقلم اغصان الميل الى الادران والاقذار، وافنان الركون الى الاغيار والاكدار، وقطبان السكون الى الشهوات والاوطار، ويفتح ابواب البذل والايثار، بمفاتح الجود الحميد المساعي والآثار، ويطلق ينابيع التوكل على مصرف الاقدار، وان يخدم ما توعر من سواقي مياهها

(1) كذا، ولعله غير

الاخلاصية وحياضها، ويمشى بالمصلحة المصلحة لدوحاتها وغياضها، ويفجر بها مياه الصفاء من الاكدار المتصلة بساقية الوفاء في الايراد والاصدار، والملاصقة لساقية ترك الجفاء في هذه الدار، حتى يبدو وان شاء الله صلاحها، ويكثر ببركة الله اصلاحها، وتهب بقبول القبول ارواحها، ويثمر بجنى المنى ادواحها، فتنبت قرنفل التنقل، وعود التقبل، وياس الانس والسوسان، وياسمين اليأس من كل انسان، ونعمان النعمة التي لا يصفها لسان.

وقد علم العبد المذكور ان بخارج هذا المنزل حرس الله ايمانه، وادام امانه، جيشا يغير عليه في مسائه وصباحه، وينتهز فيه الفرصة في غدوه ورواحه، ويقطع جادة السبيل بالمرور عليها الى حضرة الملك الجليل، وملك هذا الجيش المذكور النفس الكثيرة الاغراض، الميالة الى ما يعرض من الاعراض، المتكفة على المشارب المهلكة والاعراض، وخادم الملك المذكور الشهوة الموقوفة على خدمته، المعدودة في اعلى خزنته، ووزيره المفاخرة، وزمامه المنافسة في زهرة الدنيا وحاجبه المكاثرة، وقيم جيشه المقدم، وفارسه الاقدم، شجاع الغضب، الذي عنده يتولد الهلاك وبه يكون العطب، وطلب العبد المذكور من مولاه الامداد بعساكر العزم، وفوارس الحزم، ورغب على الاعانة بكتائب السداد والتوفيق وعواكب الرشد والتحقيق، وارسال جيوش الاصطبار، وفوارس الانتصار في ميادين الاختبار، والتدرع بدروع الاذكار، وجولان خيل السعادة في ميادين الاختيار، والعون

باعلام العلم، والسكون في حصن الحلم، حتى يذهب حدة النفس ويزيزيل كيدها، ويميتها في المجاهدة بسيوف المجادلة ويقطع قوتها وايدها، او يمد يد التسليم بقهرها واضطرارها، وينطق بلسان اعترافها واقرارها، انها اسقطت جملة دعواها واختيارها، ودخلت تحت امتثال الاوامر الربانية ودخل في باب اللطف في حرم كرم الإلاهية، فمر الظهور بذلك نفسه، واظهر الحضور انسه، حتى تتطهر النفس المذكورة من الاخلاق العرضية، وتترقى عن الاغيار الارضية، ويظهر عليها الشمائل الحميدة والشيم الرضية، وتنادى: - يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية،

اشهد على اشهاد البائع المذكور من اشهده به على نفسه عارفا بقدره في صحته وطوعه وجواز امره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

رسالة الفقيه ابي القاسم العزبفي الى قبائل المغرب يستنفرهم بها الى الجهاد

بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد واله

الى اولياء الله الصالحين، وعصابة حزبه المفلحين، واعلام الاسلام المكرمين، وكافة من دنا وبعد من عباد الله المسلمين، وصل الله بالذكر انتفاعهم. وحسن لاحسن القول استماعهم، وجعل على البر والتقوى تألفهم واجتماعهم، ويسر لجهاد اعدائه، واظهار الدين واعلائه، مبادرتهم واسراعهم، من وليهم في الله حيث حلوا من نواحي البلاد، ومعتمد

كبيرهم وصغيرهم متوسلا بالاكبار والايثار والوداد، ومعتقد النصح لهم ملء الجوانح والفؤاد، ومرغبهم فيما فيه عز الدنيا وفوز المعاد، ومستنهضهم لما يحق اليه ويقل لديه هجر الكرى ووصل السهاد، وقطع متون الآكام وبطون الوهاد، ابي القاسم محمد بن احمد بن محمد العزفي وفقه الله سلام كريم عميم يخص معشر اخواننا المسلمين ورحمة الله وبركاته.

اما بعد حمد الله مفترض فرض الجهاد، وجاعل الجنة تحت ظلال السيوف الحداد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الهادي الى سبيل الرشاد والمؤيد، بالملائكة المسومين اكرم الامداد، ومظهر دينه بين حسن الجدال وصدق الجلاد، وعلى اله وصحبه الذين فاتت فضائلهم التعداد، وانفردوا بشرف الاثرة ومزية الهجرة والنصرة اشرف الانفراد، والرضا عن الخلفاء الراشدين القاصدين في كل اقوالهم وافعالهم قصد السداد، والدعاء لاهل الاسلام بالنصر الذي له مزيد الازدياد، والظفر الذي تنقاد به الفتوح سهلة الانقياد، والصنع الذي لايام الاسلام به ميسم الاعياد ـ فكتب، كتب الله لكم في حماية حماه احسن الآثار، وامدكم في اعلاء دينه واظهاره بمزيد الاعلاء والاظهار، وجعلنا واياكم ممن بادر الى الخير اشد البدار، من سبتة كلأها الله تعالى وصنع الله بها جميل فضله المعتاد، لايتعذر معه تاميل، ونعمه التي خولها العباد، لايستوفون حسن انسيابها الجميل، عن نية يعلم خلوصها عالم النجوى، وجد في التماس التعاون على البر والتقوى، وتذكير تنبعث به الحفائظ في ذات الله وتقوى، واحتساب بمقتضى

الاشفاق، صير كلماتي هذه زاد الرفاق لجميع الآفاق، تخاطب ذوي الاحلام، وتستصرخ حماة اهل الاسلام، ويجعل كتابي هذا مثير كمائنهم، ومقتضبا بصولة توافر عزائمهم، وقد قال الله تعالى وهو اصدق القائلين «وذكر فان الذكرى تنفع المومنين» والحكمة لصدإ القلوب جلاء، والنفوس ما لم تذكر فللغفلة عليها استيلاء، والله ينفعنا بالذكرى، ويجعلنا واياكم ممن رغب عن الدنيا رغبة في الاخرى،

وقد كان في هذه السنة والتي قبلها من تحرك الناس للجهاد، وانبعاث عباد الله لنصر دين رب العباد، ما اشتهر خبره، وظهر للعيان اثره، وتعجل به النصر «ولينصرن الله من ينصره» وجل عن وجه الصنع الغريب، في الزمان القريب، فسارت به البشائر، وتجاذبت به اطراف طرف الحديث في مجالسهم العشائر، نثرت في كافور الصحف مسكها الاقلام، وسفرت عن رونق محاسنها وجوه الايام، ولكن جموع من المجاهدين شق عليها اغترابها، وشاقها الى اول ارض مس الجلد ترابها، وتذكرت خيلها مرابطها، وكانها شاقت دون الاندلس فانتجعت من ارضها مساقطها، فكروا راجعين، وصدروا على اعقاب الورود مسارعين، والكلم في العدى لم يرقأ دمه، وتألفهم على اهل الاسلام لم يعلم عدمه، والكفر يقرع بابه، والغيظ في صدور اهله قد تمكن انيابه، وانزعاج الكفر لطلب الثأر قد قويت اسبابه.

والآن اتصلت الانباء انهم اهلكهم الله قد شمروا لطلب الثار،

ورفعوا شعارهم وبيس الشعار، يطوفون به في بلادهم، ويطلبون منه النصر على اضدادهم، ويسألون مغفرة الذنوب من قسيسيهم وعبادهم، «ومن يغفر الذنوب الا الله» تباً لرأى الكفرة، وبيس ما اشركوا مع الله في المغفرة، واعجباً لنصر طلبوه، من مرفوع زعموا ان اليهود صلبوه، تباً لما اجمعوا عليه، «وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه» ومع جهالتهم وضلالهم قد لجوا في طغيانهم، واطاعوا امر غواتهم في عصيانهم، وبذلوا في الاستنفار من اقاصي الاقطار اقصى وسعهم وامكانهم، وجعلوا شهر كذا الآتي قريبا موعدا قالوا لانخلفه، وتأهبوا لتلافي امرهم المختل والله سبحانه بحوله وقوته متلفه، ونحن عباد الله لانشرك بعبادته احدا، ولاندعي له صاحبة ولا ولدا، ولانمد لغيره في سؤال المغفرة يدا، ولانستوهب النصر لاحد سواه، ولانتوسل الا باكرم الخلق عليه محمد بن عبدالله، وفينا كتابه الكريم يتلى، وءاياته للنبي هى على مر الزمان لاتبلى، واحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم تكتب للتجارة الرابحة، والحياة الدائمة الصالحة، فانه من قتل في سبيل الله فهو حى يرزق، بذلك شهد الكتاب ونطق، فقال تعالى «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات، بل احياء، عند ربهم يرزقون فرحين بما ءاتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون».

افي الحق عباد الله ان تزهدوا في الجهاد، وتتاموا عن الكفرة واعينهم منكم في سهاد، وتسلمون من بالاندلس من المسلمين اخوانا في

الله توالونهم ويوالونكم، من توافوا عن الاعداء بتقدم الاهبة يستعجلونكم وقد قال تعلى «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم» يابى الله الا قتالا في سبيله، وامتثالا لما نزل به الروح الامين على قلب رسوله، وطعناً في نحور العدى يشفي به الاسلام من غليله، فانهضوا رحمكم الله اليهم متقدمين، «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين» ولا تثبط بعيدا طول مسافة البعاد، ولا يؤلم منفقا انفاذ بعض المستفاد، فما انفقتموه في ذات الله هو الذي لم تدركه يد النفاد، «وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة» والتهلكة عند ابي ايوب ترك الجهاد، والجهاد باب فرض لجنة العروض وفرض على امة محمد صلى الله عليه وسلم مفروض، من تركه رغبة عنه البسه الله الذل والصغار، والرغبة عنه وان احيت هون وعار، ولكن لا جهاد الا بنية، وعقيدة على اعلاء كلمة الله مبنية، فقد ءان عباد الله اخلاص النية، والتماس ما عنده من الدرجات السنية، ولا تخلدوا بركون الى سكون، والدين يدعوكم لنصره، وصارخ الاسلام قد اسمع اهل عصره، والصليب قد اوعب في حشره، فالبدار البدار بارهاف الحد، واعمال الجهد في نيل الجد، ولم لا نرسل في الجهاد الاعنة، ونعمل فيه النيات والصوارم والاسنة، ونستوهب من الله النصر بالتضرع والمسكنة ونستصلح بسؤال توفيقه خبال الصدور المستكنة، اما اتى من كان قبلنا خطاب «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة» اما انذركم باعث الاشفاق، بقوله

صلى الله عليه وسلم: من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق، اما سمعتم حديث ابي امامة، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من لم يغز او يجهز غازيا او يخلف غازيا في اهله بخير اصابه الله بقارعة يوم القيامة، ففيم ضعف العزيمة، والشح يبذل الكريمة، ألامساك خشية الانفاق، او لجبن هو من مساوي الاخلاق، رب ناكل عن قرنه لم ينج منه بنكول، ومخاطر بين القنا الخطار متع من ايامه بطول.

وقد تعاضدت في الجهاد الآيات والاخبار، وقال صلى الله عليه وسلم: ما اغبرت قدما عبد فتمسه النار، فحذار أيها الملتزم حذار، وخف ان تكون مقيما، وتوق وعيد «الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما» «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله، ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون. لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولاكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون انفسهم، والله يعلم انهم لكاذبون» فما للتأخر سبيل، ولا في ظل التواني للمجد مقيل، وكتاب الله أوضح بيان واهدى سبيل، وقد قال تعلى «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما» وقال جل وتعالى «فقاتل في سبيل الله، لا تكلف الا نفسك، وحرض المومنين، عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا» وقال تعلى «ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون

من الله ما لا يرجون، وكان الله عليما حكيما» وقال تعلى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم» وقال تعلى «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء، والله عليم حكيم» وقال تعلي «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين» وقال تعلى «إن الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرءان» وقال تعلى «ياأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن فى طيبة جنات عدن، ذلك الفوز العظيم. واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المومنين»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل «يقول الله تعلى: ضمنت لمن خرج من بيته لا يخرجه إلا في الجهاد سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي ان أدخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. وقال صلى الله عليه وسلم: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القائم القانت بآيات الله لا يفتر عن صيام ولا صلاة حتى يرجع الى اهله. وقال عليه السلام: لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا وعنه ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار ابدا. وقال عليه السلام من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه. وقال عليه السلام ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض. وقال عليه الصلاة والسلام، الجنة تحت ظلال السيوف. وقال عليه السلام، من خرج مجاهدا في سبيل الله فمات أو قتل او وقصه فرسه او لدغته هامة او مات على فراشه او بأي الحتف شاء الله فان له الجنة وهو شهيد. وقال عليه السلام، يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ومن جرح في سبيل الله فانه يجيء يوم القيامة وجرحه يدمي، اللون لون الدم والرائحة رائحة المسك وان الشهيد لا يجد من مس القتل ألما ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم. وقال عليه السلام رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام الف يوم وقيام الف ليلة. وقال عليه السلام من كبر تكبيرة في سبيل الله كانت له في ميزانه يوم القيامة أثقل من السموات والارض وما فيهن.

وهذه اعزكم الله بطاعته، وجعلنا واياكم ممن اسرع الى الخير باشد استطاعته ءايات الكتاب العزيز واضحة الدلالة، واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لائحة عليها انوار الرسالة، اما فيها غنية اللبيب، الم تجمع بين الترغيب والترهيب، وانتم معشر العلماء والصلحاء تلزمكم دون

من دونكم عهدة التذكير والتبصير، فقوموا لله مقاما محمودا، واتقوا الله وقولوا قولا سديدا، وحرضوا على الجهاد عن أرجائكم، وقدموا الى الله تعلى صدق التجائكم، تظفروا بذلك بمنائكم، ولم لا تحرضون بامكنتكم، وتجاهدون قبل الجهاد بالسنتكم، وانتم بفضل الله متيقظون، ولما امر الله به ونهى عنه متحفظون، والناس بما استيقظتموهم أيقاظ، وإذا استثرتم حفائظهم فمندهم بحول الله حفاظ، فانما هم لكم أتباع، وهذه الجنة فهل لها من مبتاع، وهذا اوان صدق العزيمة، والقيام لله بهذه الوظيفة العظيمة.

واولى من خص بالتذكرة، للعبد بالموعظة المذكرة، رؤساء هذه العدوة وامراؤها، واشياخ القبائل وكبراؤها، فقد أوسع الله لهم في العطايا وبسط في الرعايا، ومكن لهم في أرضه خير التمكين، ووفرهم من الحماة بامثال اساد العرين، وأرجو أن الله تعلى ينصر هذا الدين، بسيوف العصابة المباركة بني مرين، الليوث الظافرة، ولهم الاعداد الوافرة، والجموع المتكاثرة، والعساكر التي تسيل بالفضاء منها البحور الزاخرة، من كل أسد هائج للكفاح، ومنتضى عضب بيده في ظلام القتام غرة الصباح، وممتطي صهوة جواد كمنحط الصخر ومنقض الطير وعاصف الرياح

قوم الى بر بن قيس نماهم نسب على اوج النجوم مخيم
بالبيض والبيضات والحلق اكتسوا فتوحشوا وتتوجوا وتختموا

فيتنعمون بنعماه، ولا يمنعون حماه، ويؤمرهم الله على أوليائه ولا يامرون

له في أعدائه، فاين دينهم الذي به الى الله توسلهم وتوصلهم الى جهاد في سبيله، وابتغاء لما عنده من جسيم الثواب وجزيله، وتلبية لصارخ الاسلام، وخفة لنصرة نحتها رجاحة الاحلام، ورجاء لما غشي النفوس من الخطوب العظام، وتعظيما لما رجاه إخوانهم المسلمون لشملهم من الانتظام، واخوة الدين تنشدهم برحمها، وتدعوهم بحفظ ذممها، وتطالبهم برعي عهودها الذي لا يشك في كرمها، والملة الحنيفية تنادي بلسان حالها: أيها المومن هل من عزم في الله تمضيه، وعضب لجهاد اعدائه تنضيه، وموطن بغيظ الكفار يتقبله الله ويرتضيه، اجير افيرومون الحركة ونحن ساكنون، تالله ما أنصفناهم، واذا لم نزع المخافة عن اخواننا فنحن خوفناهم، فما يسوغ عنهم قرار، ولا عذر الا لمن اقعده مرض او افتقار، وإن كان الكفرة قد رفعوا شعارهم الصليب، واستنفروا له البعيد والقريب، ونادوا والله يهلك مناديهم والمجيب، فهذا كتاب الله لنا شعار مرفوع، وحديث رسوله في فضل الجهاد ووجوبه في هذا الكتاب مجموع، فنحن اولى بالافراع، وأحق عن دين الله بالدفاع، والنصر بحمد الله قد هب ريحه، واستولت على الكفار تباريحه، والحزم الاتضاع فرصة عند امكانها، ومساعدها السعد يدنو زمانها، فمن صدق اسلامه فليصدق إقدامه، والمسلم كما قال عليه السلام أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، والله يعلم اني بالغت في النصيحة، ونطقت بمبلغ النية الصريحة، والعقيدة الصحيحة، امتعضت للدين أشد الامتعاض، وتأملت من بجزيرة الاندلس

من أهل الايمان، وعباد الرحمان، من الرجال والنساء والولدان، فطويت الضلوع على حرقة الارتماض، فمن وصل اليه هذا الكتاب فهو في دعوتنا الى الله وعهدته لازمة لديانته حتى يبعث بنسخه في البلاد، وتعم به الدعوة للجهاد، من بالجبال والوهاد، فيفوز بالاجر وافي النصيب، ويجمع في نكاية العدو بين المرمى الابعد والمرام القريب، ونسأل الله العظيم أن يمدنا معشر عباده المسلمين، بتأييده وعضده على أعدائه الكافرين، اللهم انا ندعوك بما دعاك به نبيك تأسيا بدعواته، وتيمناً بكلماته حيث قال: اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الاحزاب، اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم ءامين، ءامين، والسلام الكريم يخص من قرأه وقرىء عليه من إخواننا المسلمين ورحمة الله وبركاته.

اهداء ابي القاسم الشريف ديوانه شعره الى ابن الخطيب

الحمد لله الكبير المتعال، فهو المسؤول ان يعصمنا من خطل القول وزلل الاعمال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الارسال، هذه أوراق ضمنتها جملة من بنات فكري، وقطعا مما يجيش به في بعض الاحيان صدري، ولو حزمت لاضربت عن كتبها كل الاضراب، ولزمت في دفنها واخفائها دين الاعراب، ولكني ءاثرت على المحو الاثبات، وتمثلت بقولهم: ان أحسن ما اوتيته العرب الابيات، واذا هي عرضت على ذلك المجد، وسألها كيف نجت من الوأد، فقد اويتها من حرمكم الى ظل ظليل، وأحللتها من فنائكم الى معرس ومقيل، وأهديتها علما بان كرمكم

بالاغضاء عن عيوبها كفيل، فاغتنم قليل الهداية مني ان (جهد المقل) غير قليل، فحسبها شرفا ان تبوأت في جنابك كنفا وذارا، وكفاها فخرا ومجدا ان عقدت بينها وبين فكرك عقدا وجوارا.

كتاب الاستاذ ابن مسلم السلوي الى المقري المجد

وكان بعث له بمحرر للبيع فسأله ابداله باحرام تونسي

الحمد لله الذي أمر عند كل مسجد باخذ الزينة، وصلواته الطيبة، وبركاته الصيبة، على من ختم به شريعته واكمل دينه، وعلى اله واصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه، وبعد فما تعلق به الاعلام، ان تعوضوا المحرر باحرام، لا يخفى على مثلكم جنسه ومجانسه، ومن كلام العرب: كل ثوب ولابسه، وان اربى على ثمن الاول ثمن الثاني، فلست عن الزيادة والحمد لله بالواني.

رسالة للشيخ ابي عمر الفشتالي يوصي بها الفقراء

اعلموا رحمكم الله انه من كان الغالب عليه شهوة نفسه مع راحة بدنه فهو من اصعب هذه الطائفة للعلاج، وابعدها عن المنهاج، ولاسيما من قال منهم ان علماء الظاهر قطاع الطريق وان من دخل في طريقة التصوف ترقى في الحين عن مقام العبادة والعلم من غير تكليف ولا مجاهدة وهذا عين الدعوى والكذب فان التقرب الى الله لايكون الا بطاعته وقائل هذا تقتدى به العامة لظنهم الوصول الى اعلى المقامات بغير كد ولا تعب بل بما يوافق اهواءهم وتطلبه نفوسهم فربما تركوا الاسباب وطلب الحلال ونهضوا مسرعين الى هؤلاء المدعين، لاسيما رأوا عندهم خفض عيش اوسعة

رزق وربما اداهم ذلك لاسقاط الغيرة على اهليهم فيدخلونهم معهم من غير استعمال الحجاب، وسنة اولى الالباب، لاسيما ان كان عند هؤلاء المدعين مجالس ذكر وتواجد بسماع وما اشبه ذلك وهل ذلك الا زيغ وضلال وبعد عن الاتصال، فان ادعى هذا المضل للناس بدعواه شيئا من الكرامات والاخبار بالمغيبات على سبيل المكاشفات فهو دجال من دجاجيل هذه الامة ودعوته تسري في العقائد كسريان السم في الاجساد وقد ترجى التوبة للعاصين جهارا ولا ترجى توبة هؤلاء المفتونين لان المعاصي الفرعية لا تضر الاصل وهو القلب وهذه فتنة اصلية لا ينجبر معها الفرع لانها في الاعتقادات القلبية ومن اعتقد المعاصي طاعة فلا توبة له وكذلك من يعتقد الخيالات كرامات مع خلوه من الاستقامة فهو فاسد القلب والنية «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين الآية».

ومن اعظم البلايا والدعوى ان طوائف من المنتسبين اباحوا النظر للاجنبيات وزعموا انهم لهن اخوان وهن لهم اخوات وهذا حرام محض لم تبح الشريعة منه الا اخوة النسب والرضاعة فاين قوله تعالى «قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الآية» ولم تهتك اخوة الدين حرمة الحجاب ومن قال ذلك فهو زنديق ملعون وقد سمى الله تعالى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المومنين ولم يبح النظر اليهن بل قال (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» وقائل هذه البدعة يزعم ان قلبه اطهر

من قلوب الصحابة وهو والله كذاب ومن زعم ان زوجة شيخه كأمه فهو مغرور لان الله تعالى يقول «ما هن امهاتهم الآية

واما من ادعى ان علماء الظاهر قطاع الطريق فهو كاذب لانهم ينقلون ما امر الله به ورسوله وليس بعد ذلك الا الاهواء والبدع، واكثر قائلي هذا انما طعنوا في علماء الظاهر لانهم يظهرون مخازيهم ويفضحون مساويهم ويردونهم لاتباع السنة وانما كان التعمق في علم الجدل ومسائل الاقضية مذموما لامرين الاول انه يشغل عن العلوم القلبية والثاني انه يؤدي للمراتب الدنيوية وذلك كله ليس هو قاطع لطريق الله بل مبصر لمن اراد السير عليها. فاذا رأيتم من يدعي الارادة ويتسم بسمة العبادة ويحب الاجتماع عليه ويعمل المبيتات بالسماع ويشهر نفسه عند العوام ويحب منهم الاستعظام وهو يخالف ادنى شيء من السنة فاعلموا انه قد نصب اشراك الفتنة، وعلامته اتباع الشهوات وترك الورع والاخذ بالمباحات وعدم الرجوع للعلماء في المسائل المبهمات والنوازل المشكلات بل يكتفي بفهمه ويستغني بعلمه استكبارا عن السؤال ووقوعا في الضلال لان الصادق من كان القرءان شعاره والسنة قيده والخمول سيرته والعزلة سبيله والزهد في الدنيا سمته يقف عند الحق في الرضا والغضب وينصف من نفسه من غير طلب مشغول بعيبه عن عيوب غيره بشره في وجهه وحزنه في صدره يقبل اذا نصح ويتهم نفسه وان مدح ان قدر عفا وان عاهد وفى يوثر اخرته على دنياه ويقف مع الحق وان خالف هواه يعرف عيبه

ويستعظم ذنبه ولا يخاف ولا يرجو الا ربه ويوالى في الله ويبغض في الله ويغضب لله ويرضى لله يخفي الطاعات كما يخفي السيئات واقف مع قول الله العظيم «التائبون العابدون الحامدون الآية»

فمن كانت هذه صفته فهو الذي وجب الاقتداء به والا فالحذر الحذر ولو مشى على الماء وطار في الهواء فان ابليس يغوص في الماء ويطير في الهواء والدجال تخرق له العادات وتسخر له الجمادات وتطيعه الارض والسماوات وتحيى له الاموات وهو كافر باجماع يدعى الربوبية وينسب نفسه للالوهية وقد القى السامري الحلى في النار فصار عجلا جسدا له خوار وانما ذلك فتنة للخلق واختبار ومن اغتر بخيالات المدعين كيف يسلم من فتنة الدجال اللعين وهو يقول للسماء امطري فتمطر وللارض انبتي فتنبت وللخربة اخرجي كنزك فتتبعه الكنوز مثل يعاسيب النحل وفتن الدجال كثيرة مشهورة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تكثر الدجاجلة ويقل المتقون وفي رواية حتى يكون اربعة وعشرون دجالا منهن اربع نسوة. وقصدنا في هذه الوصية الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان كتاب الله هو الحكم الفاصل بين الحق والباطل والسنة هى القسطاس العادل بين المقتصد والمائل ومن رأى منكم شيئا من خرق العوائد في نفسه او في غيره فليرجع بها لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كل سحاب ابرق وامطر، ولا كل عود اورق واثمر. ولا خلاف ان الاستقامة رأس كل كرامة،

والنفوس لا ترتقب الا الغرائب، ولا تالف الا العجائب، ولو كانت من عند سحار او كاذب، وعمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة واعظم المبتدعين من يدعو الناس لبدعته، ويمكر بهم بحيلته، ومن باع الآجلة بالعاجلة فهو رأس الدجاجلة، نعوذ بالله من البدع واهلها.

رسالة العلامة الشهيد ابي الفضل جسوس الى السلطان مولاي اسمعيل في شأن جيش العبيد

الحمد لله الذي اباح الرسالة، هذه براءة من عبد السلام جسوس الى امير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسمعيل ادام الله علاه

بعد لثم الارض بين يدي البساط الاحمر، انهي للمقام الاسمى، انه من الواجبات المؤكد امرها، والتكاليف المعظم في الشرع خطرها وقدرها، النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم. اخرج مسلم والنساءي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم واخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فشرط علي والنصح لكل مسلم فبايعته على ذلك واخرج الامام احمد مرفوعا قال الله عز وجل احب ما تعبد لي عبدي به النصح لي واخرج الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم. ومن لا يصبح ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم وتكلم ابو الفضل على معنى النصيحة

لله ولكتابه ولرسوله وللامام ولعامة المسلمين ثم قال:

ومن اكد النصائح واهمها، واكملها مصلحة وحكمة واعمها، النصح لايمة المسلمين، المقلدين لكافة امور الامة واعباء الدين، وذكر الاحكام الشرعية لهم وبيانها، واشهارها واعلانها، وقد أفصحت النصوص من الكتاب والسنة بوجوب بيان الاحكام، وبالوعيد على كتمها عن الانام، قال الله تعلى «واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية» وقال جل من قائل: «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» وقال صلى الله عليه وسلم: من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار يوم القيامة. وغير ما اية وحديث. هذا في كتم الاحكام والاغماض عن بيانها، أما ليها وتبديلها بنحو استحلال محرم ولو صغيرة علم تحريمه من دين الاسلام بالضرورة فهو إلحاد وكفر، قال الاشاعرة: من استحل محرما ولو صغيرة علم من دين الاسلام تحريمه بالضرورة كنكاح ذوات المحارم او الزنى او شرب الخمر او اكل الميتة لحم الخنزير من غير ضرورة كفر.

وجلي شهير ما هو من شيم مولانا ادام الله تأييده، واولى النصر والفتح جنوده وما جبلت عليه طبيعة العلوية من النصرة لدين الله تعلى ورعاية ودائعه، وحفظ ما اودع سبحانه من شرائعه، والذب عن الحنيفية السمحاء وحياطتها، وقمع من يلحظها بعين الاعتداء واعظام امرها وصيانتها،

وما هو عليه من الشغف بمحبة العلم ونشره والتلهف لبثه في افقه ومصره والتعظيم لقدر العلماء حملة الشرع والتبجيل، ومعاملتهم بما لا يعرف لاحد غيره من الصنع الجميل، والمبالغة في التنفير عن البدع والمحدثات، وكبت المعتدين ذوي الجرأة على الدين والترهات، وخصوصا ما يرجع الى استحلال المحرمات كالابضاع ونحوها فهو ايده الله دائما يجهد نفسه في ذلك بالبحث عن متعلقاتها والاستقراء، ويبالغ في الاحتياط فيها والتخلص من متشابهها بالتتبع للاحكام الشرعية والاستقصاء، وانها لجديرة بذلك. وكيف لا وحفظ الانساب احد الكليات الخمس التي تواطأت عليها جميع الانبياء والرسل، ولم تستبح في شريعة من شرائع الامم من قبل، والنصوص في ذلك شهيرة لحجة الاسلام الغزالي. وقد قال صلى الله عليه وسلم في خطبته المشهورة في حجة الوداع فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث. قال العلماء وحفظ الانساب داخل تحت حفظ الاعراض على ان الاحاديث الصحيحة جاءت مصرحة بذلك. قال القرافي، فما أباح الله العرض بالقذف والسب قط ولا اباح الاموال بالسرقة ولا بالغصب قط، ولا الانساب باباحة الزنى قط، ولا العقول باباحة المفسدات لها قط، ولا النفوس والاعضاء باباحة القتل والقطع بغير حق قط، ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرمة المحرمات قط.

وامير المومنين عمت بركته واضح قصده على ما يقتضيه جميل الظن به وما تقتضيه كمالات بيت النبوة، وشافه به وبلغنا عنه غير مامرة

ان اهتمامه بجمع الحراطين[1] وكمال رغبته في ذلك ليس الا لما اقتضاه رأيه الصائب وعزماته النافذة من تكثير الجيوش التي بها قوام الدين وحفظ بيضة الاسلام والمسلمين لا انه اثارته - وحاشاه - شهوة دنيوية لذلك. ومن سرى الى وهمه ان المقتضى ذلك ولم يحم حول حكم مقترحاته، اخذ يعاني جمعها على وجه مضاد للحق معاند للقواعد الشرعية مناف لقصده دام علاه. كيف ولم يزل يفصح ويصرح علنا بان هذا الامر لا يرتكب فيه الا اكمل وجه من وجوه الصحة الشرعية ولا يعاني الا متحقق الاركان مستوفى الشروط مرتفعة عنه الموانع. على ان حصول ما ذكر من غرضه وقصده من تكثير الجيوش لا يخفي انه لا يتوقف على استرقاق بل هو طوع اليد بدونه. وحيث تحقق هذا كله ولم يخف تعين على من له ملابسة للعلم انهاء هذا الخطب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الاحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي وتقرير هيئته الواقعة وكشف الوجه الذي ينتحل عليه وما يرتكب في ذلك من المحظورات الموبقات وبيان حكمه اذ مثل هذا مما لا يسع التغافل عنه والتساهل في امره كيف وهو مما توعد عليه من الغش وكتم الاحكام.

واذا كان كذلك فابث لمولانا نفذت اوامره، وسطت باهل الزيغ والعتو عزماته وبوادره، انه غير خفي ان هذا الارقاق، من الظاهر الشهير الذي لاسترة عليه ان المطالبين به الآن في مدينة فاس هم اناس

(1) جمع حرطاني واصله حرثان ويطلق في العرف على من لم يكن اصيل الحرية كان الحر اثنان اول وهو الاصل وثان وهو الطارئ.

احرار كغيرهم من سائر احرار المسلمين حريتهم معلومة لا اشتباه فيها بوجه وكل مايقع منهم من الاقرار بانهم ارقاء لمعين او لغير معين او يقع من غيرهم من الشهادة عليهم برقية على اي وجه كانت فان ذلك كله عن ضغط واكراه مشاهد معاين بحيث لا ارتياب فيه ولا يختلج في ذهن افتقاره الى اثبات. كيف وقد وقع الاعلان للجم الغفير، والملأ الكثير، من اهل العلم وغيرهم مشافهة من المنتصب لهذا الامر والمعين له بان هذا الاسترقاق ان لم يقع الانقياد له والاذعان انتقم من الكافة ونكل بهم وعوقبوا العقاب الشديد بأن ينزل بهم مالا يستطاع من الامور الفظيعة من قتل نفوس وهتك حريم والزام ما لا يطاق من قناطير الاموال.

وحيث كان كذلك فكيف يعول على هذا الاقرار وهذه الشهادة وكيف يعتد بذلك ويسترقون به ونصوص الايمة طافحة بان كل ما كان من اقرار وشهادة عن ضغط واكراه فهو لغو لا اعتداد به قال مالك لا يلزم المكره ما اكره عليه من طلاق او نكاح وعتق وغيره. ابن عرفة طلاق المكره وسائر فعله لغو ابن الحاجب لا اثر لطلاق الاكراه كنكاحه وعتقه وغيره والاقرار به او اليمين. هذا وقد صرحوا بان الاقرار لمن يتهم بان الاقرار له انما وقع عن خوف وخشية لغو غير عامل ففي الكافي لابن عبد البر اقرار غير المحجور جائز لا يحلقه فيه تهمة ولا يظن به توليج ولا يحتاج لمعاينة قبض الا ان يكون المقر له ممن يعرف فالقهر والتعدي، بل هؤلاء مطالبون به الآن حيث كانت حريتهم معلومة

فاقرارهم بالرق ولو كان عن طوع وجواز ومع انتفاء ما ذكر من التهمة فهو لغو ولا يسلمون شرعا للرقية بهذا الاقرار ولا ندعهم واياها ولا يلزمون به لان حريتهم حق من حقوق الله تعلى فليس لهم ارقاق انفسهم. قال ابن سحنون واجمعنا في امرأة معروفة الاصل والحرية وابواها حران ان اقرارها بالرق باطل قال محمد بن عبد الحكم وان كان واحد ممن اقر بالرق معروف الاصل والحرية لم يجز اقراره وليس للحر ارقان نفسه والبينة اولى في هذا من الاقرار.

فانى يسع احدا العدول عما تقتضيه هذه القواعد ام كيف تتنكب هذه النصوص ويسمى ما ينتحل بتمويهات وتلبيسات من الصور الفظيعة التي لاحقائق لها ولا وجه استقامة يحوم حولها ولاشيء منها ولا من متعلقاتها بجار على قاعدة من قواعد الشرع كما لايخفى على من له ادنى ملابسة لاحكام الشريعة ويدعى ارقاقا وتبايعا تستباح به الابضاع وهل هذا الا لعب في الاحكام وتغيير وتبديل وتحريف والحاد هو كفر لتجشم ارتكابه كما افصح بذلك نص الاشاعرة المتقدم نقله. وقد جمعت هذه الوصمة الشنعاء مفاسد معضلات، وتألفت صورتها البشيعة من فظائع موبقات فمنها شهادة الزور والحمل عليها وقد بين صلى الله عليه وسلم انها تعدل الاشراك روى ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه عن خزيم بن فاتك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاث مرات ثم قرأ فاجتنبوا الرجس

من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وروى الامام احمد عن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار. ومنها الاكراه على الاقرار بالرق والاستعباد به والمستعبد للحر هو احد الثلاثة الذين لايقبل الله منهم صلاة اخرج ابو داود وابن ما جه عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لايقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل اتى الصلاة دبارا، والدبار ان ياتيها بعد ان تفوته ورجل استعبد محررا وهو ايضا احد الثلاثة الذين قال الله فيهم انا خصمهم يوم القيامة اخرج البخاري وابن ماجه وغيرهما عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل اعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى ولم يوفه أجره.

ومنها الاكراه على الحكم وعلى الفتوى بغير ما هو حق من الضلال والباطل المرتكب فيه تضييع فرائض الله والمخالفة لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحليل ما حرم الله والوعيد في هذا عظيم. ومنها انها تفضي الى ابطال كل عتق وتحرير تقدم لانهم يجعلون في هذه الربقة ويدخلون فيها كل من لم يتقدم الرق له او لاحد اسلافه فلا عتق عندهم يعتد به وهذا فتح لباب لايستطاع النطق بمن يتناوله ويشمله من هذه الامة من

سلفها الصالح فمن بعده من القراء والعلماء وغيرهم ومنها ايضا ماتحقق الآن وشوهد بسبب هذا الواقع من سدباب العتق وتقرب الناس به اذلم يبق الآن وثوق باستمرار من يعتق على فك رقبته ولحاقه بأحرار المسلمين ومعلوم تشوف الشارع للعتق وحضه عليه والوعد عليه بجزيل الثواب فلينظر ما افضت اليه هذه البدعة التي لم تقع في غير هذا القطر المغربي من سائر الاقطار ولم يبتل بها اهل عصر ممن سلف من الاعصار. ايسع نفسا زاكية ان لاتنهض لحسمها وسد الطريق دونها؟

فنبتهل الى الله سبحانه ان يولى مولانا امير المومنين كشف اذاها ورفع شكواها، فقد ضاقت نفوس الخاصة والعامة بها ذرعا، وما استطاعوا لها نظرا ولاسمعا، لجمعها بين المصيبة في الدين والدنيا، فمثلها يود المومن ان لايكون في الاحياء ارفض للشريعة ونبذلها وراء الظهر، ونسبة صورة شنيعة لها تبقى سبة وضحكة امد الدهر، معاذ الله ان يقع هذا وامير المومنين في الوجود، والعلماء والحمد لله على الدين قعود.

فان ابتدر للفكر ان يقال لم تأخر منكم هذا المقال الى الآن وقد تقدمت امثال له وعاينتموها فما وقع منكم بسط مثل هذا الكلام فيها والقاؤه بل بسطتم اليد الى الكتب على موجبات ذلك، فجوابه ان المطالبين بالاسترقاق في تلك الامثال هم في امكنة بعيدة عنا لانعرف اباءهم ولا اعيانهم بل ولا اسماءهم فكيف بحريتهم اورقيتهم وما وقع من الكتب على ذلك هو مخاطبة بثبوت تلك الموجبات بعد الرفع على خطوط قضاتها اوجواب

بالصحة والجواز على سؤال ليس فيه ما ينافيها فتلك الموجبات المهدة فيها على شهود بلادها وعدولها وقضاتهافهم المتقلدون من ذلك ماتقلدوه.

اما هؤلاء المطالبون بالاسترقاق الذين الكلام الآن فيهم فكلهم لم يزالوا معنا منذ النشأة ببلد واحد فنحن نعرفهم ونعرف حريتهم ولا يخفى علينا امرهم وقد دعينا الآن والجئنا لنقيض ما هو مقرر عندنا وبالجملة فالخطب في هذه المسألة عظيم فلكم تجاذبته من حقوق لمولانا سبحانه ولعباده المومنين.

هذا ما أدي به بعض الواجب من النصيحة ونضرع لمولانا سبحانه ان يعامل بالعفو عما بقي في الذمة مما يتعلق بهذا وغيره من التقصير واحيي الحضرة العلية تحية مباركة طيبة.

تقريظ فتاوي المجاصي لعبد الملك النجموعني

طالعني الاخ في الله العلامة الهمام، قاضي الاسلام، ابو عبد الله سيدي محمد بن الحسن احس الله في الدارين عاقبة الجميع، بالنبي الشفيع بما صدر عنه من الفتاوي في الاحكام الشرعية، والنوازل الوقتية، وغير ذلك من اماليه، في قضايا غيرها. ومناحيه، التي قلد جيد عصره جيد درها، اولى البرايا بحسن الذكر محترما من كان فتياه توقيعا عن الله فرايت مجموعا جموعا لكثير من الفوائد والنوادر،

ميكال معك وجبريل كلاهما مدد لنصرك من عزيز قادر،

لو بصر صاحب الدر النثير، او العلامة ابن الاثير، لابتدرا القسم معا واليمين، انه الحقيق بقوله

اذا ما راية رفعت لمجـــــد تلقاها عرابة باليميـــــن،

ناهيك من جواهر تروق في اصدافها، واشباه ونظائر تترجم عن آثار بقايا الحجة في اوساط الارض واطرافها، يحق المعيار، ان يغار، ولابن عرفة، ان ينظر في تحرير حد المعرفة، ولابن رشد، ان يراجع نفسه في تحقيق معنى السفه والرشد، ولابن عات، ان ينشد هذه الابيات:

جدير كتبها بسواد عين عزيز كسبها بنفيس عين

لقد صفرت خزائن لم تحزها وان ظفرت بتاج ذي رعين

فتاو من قضايا الفقه صيغت تسوق الخصم قهرا دون عون

بها عهد الامام لتابعيه ووصى التابعين بها ابن عون

أبا عبد الاله لانت بحر وكم للبحر من نهر وعين

اعيذك بالمقشقشتين[1] مما تحاذره ومن المام عين

مدحت ومدحي الفتيا بحق يحط مديح مروان لمعن

استرعاد اجازة من العلامة الفهامي الحمادي

لثلاثة علماء

حدا لمن اطلع في سماء العلم للرواية والدراية شموسا واقمارا، وعينهم لافتضاض الابكار، من غواني الافكار، حتى اجرى من ينابيع حكمهم بحورا وانهارا، واهلنا للارتشاف من خلاصة رضابهم المغني عن احلى من الضرب، حتى اسعدنا بالارشاد نحو لمحة من فنون علمهم المزرية

(1) - هما سورة قل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص

بشذور الذهب، وصلاة وسلاما على يتيمة الدهر، الجامع لاشتات الفضائل والفخر، المصطفى المختار، المجيز من استجازه دون انكار، وعلى اله الاتقياء الابرار، واصحابه الاجلة الاخيار وبعد فالمطلوب من احسان شيخنا قاضي القضاة، ومن اليه يرجع في حل المشكلات الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين اوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الدراكة المشارك، الذي لم يعقه عن دائرة التحقيق متدارك، الامام الذي به في كل فن يقتدى، النجم الذي هو ضياء في مشكلات العلوم وهدى، العلم الفرد الذي قصرت عن ادراك شأوه الجموع، العالم الذي انتصبت له في الخافقين اعلام الثناء المرفوع، امام الفصحاء، وحامل راية البلغاء:

هو البحر لابل دون ما علم البحر هو البدر لابل دون طلعته البدر
هو النجم لابل دونه النجم رفعة هو الدر لابل دون منطقه الدر
هو الكامل الاوصاف في العلم والتقى فطاب به في كل ما قطر الذكر

ذي الاخلاق التي يكل عنها الحصر، والخصال التي يعترف لها بها نبهاء العصر، الجامع لاوصاف الجمال وجمال الاوصاف، الجائز لاصناف المحاسن ومحاسن الاصناف، صاحب السر الواضح السامي، ابي الفتح سيدي محمد التهامي، بن العارف الاكبر، والولى الاشهر، الذي يحد وبمحاسنه الحاضر والبادي، ابي المواهب سيدي حمادي الحمادي:

قد ابصرت عيني محاسنه وشاهدت منه الجمال الجميل

حملت قلبي من محبته ما لم يكن يحمل قبل حميل

كيف لا وهو الفصيح الذي ان تكلم اجزل واوجز، وأسكت ابن السكيت وابن العميد ببلاغته وأعجز، واخمد نباهة قتيبة وابن قتيب، في علم اللغة والغريب، واما السنة والكتاب، فقد أبدى فيهما ملكة مالك وابن شهاب، ولم يشك سامع انه ابن القاسم او ابن ادريس، ان توجه لعلوم الفقه بالفتوى والتدريس، بيد أنه هذب بتنبيهاته الحسان، كل مختلطة من مقدمات المهرة الاعيان، واذا تعرض للتصريف، أو انتحى للنحو الجليل، خلته معاذا الهراء العفيف، أو ابن احمد الخليل، يتصرف في بديع الانشاء، بما يشاء

ان هز اقلامه يوما ليعملها انساك كل كمى هز عامله

غير أن كلامه في الالباء، يسري مسرى كؤوس الصهباء، لو قرطت ببواقيته ،اذان عبد الحميد، لاصبح في صناعته غير حميد، او الحريري وابن خاقان، لما اهتديا الى جمع المقامات وقلائد العقيان، ما برز في موطن بحث الا برز على الاقران، ولا اجرى جياد علومه الى غاية الا كانت مطلقة العنان.

إيه وفيه جرى، كل الصيد في جوف الفرا، ضم الى علمه العمل، ووصل مما اراد الى اقصى الامل، فهو الرئيس الذي به المفاخر تحمد، كعبة المجد والوفاء والسخاء والدين والحلم والفخار المؤبد، جرت في بحر محاسنه سفن الاذهان فلم تدرك قراره، وعجز النظراء والكبراء أن

يلحقوا ءاثاره :

سما في اهله طفلا وكهلا واحرز كل مكرمة حقيقة
فبالاكرام والاكبار حقا ترى ابدا سيادته حقيقة

ولكن لا يستغرب من التبر الذهب ومن معادنها الدرر، والسبط لابدان يقفو الاثر :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل

أن يمن بالاجازة على المتمسكين بأذيالكم، والمترددين صباحا ومساء على مجالسكم، والمقبلين ثرى نعالكم واقدامكم، المستندين لحاكم المنيع، واللاثذين بجنابكم الاعز الرفيع، محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالي الحسني الشهير بالكردودي، والفقيهين الجليلين اخيكم سيدي محمد وسيدي الطالب بن العلامة سيد حمدون ابن الحاج المسلمي المرداسي، ونحن وان لم نكن لذلك اهلا، فاقبلوا ذلك منا منكم وفضلا، عسى ان يهب علينامن نفحاتكم العظمى، ما نستوجب به من الله مزيد الرحمى:

ولسنا لذا اهلاولا كن فضلكم به نرتقى والمرء يسمو بكم قدرا

وتكون تلك الاجازة من سيدنا محققة، مصرحة القرينة مطلقة، على الشرط المعتبر، في الاداء عند اهل الآثر، شاملة للمعقول والمنقول في كل حكم محصل او معدول، جامعة للاصول والفروع، في نوع المفردات والجموع، ليحصل لنا الدخول في حماكم الكريم، والتشبث بجنابكم الاعز الفخيم، ونظفر بالمنى والنجاح، ونتشبه بالكرام فالتشبه بهم رباح، وان

رشحت بـذكر من تحملت عنه العلم من الايمة الاكابر، الذين افتخرت بهم على الاوائل والاواخر، كان فى ذلك تمام الامنية وانما العمل بالنية، وحاشاك ان تمد اليك الايدي فتردها خلوا، وانت الذي عرفناك اخا للفضائل وصنوا، او يقرع فضلك فلا يفتح بابك، ولاتسدل على المعتفين اطنابك، وغير مستغرب اقبالكم على امثالنا، واعطاء من لاذبكم البغية والمنى

ولاغروان ان يعطى المنى لاثذبكم ويلقاه وجه السعد متضح البشر
وفضلكم يغشى المطيع وغيـره كما تمطر الامطار بالترب والصخر

ويعلم الله ان النفس لاتسمح بهذا الاطناب لسواكم، ولاتبوح بمرامها الا لعلاكم:

بقيت بقاء الدهر ياكهف اهله وهذا دعاء للبرية شامـــل

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم انبيائه، ومبلغ انبيائـه وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما:

اجازته لهم

حمدا لمن اجاز نهى ذوي العلم في مضامر الاسرار والمعارف، وأسام خلدهم في رياض المعاني وافانين اللطائف، فتسـابقوا لاقتنـاص ءاوام ءاثارها، وتنافسوا في اقتطاف رائق ازهارها، وحلاهم بحـلل المـوءة واحلهم متابة النبوءة، وتوجهم باكليل الـهيبة والوقار، ونعتهم بوسـم الخشية فتاهوا فى مجال العظمة من غير افتخار، نحمده حمد معترف بعجز العوالم عن ثنائه، ونشكره شكر مغترف من بحر ءالائه، ونشهد انه الله

الذي رفع مقدارهم بالاضافة، ونوه بما له لديهم من المزايا وعظيم الانافة، ونشهد ان سيدنا محمدا ضئضىء الوجود، ومادة الحقائق والاسرار والجود ذو السند العالى، المخصوص بقنة الشرف واعلى ذروة المعالي، صلى الله وسلم عليه وعلى اله الذين فازوا باتصال شرفهم اليه، واصحابه الذين عولوا في الاخذ والاجازة عليه.

وبعد فلما كان العلم اشهى ما يقتطف ويجتنى، وانفس ماينافس فيه وبه يعتنى، واجل علق يدخر ويقتنى، كما دلت عليه آيات وآثار، وجلت محاسنه بدائع نظام ونثار، كم سمك من بناء عال، لخامل بفناء مقال، وقرب وادنى، واعز واغنى، وتوج وجمل، واتم واكمل، لاتعد مفاخره، ولايحد زاخره، وكان الاسناد فيه من الدين، وسننا ماثوراً للخلف والسلف المهتدين وكان الزبرقان الاجمل، البدر الاكمل، ذو الحسب الفاخر، والنسب العاطر سيدي محمد بن عبد القادر، والفرقدان الازهران، بل القمران الابهران، بل البدران الاشهران، ابوا عبد الله المحمدان المذكران ممن لازم الجثو مدة بنادينا، وحل لاقتناص شرد العلم بوادينا، واعمل في خدمته عوامل الافكار، وجد في مراودة غوانيه الابكار، وسدد قراطيس الطروس، في ميادين الدروس، حتى ظفروا والحمد لله بما اتيح لهم من جدوده، وابيح لهم من الوقوف على حدوده، فرأوا عينه عيانا، وتقلدوا من فراقده درا وعقيانا ورشفوا من معينه ما اغنى عن رضاب الغواني، وازرى بادارة الصهباء في نفيس الاواني،

واستنشقوا من رياه اذكى طيب، وهزوا من افنانه كل رطيب، فهصروا جناه غضا نضيرا، وتلقوا من جنانه نضرة وسرورا وعانقوا من عرائسه حورا، توجن مفارق وقلدن نحورا، وعرفوا حقيقته ومجازه، اقترحوا مني ان أتحفهم في ذلك باجازة. تكون قدى في عين الكاشح وخير مدخر، واسوة لمن تقدم من السلف الصالح وتأخر، ولعمري المسؤول احوج لها من المستجيز، بل لايستحق ان يجاز فضلا عن ان يجير لقصور باعه واندراس رسومه من العلم ورباعه، وقلة تدبره وسوء فهمه وقدور حظه في ذلك وسمه:

خلت البلاد فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

ولكن البلاد اذا اقشعر ما بها من غض وسيم، وصوح نبتها رعي الهشيم، فاقول، ومن فيض كرمه سبحانه المقول.

قد اجزت من ذكر اجازة تامة، مطلقة عامة، في كل ما قد دريت، او رويت، عن شيوخي الذين كانوا طوالع شموس، في وجوه دموس، كما افلت الدنيا بعروق محاسنهم السابقة، وافلت حجج سوالف العصور بعلومهم البالغة،

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

لكن بشرط التثبت والتحري، وان يقولوا فيما ليس لهم به علم لا ادري، فانها للعالم جنة ومن اصابته مقاتله جنة:

ومن يك يهوى ان يرى متصدرا ويكره لا ادري اصيبت مقاتله

وقد سئل الامام مالك عن اربع وثلاثين مسألة فاجاب عن اربع منها وقال في ثلاثين لا ادرى، وسئل اعلم العالمين صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها فقال حتى اسال جبريل فسأله فقال حتى اسال رب العزة فقال له خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق. واوصيكم وايای بطاعة الله وتقواه، واخلاص النية لمن يعلم من العبد سره ونجواه، وتخليص القلب من مفاسد الرياسة، وتمحيصه من كل رذيلة وحساسة، وتعظيم العلم مع تواضع ولين جانب، والعمل بمقتضى العلم وترك ما يجانب، العلم يهتف بالعمل، فان وجده والا ارتحل، وانشدوا.

العلم لا ينفـــــع الا اذا عملت فافهم من كلام العبيد

لو ينفع العلم بلاء مل لكان ابليس نظير الجنيد

والله اسأل ان ينظمنا جميعا في سلك ارباب العمل والاخلاص القائمين عن ملاحظة الحظوظ ومطالعة طوالع الاختصاص امين.

رسالة الفقيه كنون في العمال الجهال

هذه نصيحة المحب المشفق السائس، في بيان وجوب عزل الامر الفنى مثل الرائس: الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه وواه، ومن اعرض عنه شقى في دنياه واخراه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من والاه. من عبيد الله تعالى محمد كنون - الى محبنا في الله ولله جل وعلا الفقيه السيد موسى، احبكم الله الذي احببتمونا من اجله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وادام الله سبحانه تاييد سيدنا الامام

وسعادته والاسعاد به وهدايته والهداية به ونفعه والنفع به وصلاحه والاصلاح به واعزازه والاعزاز به. اللهم اجعلنا واياه هداة مهديين، غير ضالين ولامضلين

اما بعد فاني اخفرت في شخص من اصهاري قد كان فى اماني وامان العامل القائد الجيلاني، وذلك انه كان قبض فارسلت له في شانه فراعى الحرمة وسرحه رعاه الله تعالى ولطف بنا وبه وكان ذلك فياول صفر فبقى في الامان المذكور هو واخوه الى اوائل ربيع الثاني فغاب هو فقبض اخوه فارسلت الى العامل في شأنه فامر بتسريحه مراعاة لحرمة العلم الشريف وحرمة محبتكم. ثم ان رئيس الفتنة والشرور لانتهاكه حرمة العلم وحرمتكم وعدم مبالاته بذلك ولا بالمحبة التي بيننا وبينكم اخفر ذمتنا وذمة العامل وامتنع من تسريحه بعد ما اخبرني بانه سرح على لسان صاحبه مقدم الحومة ووعدني بان يسرحه في صباح ليلة ارسلت له فيها طالبين من اصحابنا فكذب واخلف. ولايخفاكم حديث مسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر وفي رواية له اية المنافق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ولايخفاكم ايضا حديث البخاري من اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل منه صرف ولاعدل، مع ان خليفة المرء لايخالفه الا فيما بان غيه

لاكن هذا خالفه لتعسفه وعتوه وبغضه للعلم واهله فيما هو صلاح وقدقال مولانا علي كرم الله وجهه على ما في الاحياء

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعداء

وقال الشافعي رضى الله عنه.

لمنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه

فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه ازهد منه فيه

اذا غلب الشقاء علي السفيه تنطع في مخالفة الفقيه

مع ان المقبوض المذكور من الضعفاء حسا ومعنى الذين لايقدرون على كر ولافر ولاحر ولاقر وهذا هو حال جل من قبض. وغاية ذلك البروز في يوم الثلاثاء المعهود فكل من كان في ذلك اليوم بارزا بنوع من انواع السلاح استحق واستوجب ان يكون من العسكر لتكون هذه كفارة لتلك والرائس اعرف الناس بهم لانه كان مقدمهم وممدهم اذ ذاك وقد كانوا عدداً كثيرا جدا، واما من كان في ذاك اليوم مختفيا خائفا لائذا بامه او باخته مثلا فلا يليق للعسكر ولو جاء متبرعا راغبا في الدخول فيه. ومن ادل دليل على عدم صدقه ونصحه ان مدة القبض تزيد على الاشهر الثلاثة ومع ذلك لم يكمل العدد المفروض مع قلته بالنسبة الى المقاتلة في ذلك اليوم فلو كان صادقا ناصحا لقبض العدد المفروض منهم في يوم او يومين لمعرفته بهم اشد المعرفة لانه كان رئيسهم لكن لعدم نصحه لم يقبض من هؤلاء الذين حق العسكر ان

يكون منهم الا النادر جدا فيما بلغنا وحق من قبض من هؤلاء ان لا يسرح اصلا، ولا يشفع فيه الا من لا خير فيه فلو قبض العدد المفروض من هؤلاء لم تطل مدة القبض هذا الطول واستراح الناس وانسد باب الطمع اذ لاسبيل لتسريح احد منهم لا ببذل ولا بغيره لكن لعله لم يقبض هؤلاء لكونه ادخرهم ليوم ما كما هي بدايته ومن اظلمت بدايته اظلمت نهاية ومن استرعى الذيب فقد ظلم:

وراعي الشاء يحمي الذيب عنها فكيف اذا الذئاب لها رعاء

وحيث كان القبض من غير المستحقين له ففي كل يوم يقبض عدد كثير ويسرح اكثر منه فيضل البيع والشراء في الضعفاء اليوم اجمع، وذلك شبكة للاطماع والرشا حتى انه اكلت في هذا اموال كثيرة ولم يبق من غير تسريح الامن لم يجد ما يبذله من الضعفاء والمساكين الذين لاناصر لهم غير الله تعالى على ما شاع وذاع على السنة الناس كهذا المسكين الذي تكلمت في شأنه المرة بعد المرة وعسر على الرائس تسريحه من غير بذل لانه انما اعتاد التسريح به ولو ان اهل هذا الضعيف وجدوا ما يبذلون له وجاءوه به على غير يدي لسرحه كما سرح غيره وذلك طريق مسلوك عنده ولذلك لم يكمل العدد المفروض مع طول المدة وكثرة المقاتلة في اليوم المعهود بل لا يكمل ابدا ما دام الامر دائرا على الطمع كما هو داب من كان حريصا على الدنيا يطلبها باخس الحرف فما ظنكم اذا وجد السبيل اليها بالعمالة والولاية وفي صحيح البخاري ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وفي رواية ابي نعيم في الحلية هل تنصرون الا بضعفائكم بدعوتهم واخلاصهم.

وقد اطلع الرائس على خطابكم الشريف العامل باحترام متعلقاتنا وهم ناس قليلون ضعفاء على انه كما قيل: وما عجب اكرام الف لواحد، فلم يبال بذلك وما ذاك الا لما كمن في باطنه من بغض العلم واهله وعدم احترامه لمن احترموه لاكنه يحترم بحرمة الريال واللوبز فلاحرمة عنده الاحرمة ذلك والعرب بالباب. فانشدكم الله تعلى اي حرمة للعلم تبقى حيث تكون حرمة الطمع مقدمة على حرمته واى جاه له حيث يرسل واحد من اهله لواحد من الوكلاء السفلة في امر المرة بعد المرة فلا يبالى به واي مذلة بعد هذا لاكن:

اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبـــرة

والعبرة في ذلك انى اخطأت الطريق فعوقبت فقد اخرج الحاكم وصححه عن علي بن ابي طلب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا المعروف من رحماء امتي تعيشون في اكنافهم ولاتطلبوا من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم يا على ان الله خلق المعروف وخلق له اهلا حببه اليهم وحبب اليهم فعاله ووجه اليهم طلابه كما وجه الماء في الارض الجدبة لتحيى به ويحيى به اهلها ان اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة قال المناوي ومفهومه ان اهل الشر في الدنيا هم اهل الشر في الاخرة وفي الحديث ايضا مرفوعا اذا سألت

فاسأل الصالحين

فسؤال الكريم يورث عزا وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكبار بذل انما الذل ان تجل الصغارا

وواضح ان احترامنا في الحقيقة احترام لكم بل ءاية احترامكم الصادق احترامنا فكل من لم يحترمنا بحرمة الله ثم بحرمتكم فهو في احترامه لكم كاذب لو وجد السبيل لم يكن له احترام اصلا، وكل من يعصي عالمكم وعاملكم فهو مظنة ان يعصيكم، شنشنة اعرفها من احترم، والمومن لا يلدغ من جحر مرتين، والمومن كيس فطن حذر كما في الحديث على ان معصية من ذكر معصية لكم في الحقيقة ومعصيتكم في المعروف معصية لله ولرسوله «فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم الاية»

على انه قد عصى بالفعل حيث حارب وقد قال تعلى: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية» ومن حارب علانية حين وجد السبيل فكيف تومن محاربته سرا وءاية ذلك انه منعت فظ غليظ على جميع الناس حتى على العامل الذي هو خليفته فقط مع غفلته عن بدايته المظلمة المدلهمة، وقد ذكر الابي في شرح مسلم ان الامير ابا يحيى سلطان افريقية دخل الى زاوية الزبيدي ليتبرك فلم يجد الشيخ الزبيدي الكبير ووجد ابن اخيه الفقيه الامام بها فقيل للامام قد غاب عمك بالسانية فباشر أنت السلطان فلقيه فقال له السلطان، ادع لي فقال له، وما عسى

دعاءي لك قد سبقت لكَ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: اللهم من ولي من امر امتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فارفق به. ومعلوم ان من أشرقت بدايته أشرقت نهايته كما في الحكم ومفهومه ان من أظلمت بدايته أظلمت نهايته وغير خاف على احد بداية الرائس الاولي وانه جاهل امي وفي الحديث ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم والادب وقال ابن البناء في مباحثه:

واعلم بأن عصبة الجهال بهائم في صورة الجهال

وقال ابن عباد في بعض رسائله وهم العوام الذين لا فرق بينهم وبين بهائم الانعام الا في لبس الثياب وفصاحة الكلام، وقال ابو علي اليوسي رحمه الله في محاضراته والعوام يستنطقون من لا ينطق ويفسدون من لا يفسد فهم الشياطين في زي المومنين، وما بالك بشيطان في زي محب وان استعذت منه عاداك ووقع فيك بالغيب بالاذاية زيادة على ما فعل في الحضور فهو شر من الشيطان الآخر بكثير فكن منهم على حذر، وقال تعلى «ان شر الدواب عند الله الصم البكم الاية». ولا بدايته الثانية وانه من الوكلاء الذين حرفتهم اللاد والخصام وفي حديث الشيخين والامام احمد والترمدي والنساءي مرفوعا أبغض الرجال الى الله الالد الخصم. ولا بدايته الثالثة وانه كان رءيس الفتنة فكيف تشرق نهايته وكيف يكون من الصالحين «والله لا يصلح عمل المفسدين» وفي سراج الملوك قالت الحكماء موت الف من العلية أقل ضررا عن ارتفاع

واحد من السفلة وفي اختصار المتيطية لابن هارون روي هارون بن علي الحضرمي عن مالك انه سئل عمن قالت له زوجته يا سفلة فقال لها ان كنت سفله فانت طالق، قال ان لم يكن طالبا للعلم فهو سفلة لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذل الله عبدا أحظر عليه العلم وقد قيل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال الشافعي رحمه الله أظلم الناس لنفسه اللئيم إذا ارتفع جفا اقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل، ولقد كان الرائس قبل توليته حين كان ألد خصما للناس وقبل علمه بالمحبة التي بيننا وبينكم يزعم انه من أشد الناس احتراما لنا ومحبة فينا وذلك لما كانت تسوله له نفسه من الاغراض الظلمانية فلما تولى وعلم بالمحبة طغى وتجبر وما ذلك الا لما هو كامن فيه من اللؤم وعدم الصدق وما في السرائر على الاسرة يلوح ولو كان حبه فينا قبل ذلك لله تعلى لدام ولم ينقطع لان ما كان للباقي فهو باقي وانما ينقطع ما كان للفاني.

فيا لأمير المومنين لحرمة الشريعة واهلها فانها قد انتهكت ولم يبق من يبالي بها الا من له غرض نفساني والامن جعلتم له حرمة وفي الحديث ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرءان، لان القرءان إنما يؤثر في القلوب النورانية المطهرة، واما القلوب الظلمانية القاسية فلا يؤثر فيها الا السياط كما قيل:

واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا يردعه الا العصا

وكما قيل:

اذا كنتم للناس اهل سياسة فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل ان الذل يصلح للنذل

وكما قيل:

اذا قيل رفقا قلت للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقد قال مولانا علي كرم الله وجهه كما في المناوي الوفاء لاهل الغدر غدر والغدر لاهل الغدر وفاء وقد نص العلماء رضى الله عنهم على ان الجاهل لايجوز توكيله حتى فى البيع والشراء فكيف يجوز توكيله في الاحكام بين عباد الله بل صرحوا بانه لايجوز تولية الجاهل باجماع وهذا في الجاهل غير المبغض فكيف بالمبغض الذي اظلمت بدايته ونشرت بالفتنة رايته فهذا يجمع اهل العقول كلهم فضلا عن اهل الشرع على انه لاتبقى ولايته وان اظهر من النصيحة والخدمة ما عسى ان يظهره لاتومن غائلته لانه قد بنيت على شفا جرف هار بدايته وغلبت عليه شهوته وهواه وشقوته «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور»

وقد قال تعالى «ومن لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الكافرون الظالمون، الفاسقون» والجاهل لاسيما المبغض كالرائس من اين له ان يعرف ما انزل الله وقد قيل:

ذاك الذي بغير علم يعبد لايصلح العمل لكن يفسد

فكيف بمن يحكم بغير علم وقد قالوا في حديث القضاة ثلاثة ان الذي يحكم بغير علم فهو في النار وان صادف الحق اجماعا لجرأته في احكام الجبار «آالله اذن لكم ام على الله تفترون» والمرء في ميزانه اتباعه، وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان لاتولوا على اعمالنا الا اهل القرءان فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرءان خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم وقال سهل بن عبد الله التستري ما عصى الله بمعصية اشد من الجهل قالوا هل تعرف شيئا اقبح من الجهل يا ابا عبد الله قال نعم الجهل بالجهل.

وبالجملة فيجب عزل الرائس تسرعا لجهله ونفضه في العلم واهله وعقلا لبداياته المظلمة ودناءته ومن حق الوالي ان يكون كبيرا في قومه في دين اودنيا وليت شعري باي مزية دينية أو دنيوية استحق التقديم وفي تقديمه وتوليته مع معرفة الخاص والعام لحاله ولبدايته ولحرفته استهانة بالمراتب وتحريض على الجهل والرذائل لان جل الناس حريصون عليها فيرغبون فيما يوصل اليها

اذا استوت الاسافل والاعالي فقد طابت منادمة المنايا

وايضا فانه امي لايعرف قراءة ولا كتابة ومعلوم ان المتولى يحتاج الناس ان يخاطبوه باسرار لايحبون اطلاع احد عليها وذلك متعذر فيه وفي امثاله فكم من سر لكم ولغيركم يفشى بسببه فكيف يليق تولية مثله ولو على مدشر او دوار والناس يظنون ان توليته انما هى لبقاء شيء في انفسكم

عليه لان تولية المسخوط عليه من امارات السخط ومنذ ولى وانا اريدان ابين لكم حاله واقدم رجلا وأؤخر اخرى حتى اطلق الله لساني بذالك الآن.

وهذا كله حرص مني على تبييض صحيفتكم وتطهيرها والجاهل يسود صحيفته فكيف بصحيفة غيره بل يفعل الجاهل بنفسه مالا يفعل العدو بعدوه ويضر نفسه وغيره من حيث يظن انه ينفع وهو لايشعر ولذلك قالوا العدو العاقل خير من الصديق الجاهل. واحاشى سيادتكم عما هو اقل مما ذكرناه في الرائس وامثاله واقل منه فلذالك كله ولمحبة الخير لكم ولما وجب على من النصيحة ولما لحقني من الهوان وعدم المبالاة بي بل بوصفي ولو ذات سوار لطمتني اعلمتكم بهذا لتنصروا الحق كما اوجب الله سبحانه عليكم وعلى محبتكم والسلام.

المقامات

مقامة لابي الطيب العلمي

اخبرنا بعض الظرفاء، من ذوي المروءة والوفاء، ممن اعتمد على نقله وروايته، واحكم بصحة عقله ودرايته، قال جلست يوما ما مع جماعة من الاحباب، على شيء من الشراب، نتذاكر ما مر في ايام الشباب، وبيننا شاب حسن الصورة، عليه الملاحة مقصورة، واللطائف في شمائله محصورة الا ان شعر شاربه قد طال، واسترسل غاية الاسترسال فسألناه عن سبب طوله، وعدم قص طويله، فقال انا اخبركم بخبر يعجب لذكره الحاضرون، ويطرب لسماعه المنصتون والناظرون. كنت من شأني اتزخرف في المكاسب، واتخير منها ما يناسب، فصليت يوما صلاة الاستخارة فوجدت نفسي مائلة الى التجارة، فقصدت مدينة سنجار، وفتحت بها حانوتا بسوق التجار، ووضعت فيه من محاسن القماش، ما استعين به على المعاش، وزينت الدكان، بحسب الامكان، وكسوتها بالاستار على اربعة اركان، وعاملت اهل الاسواق، بمكارم الاخلاق، واستعنت بالقربة، عن ليالي الغربة، فاتفق لي في بعض الايام، ضرورة الى دخول الحمام، فوجدت في طريقي جماعة من النسوان، بينهن فتاة كانها قضيب البان، فلمحت من تحت الازار معصمها، وقد سطع صفاؤه، وابصرت من تحت النقاب جسمها، وقد لمع ضياؤه، فوقفت وقد جرى من الجفون دمي، وعجزت عن نقل

قدمي، ثم تتبعتها من بعيد، ولاحظتها الى اين تريد، فدخلت دارا يدل اتقان بابها، على سعادة اربابها، فنظرت فاذا بالقرب من ذلك المكان، خياط يخيط في دكان، وعنده من الصناع وعوان، ذوو اذقان ومردان، صنوان وغير صنوان، فقلت في نفسي من هذا الخياط استفهم، عما على أفهم، فرجعت الى دكاني، ثانيا عناني، واحضرت عدة من التفاصيل وجئت بها حانوت الخياط بقصد التفصيل، فجالسته، وحاورته وءانسته، وفصلت ذلك القماش وعجلت له من الاجرة ما يحصل به الانتعاش، ففرح بحضوري، واعتنى بامورى، ووجدت عنده معرفة بالادب، وشكالى من ضيق الحال والسغب، وانشدنى لنفسه من شعره المستعذب:

انا الخياط لي رزق ولكن ارى حالى من الافلاس عبره
ذراعي فيه من فقري مقص ورزقى خارج من عين ابره

فاستحسنت نظمه، وحملت همه، وصار يتلقى كلامي بالقبول، ويقف ممتثلا ما اقول، فسألته عن ضياع دكانه، وديار جيرانه، فما زال يشير الى كل دار ويشرح حالها، ويعرفني تفصيلها واجمالها، حتى افضى الحديث الى الدار التي اختارها، وقصدي ان تتضح لى اخبارها، فقال هى دار خطيب البلد وهو رجل كثير المال قليل الولد، مشهور بالتوقرة الزائدة، ولا له من الاولاد الا ابنته واحدة، وهي روحه التي بين جنبيه، والسواد الذي فيه نور عينيه، وقد منعها الازواج، وخطبها جماعة من البلد فلم يسمح لها بالزواج، فقلت والله لقد شوقتنى اليها، وحدثتني نفسي بخطبتها

والعمل عليها، فهل تعرف امرأة تعرفني باسمها، وتوصل خطبتي الى امها، فدلني على عجوز مشهورة في عقد النكاح، تعرف بياقوتة الملاح فلما لقيتها او ضحت لها الحال، ووعدتها ان تمت المسألة بتحف ومال، فسمعت كلامي، وضمنت لي بلوغ مرامي، وانشدت:

انا ياقوتة الملاح وربـــــي في اموري هو الكفيل بقوت
ان سلكت القفار جئت بوحش او سلكت البحار جئت بحوت
ويقود الصعاب لطف احتيالي بخيوط تكون من عنكبوت
الغني في لظى فان غيرتني فتيقن ان لست بالياقوت

ثم فارقتني وذهبت، واشتعلت نار وجدي والتهبت، ومضى على شهر لا ادري امرها، ولا اعرف مستقرها، فذرفت العيون، وسهرت الجفون، وساءت الظنون وقلت:

غاب الرسول فلم يعد بجوابه ففهمت معنى الحال في تاخيره
فكأنه لم يلق امرا طائلا فاراد بالتاخير ستر امره
ما ضره لو جاءني بجوابه فعلمت ما قد كان عند حضوره
ان كان خيرا نلت منه بشارة او غيره فكرت في تدبيره

قال وبعد ذلك حضرت، وقد انفطرت كبدي بما انتظرت، فلاح من وجهها عدم القبول وخيبة المامول، وقالت والله لقد تحيلت وتوسلت، فما ظفرت ولا توصلت، لم يوافق ابوها على زواجها، ولا سمحت نفسه باخراجها، ولكن والدتها رثت لحالك ووافقت على ذلك، فقلت لها لقد

يئست من حياتي، ودنت وفاتي، فساعديني قبل فراق الدنيا بنظرة واحدة، ولك ولامها، التكرمة الزائدة، فليس لي غرض غير قبلة في جسمها، واخرى في معصمها:

وبعد ذلك طاب الموت فاغتنمى اجري ولا تهملي امري امت كمدا
وساعديني على حال بليت بها وعجلي فلعلى لا اعيش غدا

ثم تصعدت زفراتى، وتجددت حسراتي، وتزايد شهيقي، وغصصت بدمعي لابريقي، فقالت اترضى بذلك النزر القليل، قلت نعم والله على ما تقول وكيل، فاستصحبت من الذهب ما ارضاها، وركبت سفينة النصح وقالت بسم الله مجراها ومرساها، وذهبت وقد دهت عيناها، فغابت عني قليلا، ثم عادت فرايت وجهها جميلا، وقالت لقد رئت لك الوالدة، وسمحت لك بنظرة واحدة، بعد ان قلت لها لاباس بنظرة العين، ورغبتها في اجر من يجمع بين المحبين، فاياك ان تنقض عهدا، اوتتعدى حدا، وتقرر الميعاد يوم الجمعة وقت الصلاة، ووالدها على المنبر فى مصلاه، فصمت وتصدقت، وانتظرت ذلك الوقت، الى ان دنا الميعاد، ودخل الوقت او كاد، فخرجت من داري، وقد صفت اكدارى، وحسنت هيئتي، وسرحت لحيتي، واستعملت ما يناسب من الطيب، وقصدت دار الخطيب، فاجتزت لحجام عنده مرءاة، ومقصات مستحسنات فناولني المرءاة حتى رأيت وجهى فيها فوجدت شعر شاربي قد طال، وتعين ان يخفف وينزال، فامرته بقصه، وان ياخذ منه بمقصه، فامتثل امري، وقص ما طال من

شعري، فسألته عن اسمه واصله، لعلى استدل بذلك على فعله، فقال اسمى قتور، واصلى من خيبر، فقلت اسم عتيت، واصل خبيث، فقصدت اعطاءه درهما عن اجرته، فسبقتنى يدي الى كيس الذهب لما طبع عليه الانسان من عجلته، ولما نظر اليه والى ما فيه من الذهب، طار عقله وذهب فناولته منه دينارا، لاكفى منه عارا، فانكب على قدمى، وبالغ في الثناء على كرمي وقال مثلك من يخدمه الانسان، وهل جزاء الاحسان، الا الاحسان، والله لقد اغنيتنى من كرمك، ولا اعود اموت الا تحت قدمك، فاثنيت عليه بالخير، واسرعت عنه في السير، فاسرع حتى لقينى ولازمني ولاصقني، وما تأخر عني ولا سبقني، فقلت له انقطع عني، ولا تتبعنى، وما الذي تريد مني، فقال معاذ الله ان افارق من احسن الى، وتفضل بهذا الدينار على، والله ما انا من اولاد الزنى، ولا من ابناء الخنا، هذا والعجوز مراقبة وصولى ومنتظرة لدخولى، فاعترضني جمع من المساكين، وقالوا تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين، فناولته دينارا اخر وقلت صرفه وفرقه عليهم، وتول ايصال ذلك بيدك اليهم، فرماه الى الفقراء في الهواء، وقال اقتسموا هذا بينكم على السواء، ثم هرولت فادركني، ودخلت من الباب فاراد ان يمسكني وقال الى اين ياسيداه، وقد دخل وقت الصلاة، فلم ارد عليه الجواب، بل ادخلت واغلقت دونه الباب، فما لبث ان طرق الباب وقال ياسيدي فاتك الصواب، قد اقيمت الجمعه، والاقوام الى الصلاة مجتمعة فقالت لي المرأة دع غلامك يذهب، فقد تعدى وغلب، فقلت والله

ما هو لي بغلام، ولا لي معه كلام، فاخرجي اليه، والعني والديه، فخرجت اليه، وانكرت عليه، فرمى عمامته وبكى، وقال الى الله المشتكى سيدي في هذه الدار ادخلوه، وطمعوا في ماله فقتلوه، وزاد في الاستغاثة واجتمع عليه الناس حلقتان او ثلاثة، ولم يزل يصرخ ويستغيث، ويقول الا منجد الا مغيث، والعجوز راجفة، والبنت راجفة، والام خائفة، والطرائف واقفة، «أزفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة» وما زال يصيح يا سيداه، يا مولاه، خرج الناس من الصلاة، فاتك الثواب، عدمت الصواب، حصلت وراء الحجاب، ضرب بيني وبينك بسور له باب، فخرج الناس من الجمعة، وعلى الباب طوائف مجتمعة، واتصل بالخطيب الخبر، فبادر إلى داره وحضر، فرأى الناس مجتمعين، والى الحجام مستمعين، فلما وقع نظره عليه، أدناه اليه، وقال له ما الحديث، والى كم تصرخ وتستغيث، فقال ان سيدي قد دخل الى هذه الدار، ومعه كيس فيه الف دينار، ثم لما ادخلوه، طمعوا فيه فقتلوه، وهو في هذه الدار، فادخل وعرفني الاخبار.

قال الراوي: هذا ونحن نسمع الكلام، ونتوقع الحمام، فوجدت في الدار بئرا فرميت نفسي فيها، وامرت النساء يسترونها بما يخفيها، فدخل الخطيب الى نسائه، وعرف من قول الحجام، وفوق اليهن سهام الملام، فحلفن له بما أرضاه، وقلن حاش لله، فخرج اليه بغيظ شديد وقلب دونه الحديد، وقال يا غلام، دع عنك هذا الكلام، فما عندي من

يتهم بكلامك، ولا من ترميه بسهامك، فصرخ باعلى صوته وقال: قتلوه وليتني مت قبل موته، ولو كان حيا ما فاتته صلاة الجمعة، ولكان حاضرا وأنا فيها معه، وا حزناه وا أسفاه وا سيداه وا مولاه، غروك فادخلوك، وطمعوا في مالك فقتلوك، ائذن لي بالدخول، فأنا اعرف ما اقول، فامره الخطيب بالدخول الى داره، ومعه من الحاضرين من بعثه فضوله على كشف أخباره، فدخل الدار في جمع كبير. فاوقعته المقادير على فم البير، فقال سيدي في هذا المكان، ولا بد من النزول فيه ولو كان ما كان، ثم نظر في نواحي البيت واستدعى بإناء فيه زيت، وحل عمامته وبل طرفها، واوقدها لمكيدة عرفها، وادلاها في ذلك البير، وادارها فانارت اي تنوير، فرءاني جالسا بمكاني وقد حل بي من الويل ما كفاني، فاستغاث كذب المماطل، وجاء الحق وزهق الباطل، سيدي في هذا البير والانسان جار تحت المقادير، فاخرجت من ذلك المكان، على اقبح حال واسوأ شان، فقال لي الخطيب ان اردت الخلاص فاصدق، فقلت ما دخلت الا لاسرق، فحملت على تلك الحال الى الوالي فسجنني واخذ اموالي، فبقيت في الحبس سنة في عيشة خشنة، ما رايت فيها لذة بينة، وعلمت ان من احسن لكل ردىء الاصل شقي كما شقيت، ولقي ما لقيت، وكان مما نظمته في حبسي مخاطبا لنفسي:

تجنب ردى الاصل واحذره واجتهد على طرده فالخير في شرف النفس
واياك ان تغتر منه بملمس يلين وجنبه اجتنابك للرجس

فان الافاعي قاتل سمها لمن تدانى إليها وهي لينة المس
يكفيك في صدق الوصية ما جرى علي وما لقيت من ذاك النحس
تقصدته بالخير كافي بضده واوليته المعروف جازاه بالعكس
وكم ليلة قضيتها في عساكر من البق والناموس في ذاك الحبس
اقاسي الاسى من ذلك المدبر الذي رأى قصده نقلي الى ظلمة الرمس
وضيع اموالي وعرضي ومقصدي ولكن حمدت الله اذ سلمت نفسي

وكانت العادة جارية بعرض المحابيس على السلطان، في كل شهر رمضان، فاحضرت بعد سنة بين يديه، وسألني عن الامر الذي حبست عليه، فقلت لي قضية اذكرها بين يديك، واذا انهيتها فالامر الى الله ثم اليك، فادناني، واستفهمني عن شأني، فذكرت له الحكاية على الوجه الصحيح، واوضحت له الحال فلم يحتج الى تصحيح، فعجب من حالي، وامر برد مالي، وتبليغ امالي، وامر الخطيب ان يزوجني من بنته المذكورة، وقام بالصداق من عنده على احسن صورة، واحضر ذلك المدبر وسلمه الي، وحكمني فيه عند وقوفه بين يدي، فذهبت به الى داري، وصفت بتلك المحبوبة اكداري، فصلبته على الباب مرجوما، وابقيته سبع ليال وثمانية أيام حسوما، وسمعت هاتفا يقول:

قضت نحبها نفس هذا اللعين وفي صلبه نعمة مطلقة
فلا رحم الله تلك العظام ولا برحت بلظى محرقة

وما مر به احد الا لعنه، واستظرفه على الخشب واستحسنه، وانشدت:

نلت جبري بكسر قلبي وصبري ورقيبي رأيته مشنوقـــا
رام نفعا فضر من غير قصد (ومن البر مـا يكون عقوقا)

وأقسمت لاقصصت شعر شاربي، ولو استرسل الى ترائبي، فهذا سبب طولها، وقد رضيت بتطويلها، ثم انشد :

ارى الاحسان عند الحر دينا وعند النذل منقصة وشينا
كما النيسان في الاصداف در وفي بطن الافاعي صار سما

مقامة لبعض ادباء فاس

(أخبر الراغب بن عبد الوارث) قال خرجت الى وادى فاس، في ابان ربيع عطر الانفاس، يوم خميس مع انيس، ينسى القريض بتحبيره للقريض، فانخنا بمنزل، عـن الجموع بمعزل، واذا شيخ طالع، مع غلام بارع، فجلسا بمرأى منا ومسمع، وصرفا وجههما عـن المجمع، وتنازعـا الحديث ساعة زمانية، بلغ الشيخ فيها أمانيه، ثم أخرج الغلام لوحا من رودنه، مصنوعا لعلم الحساب وما كان من فنه، وجعل يرسم فـي ذلك اللوح، باشارة من الشيخ ممتزجة بروح، فقال لي صاحبي المؤنس، ان امر هذا الشيخ بملبس، ولا بد من نقض غزله، وإبراز جده من هزله، فأنشد بصوت يسمع الصم، وتخر له الجبال الشم، ما قال ابن جزي في مثله، وقد ابدع في قوله :

يانا صبا علم الحساب حباله لقناص ظبي ساحر الالبـاب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله فالله يرزقنـا بغير حسـاب

فدار الشيخ وانشد ورد بصوت اشد:

ما صدته بل صادني بقسيه ومد شبكة صدغه الكتاب
ووقعت في فخ له، ذاغرة اذ لم يكن صيد الظباء حسابي

ثم اخذته العزة فتاه، وادار وجهه الى فتاه، فانطلق الانيس، ينشد الفتى ليميس:

يا (منيتي) ومناي (ارفع حجاب) التجني
(جمعت) من كل صنف من الجمال وفن
ولم يكن في (حسابي) ان تصرف الوجه عني
ثنيت قلبي لما (كسرته بتثن)

فلم يبرح لقوله، ولم يتزحزح عن محله، فاعاد وشاد، واحسن الانشاد:

يا (منية) لي لم يكن لي في (حساب) ان سيسنح
(ارفع حجاب) الهجر عن صب الى اللقيا تزنح
فاضت (جدوال) دمعه (وضربت) عنه (بالمجنح)
ان كنت (جامع) زخرف ممن وشى بالله (فاطرح)

فما كان باسرع من ان قاده ابليس، واتى به كما اتى بعرش بلقيس، والشيخ يتبع التلميذ، كالذي اخذته النبيذ، وقد عبس، وما نبس، ولافاه، مما وافاه، سوى ان قال «ساحران تظاهرا» منيت منهما بما لم يكن في خلدي جرى، فحين ابرز بسرد اسنانه، واصلت للكلام عضب لسانه، عرفنا انه ابو سلامه، فاحسنا تحيته وسلامه، وقلنا لندفع لجاجه، بك

والله الحاجة، ياثمر غرسنا وعطر عرسنا، قال أبعدما بي سخرتما، ولفتاى سحرتما، فما زلنا نعالج قفله، حتى فتحنا مغلقه، وقال مباسطا للأنيس، استفززنا بصوتك المغناطيس، فانشده قول من قال، واحسن في المقال:

وقالت فتاة المنحني ذات ليلة وقدسمحت من بعدصدواعراض
اذاما مضى مماتبقي من الدجي ثلاثة اسباع وتسع من الماضي
اتيتك لا يدرى بذاك رقيبنا اجرر داء فرط على الارض فضفاض
فكان ذهاب الليل عند مجيئها فكم كان باقيه وماضيه ياقاض

فطرب طربا شديدا، وانبسط انبساطا جديدا، وقال اتعرف مغزاه، والى كم ليله جزاه، فقال ليس لي به يدان، ولست من فرسان هذا الميدان فطوقنا بفهمه، ورنقنا بعلمه، قال بشرط ان تكون من الالباء، وان لاتعود الى التفريق بين الاحباء، فقال وهو مضمر الخلاف نعم، «وما يسرني بها حمر النعم» فقال انه تجزأ دجاه وانتشر، الى خمسمائة وستة عشر اربعمائة واثنان وثلاثون لماضيه، واربعة وثمانون لباقيه، تسع الماضي ثمانية واربعون، وثلاثة اسباع الباقي، ستة وثلاثون، وتجموع هذين هما الباقي، فان يمضيا بلغت روح الدجى التراقي، فقال قد فهمنا، وبما كثرت همنا، وانا لنظما، لوروده نظما، فقال اسمع او تيت فهما، «وقل رب زدني علما»:

لقد قسمت لـ (سيرها) شبه شعرها وباقيه سد من غير قسمته ماض
ثلاثة اسباع لقائل (اباج) و(ماجد) ابدى تسع ماض لمرتاض

وذان هما الباقي فان يمضيا قضى الدجى وتجلى الصبح بادي ايماض
لذا طلعت وابن الغزالة طالع غزالتك الشماء انت بها راض

وهاك ما هو اخصر وهو للظمئان اقصر:

دجاها (سيرها) و(تبكي) الفائت وباقيه (عيد) فاقض ماذو الحجا قاض

ولك ان تقول، وهو اقرب للعقول، انه جزأه الى ثلاثة واربعين، وجعل الماضي ستة وثلاثين، وان شئت المنظوم، فخذه غير مكظوم:

دجاها (جلى) ما مضى منه (ابلج) وباقيه (باد) فاقض ماذو الحجا قاض

ثم ادار حديثا اشهى للنفوس، من ادارة السقاة للكؤوس، وقال هل بقى في السفط، شيء من ذالك النمط، فانشده قول القائل، المشهورين الاوائل:

غزال قد غزا قلبي بالحاظ واحداق
له الثلثان من قلبي وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى وباقي الثلث للساقي
وتبقى اسهم ست لتقسم بين عشاق

فقال وقد ابتسم، الى كم قلبه اقتسم، فقال مالي به درايه، ولم اسمع فيه روايه، وان كشفت الغطاء عن المبهم، فلك اجر من علم وفهم، قال لقد اوتيت سؤلك، ولكن الشرط املك، فانه قسمه الى واحد وثلاثين، كما هو مقرر في دواوين، وان اجبت شقيقه، على الحقيقه، فاسمع مني، واحفظ عني:

قضيت ثلثي ليل هجرك باكيا حتى غدا (المجهول) نارا في جبل

وقصيت ثلثي ثلثه في جرعتي حرق الهوى نهلا وتارات علل
وابدت ثلثي ما تبقى منه في علي، لوانه كان تنفعني لعل
ونصرت ثلثي ذلك الباقي على نظري شبهك في اسماء وقد كمل
والثلث وهو الواحد الباقي بدا فيه شقيقك قلت سبحان الاجل

وان اتقنت باب الجبر والمقابلة، يلح لك وجه الحق في مقابلة، ولما اذنت الشمس بالغروب، مال ابو سلامة للهروب، فودعناه وداع كاره لغيبته، وانصرف تلميذه معه وهو تمام بقيته.

ولـه مقامة اخرى

(اخبر الراغب بن عبد الوارث) قال انتظمت في تطوان برفقاء، انتظام الاخوة الاشقاء «صنوان وغير صنوان» ونزلت معهم الى البحر ايام عيد النحر، ونحن فى زى بني مروان، فوجدنا على طرفه، منطقيا ملكا بطرفه، ولوانا لم يملكهم ذو ايوان، ذوي قدود اسنة، وخدود اجنة وثغور تفتر عن اقحوان، فاصخت له اذنى استمع كلامه حتى تحقق عندي انه ابو سلامة، الذي لم يشتمل على مثله ديوان ولما انتشر الطعام لدينا وصفه طاهيه بين يدينا، بعثنا اليه نجوان، وانتخبنا له الطف رسول، وقلنا له قل هل لك شول، في منادمة هؤلاء الاخوان، فبلغه هديتنا، وادى اليه وصيتنا، فقال لست لرفقائى بخوان، ولا اترك الريحان، لام غيلان واختار الضراغم على الخزلان، وابدل السلم بالحرب العوان، فرجع الرسول خائبا، بشاب معه ائبا، وقد علا على وجهه هوان، فلما اخبرنا بخبره المستطرف

اي استطراف، قلنا للشاب وكان من النخب الظراف، ان اتيتنا به فلك كذا وكذا حلوان، فذهب واسرع، حتى اتاه يهرع، وتخنث عليه تخنث الغوان، فما لبث ان وقع في فخه، وسقط على مخه، سقوط النشوان، ولما جاء بالمصيد، قال ها بيت القصيد، لبى دعوتي دون لعل ولوان، فشكرنا له الصنع، وحبوناه دون منع، ما استوجب من الحلوان، ثم وثب ودرج، وبقى في حرج، فانشد غير متوان:

صادني ظبي بدل وغنج وبطرف ذي احورار ودعج
ان خطا يحسده الخطى او يتجلى قلت من عدن خرج
ان رنا يرنو له القلب الى مادعا لبيك من دون حرج
قادني نحو بلاء ورمى بزمامي من يديه ودرج

قال الراوى: فقلت مستدعيا كلامه، سحرت والله ابا سلامة، وحيل بين العير والنزوان، فقال ايه يا ابن عبد الوارث، حتى متى تعين اخاك الحارث، في تبديد شمل السلوان، فقلت ليت شعري لما فرقت اجمع، ان دعوت الغلمان، جاءوا أجمع، فقال ابى والله ولا عدوان، فدعوناهم لنادينا، فأجابوا منادينا، من دون تراخ ولا توان، فماط الترح، ولبس المرح، واستحال سخطه لرضوان، ورأى شابا منهم يجر رداء مرطه، وبعض سالفا له اخرجه من قرطه، فاستحسنه وقال في الاوان:

قد عض سالف شعره من بعد ان ابداه من قرط تحير ناظره
خيط الظلام من الهلال بدا على نمر وفي وسط الثريا اخره

فاستحيى الفتى واطلق دلاله، فكادان يفارق هلاله، فقال ايضاوما توان

وكان سالف شعره في قرطه افعى تظل من الهلال بواس

ويردها نشر الشعاع بخده لما بدا كالشمس والنبراس

ثم قال كانكم اضمرتم غيبة، وخالجت قلوبكم ريبة باختياري الذكران على النسوان، كلا والذي حبب الجنة بالمكاره والنار بالشهوات، ما دنست وجه علمي بما ليس لي بموات، ولكن طبعني على حب الحسان من سوان، فمالاخ ذو جمال، الا استدعاني واستمال، ولواني وطوان، وقد علقت بالنساء والولدان غير ما مرة، وذقت من الهوى حلوه ومره، ثمرات مختلفات الالوان، وغاية الامران ظفرت ان اطرب وامرح، وفي رياض المحاسن اسرح، ولا اغوى الشيطان ان اغوان:

اذا ما ظفرت بوصل حبيب وزار على غفلة الرقيب

تعففت عنه ولا مانع سوى ان ربي علي رقيب

قلنا يا مجرب حب الولدان والنساء (فهو به في كل حكم ذوائتساء) ايما افضل حب المرد ام الغلمان، فانشد، وارشد لفضيلة النسوان:

حب النساء شاع في البراري كما جرى المثل في الاقطار

وحسنهن طائل الاعمار وغير مسرع الى بوار

والشمس انت من الاقمار في سيرها في الفلك الدوار

لاكنهن داعى افتقار بالصرف للدرهم والدينار

وقلما يسلمن من تيار

ثم قال، وما استقال، ولا تحرك منه عضوان:

حب الذكور ذاع في الامصار كما فشا الايمان في الانصار
وحسنهم اوفق للنظار وغير محتاج الى انتظار
والبدر لاحرج فيه جار والشمس بالعكس لدى الانظار
لاكني اجلب لاحتقار الى ذوي الاخطار والاقدار
وقلما يسلون عن اكثار

ولما نشر علينا احاديثه الاصمعية، المنبثة عماله من الالمعية، وظاهر الامر على باطنه عنوان، نشرنا عليه من التحف والملابس، ما لم يكن لخاطره ملابس، حتى احتاج في طيه لهوان، فقال شكر الله احسانكم الى، وتفضل عليكم كما تفضلتم على، بتجدد النعم ما تجدد الملوان، وليست الدنيا بفاخرة، الا اذا كانت مطية للآخرة، «وان الدار الآخرة لهى الحيوان» وان من تمام الاكرام، وليس فيه ابرام ان تتكفلوا لي بهذا الرهوان، واشار الى رهوان صائد، فاكترياه منه بالزائد، وقلنا نحن له صوان وحيث تهيأ المسير سار معنا حيث نسير، حتى اذا دخلنا المدينة فقدنا الخوان ولم نجد من يخبرنا عن مسالكه، والزمنا الشرع غرم الرهوان لمالكه، وطارت فعلته بنا في ارجاء تطوان.

مقامة للوزير ابى ادريس

حدثنا الفتح بن سلامة، عن نصر بن كرامة، قال الحفني السعد ببرده، واتحفني بحلو عيشه وبرده، وبوأني من حمى الخلافة العلوية

العلية ظلالا، واعلق كفي من خدمة الحضرة المولوية العبد الرحمانية حبالا في دولة علوية اعلى العلا اعلامها، وحمى الالاه حماها، عقد السعود على التناصر عقدها وذمامها، واليمن قد واخاها، فبلغت بطلعتها امنها ومرامها، وتوصلت لمناها، وبنى الايمة من قريش مجدها ومقامها، بين الورى وعلاها، حموا الشريعة بالسيوف واوضحوا اعلامها، وتنوروا بسناها فكنت منتظما في سلك كتابها، ومعهودا في خدمة اعتابها وصحبت ركاب مولانا العلي العلوي، وجيشه المنصور المولوي في احدى قدماته من الحوز، في سفر اسفر طالعه عن وجه الظفر والفوز:

في عسكر ملأ القلوب مهابة والارض خيلا بالعوارق يفهق
للفتح والتمكين فيه دلائل وعليه الوية السعادة تخفق
نهض لها ايده الله غرة ذي الحجة متم عام (ناشر) واسعد لمهود العناية ناشر والرعب يقدم جنوده، والسعد ينشر الويته وبنوده، والنصر تحت ظلال اعلامه وحفظ الله من خلفه وأمامه:

والدهر معتدل الآناء مقتبل والشمس حلت ببرج السعد والشرف
ومطارف السندس بالافاق قد نشرت، وجيوش الزور حشدت الوانها وحشرت،

والارض تجلى عروساني ملابسها وشت حلاها يد الانواء بالزهر
والنسيم قد عطر بنشره الاودية، وغازل الاغصان فنازعها المطارف والاردية، وجر ذيل دلاله في الاكام والاودية:

والريح تلطم فيه ارداف الربى مرحا وتلثم اوجه الازهار
ومنابر الاغصان قد قامت بها خطباء مفصحة من الاطيار

والسن الحال تهدي الى التفكر في مصنوعات الله وترشد، وكانها تتمثل بقول ابى نواس وتنشد:

تامل في نبات الارض وانظر بدائع ما بها صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على اطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك

والناظر الاديب المتامل، ينشد قول المجنس الممثل

ان هذا الربيع شيء عجيب تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء

والجيش المنصور بحر متلاطم الامواج، يسير فيملأ الفضاء ويغص الفجاج، ويقيم فيكون هالك على بدر سعود وشرف، وسور حفظ لا يوف له طرف، قد رصت صفوفه، وتعددت الوفه، وتنوعت اجناسه وصنوفه:

من كان ابيض قد تقلد ابيضا عضبا واسمر قد تقلد اسمرا

والخيل تمرح في اعنتها، وتمضى في الخيلاء على سنتها، قد حليت من الاسلحة بما راق وراع، واعجز وصفه السن اللسن واسلة اليراع!

مؤصلة من ذي العقال ودامس وعال الوجيه والنعامة والخيفا

فمن اشهب لبس النور رداء، وسابق البر عداء:

فكانه في حليه وسلاحه صبح تقلد حلية الجوزاء

ومن ادهم خلع الليل عليه اهابه، واثبت بين عينيه شهابه:

فكانما لطم الصباح جبينه فاقتص ميه فخاض في احشائه

واحمر فاما وصفه فمطهم عتيق، واما لونه فعقيق، واصفر كانما صيغ من ذهب، او خلق من لهب:

القى الاصيل عليه من نضارته غلالة وشت الظلما حواشيها

ومن ازرق قد تسربل حلة السماء وتحلى بالنجوم، اوراح استراق السمع فرمته بشهب الرجوم:

عطا يا امير المومنين وبره باجناده والبر بالجند يحمد

مليك حليفاه التوكل والرضا واوصافه علم وحلم وسؤدد

يصابحه امن ويمن ورحمة ويعضده فتح ونصر مجدد

فتى المجد اما هديه فموفق رشيد واما رأيه فمسدد

به الدين سام والشريعة غضة تروق وركن المجد عال مشيد

وان له في مقصد الحكم حكمة يحل بها في الله طوراً ويعقد

فلا زال محمود المساعي مؤيدا يغور ثناه في البلاد وينجد

فسرنا تحت ظلال العدل والامن، نستجلي كل حين من غرته الميمونة طالع الفتح واليمن، ونرفل في أردية المعالي الضافية، ونكرع في بحار الجود الصافية، ونتمسك من النجح بالعهود الوافية، ونرتع في روض الاماني والعافية:

وقد بدت لنا وجوه الهدى مسفرة ولاح نور الفلاح

فلما خيمنا بشاطىء وادي العبيد، قابلنا بوجه الجبار العنيد، وأبدى عن مده واية الاعجاز، وقال بلسان حاله لا محاز لا مجاز، واستعان عن ثلج الجبال بالمذاب، فارانا بحرا طامي العباب :

نهر يريك السهم سرعة جريه والبحر عمقا والشفير سعيرا
فليسلم النفس المريد عبوره ان لم يكن لطف الالاه ظهيرا

فاحجم عن عبوره القوم، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعوم، وبات الناس في الآراء يترددون، ولقصص الناجين والغرقى يعددون، وقصارى امنية كل واحد عبور ذلك الصراط، والانتظام في سلك الناجين والانخراط، حتى انشد بعضهم واستحسن، وتمنى ما تمنى الحسن:

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بسهب الشنين اوبسهب بني ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبي وهل اتركن دايا وادواؤها ورا

فلما تبلج ادهم الليل عن أشهب الصباح وحيعل الداعي بحي على الفلاح وتولت نجوم الليل تقفو اثره، وغدت سيوف ذكاء تخرق ستره، وادى الناس النفل والفرض، واشرقت بنور ربها الارض :

ولاحت لنا شمس الغداة كغادة بداحاجب منها وضنت بحاجب

صدر الاذن المولوي بالعبور، وقدم له الصبور فالصبور، وجعل فاتحة ذلك نجله الاسعد، وفرعه الانجب الاصعد، سيدنا ومولانا محمد، تفاؤلا لتستحسن العاقبة وتحمد، وكان قد تقدم الامر المطاع باعداد المعادي للاعانة على عبور ذلك العدو العادي، فلم يكن الا أن عبر الاول مكتفيا

بالمختصر عن المطول، وظهر من لطف الله وسعادة مولانا ما عليه المعول، وحمد الناس الله على ما سهل من ذلك وخول، تتابع العبور على الريح والاعواد، مع سلامة الانفس والازواد، وشاهد الناس لجيش مولانا المحتمى، شبه ما ظهر من الكرامة لعبد الله بن الحضرمي، ولا غرو ان يعطى التابع حكم المتبوع، ويظهر للعيان حقيقة ما هو مروي ومسموع، ولله قوم يسعدهم ويسعد بهم، ويظهر عنايته على من تعلق بسببهم:

واذا السعادة لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلها امان

واصطد بها العنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ولما خيمت الجموع بالعدوة الاخرى، ورأو السلامة غنيمة وذخرا، وعاين الناس ما تعودوه مع امير المومنين من النجاة والسعود، والفوز المشهور المشهود والتيسير المعلوم المعهود، هنأ بالسلامة بعضهم بعضا، وجعلوا ذلك بينهم سنة وفرضا، فلا تلقى غير حامد وشاكر، ومقر بنعم الله ذاكر، واتسع لديهم المجال، في الروية والارتجال، فمن ناظم وناثر، ومقصر ومكاثر، ومن قائل:

أرى نهر العبيد غدا عنيدا يعاملنا بجور واشتطاط

عبرناه على خطر وخوف على غير اختيار واحتياط

وذلله الاله لنا فسرنا من الريح المسخر في بساط

يهنيء بالعبور البعض بعضا كانا قد عبرنا على الصراط

ومن متمثل في عبور الوادي، على المعاذي:

لئن كنا ركبناها ضلالا فيا لله انـــا تائبونـا
فاخرجنا عن المرغوب منها فان عـدنا فانا ظالمونا

ومن منشد، وإلى لطف الله مرشد :

عبرت نهـر العبيد قهرا على بساط من الهواء

ولما حـد الناس الايراد والاصدار، واستقرت بهم بعد العبور الـدار، وشكروا على فضل الله إمامهم، وجعلوا القبيلة التادلية أمامهم، وذكروا معاهد البلد ورجالها، واطالت الانسن في ذلك مجالها، وأوضحوا بذكر كراماتهم غرر السيادة واحجالها، قام زعيمهم فقال : يا قوم ان الشعر ديوان العرب ووسيلة لقضاء الارب، ومفتاح لكنوز الاسرار، ووصلة الى عطف الابرار، وحلية للفضلاء والاحرار، تنفعل النفوس الكريمة لنشيده، وتعنو الهمم العلية لبديعه ومشيده، وترتاح إليه الطباع العربية، وتهتز لـه النفوس الابية، فتستجلب الارباح بتقليد اعلاق فريده، وتستحلب اخلاف الفضل بحديثه الغض وجديده :

فكم شفع القريض فنال سعدا وقرب للسيادة من قصي
وكم اغنى اخا فقر واقنى وكم أعلى اخا قدر دني
وحسبك ءاية اكرام كعب وما قد نال من عطف النبي

فهل فتى منكم يوري في مدحهم زنده، وينفق على اخوانه مما عنده، ويجلب للجميع ببديع الاستلطاف، ورفيع الاستعطاف، مـا تفيض بـه أبحر المواهب، وتستجلى به وجوه المذاهب، فقال اجل، وقام وارتجل :

أرجال تادلة اليكم عزمتي تسمو وعطفكم الذخيرة والسنا
أنزلت رحلي في حمي عرصاتكم فعلى الكرام لضيفهم نيل المنى
فتعطفوا انزيلكم وتلطفوا وندا كم يقضي بادراك الغنى

فقالوا لقد دعوت منهم مجيبا، وسترى من ستر الله عجيبا، غير انك اقتصرت واختصرت، وقصرت لما اهتصرت، فهلا اثرت من نحن جميعا تحت ظلاله الوارفة وخصصت من ملكنا بفضل الله تالد المجد وطارفه، واستجلبت فان المولى، أحق بالاثرة واولى، مع ان نواله للبرية شامل، وافضل ما به يدين الانسان الله ويعامل، وقد افصح عن ذلك وأغرب، اثر الدعاء اذا كان أعم كان الى الاجابة أقرب، فانشد فتى وما روى، وأنقع علة السامعين وروى :

أرجال تادلة الاكا رم انتم خير الرجال
وإليكم تنمى العوا رف والمعارف والمعال
ولديكم يرجو المؤ مل عطف أرباب الكمال
هـذا أمير المومنيـ ن بحيكم حط الرحال
متفيئا مـن ظلكم وعلاكم ضافي الظلال
وقراه نيل العطف منـ كم والقبول والوصال
فلأنتم أسمى الـوسا ئل في السؤال والابتهال
ولأنتم الحصن الحصيـ ن إذا طغى خطب وهال
مـا أمكم متوسل فعلاكم الاونـال

كلا ولا انتصر امرؤ بجنابكم الاوصال

فلما اكمل الانشاد، واشاد من المفاخر ما اشاد، بلغت النفوس مرادها، واستحسنوا ختام المجلس بذكر أهل الفضل والنسك، واستنشقوا مسك ختامه وكان ختامه مسك.

المحاضرات

خير العلم ما حوضر به

شجاعة مولانا ادريس الازهر

حدث داود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي قال: شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر، فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقارب الجمعان ترجل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، فقاتلناهم قتالا شديدا، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكن في الجانب الآخر فلم ينزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه فطفقت انظر اليه واديم الالتفات نحوه، وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم، فاعجبني ما رايت من شجاعته وقوة بأسه فالتفت نحوي فقال: ياداود مالي اراك تديم النظر الى قلت ايها الامام انه اعجبني منك خصال لم ارها في غيرك قال وما هي ياداود قلت اولها ما اراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك ومن طلاقة وجهك وماخصصت به من البشر عند لقاء عدوك: قال ذاك بركة جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وارائة ابينا علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قلت ايها الامام اراك تبصق بصاقا مجتمعا وانا اطلب الريق في فمي فلا اجده قال: ياداود ذلك لاجتماع عقلي وثبات جأشي

وعدم الريق من فيك لطيش لبك وافتراق عقلك ولماخامرك من الرعب قال فقلت ايها الامام وانا ايضا اتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك قال ذلك مني زعم للقتال وعزم وصرامة وهو احسن فى الحرب فلا تظنه رعبا ثم انشأ يقول:

اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكي مما يؤول الى النصب
ولكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طار ارواح الكماة من الضرب

الحسن الحجام

كان بين الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس، من ملوك الادارسة وبين عمه احمد بن القاسم حروب شديدة ومنازعات على الحكم بجبل الحسن ذات يوم في قتال على فارس من جند عمه فطعنه في المحاجم ثم فعل ذلك بثان ويالت كل ذلك لا يطعنهم الا في موضع المحاجم فقال احمد عمه انما ابن اخي حجام فلزمه هذا اللقب وقال فيه الشاعر.

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لطعن في مكان المحاجم

محاسن الزهد والورع

لما توفى والد الشيخ على بن حرزهم ورثه هو واخوه ابو القاسم فاتفقا على قسم التركة بينهما بدون تدخل احد من الناس. وقام على الى ورده من الليل فجال خاطره في التركة وجعل يفكر ما ياخذه منها لنفسه وما يترك لاخيه حتى لم يدر ما صلى فلما اصبح بعث لاخيه ابي القاسم

وقال له احضر الشهود حتى اتصدق عليك بميراثي في ابي فقال له لاتفعل فقال له لئن لم تقبل لاتصدقن به على الجذمي فلما رأى ذلك منه احضر البينة وقبله.

وكان عبد الرحمن بن عاش فقيها متورعا من اهل فاس باع قبرقا من بعض قرابته وتصدق بثمنه فمات المشتري فورثه منه فباعه وتصدق بثمنه ايضا ولم يشأ ان يقبض عنده ما كان تصدق به.

وزرع فدانا بباب عجيسة وحصده ودرسه وكان العام شديدا فجاءه الناظر عليه فقال اخرج الى زرعك حتى تكتاله فقال غدا الجمعة لا اقدر على الخروج فقال له ان تركته نهب لان الناس في حاجة شديدة والموضع قريب تدرك الجمعة فخرج غدوة واشتغل في كيله ونقله واتى المدينة فوجد الناس قد انصرفوا من الصلاة فتصدق بالطعام الذي وجد في ذلك الفدان وحبس الفدان على المساكين. وكان للشيخ ابي القاسم بن خنوشة جنان واعطى في فاكهته سوما فقال للمشتري اتركني هذه الليلة حتى ارى رأيي اما ان انفذ لك البيع او ارده فلما كان من الغد جاء من اعطاه في الجنان ستين دينارا او اكثر زيادة على القيمة الاولى فبعث الشيخ ابو القاسم للمشتري الاول وقال له اعطيت في الجنان زيادة فان اردت ان تمسك جنانك بالثمن الاول فافعل وان اردت ان تاخذ الزيادة فهي لك لاني البارحة انفذت لك البيع بقلبي بالسوم الذي اعطيتني فاخذ المشتري الزيادة التي زاد المشتري الثاني ولم ياخذ الشيخ الا الثمن الاول.

وكان الشيخ صالح بن حرزهم ففيها ورعا وهو عم الشيخ علي بن حرزهم رحل الى المشرق فانقطع مدة بالشام وفي قرية ببيت المقدس قام للصلاة فبقي هنالك حتى نزل عليه يوما ابو حامد الغزالي مع اصحابه وكان في المسجد عريش عنب قد ظهر فيه الحصرم فقال اصحاب ابي حامد اشتهينا حصرما فقال لهم سلوا امام المسجد على من حبس عنبه؟ فسالوا الشيخ صالحا فقال لا ادري على من حبس ولا تعرضت له ولا اكلت منه قط، فاخبروا ابا حامد بما قال فقال هذا مغربي له اعوام في هذا المسجد لم يتعرض له قط وانتم من ساعة واحدة لم تملكوا نفوسكم.

ودعا السلطان ابو الحسن المريني فقهاء الحضرة الفاسية الى وليمة وما فيهم الا ذو صلاح ودين فمنهم من قال اني صائم ومنهم من اكل وقلل ومنهم من اكل الغلات فقط ومنهم من شمر للاكل عن ساعديه ومنهم من قال هاتوا من طعام الامير على وجه البركة فاني لا اقدر ان اكل الآن فسألهم الشيخ ابو ابراهيم الاعرج عن ذلك فقال الاول طعام شبهة تسترت منه بالصوم وقال الثاني كنت اكل بمقدار ما اتصدق لانه مجهول الارباب والمباشر كالغاصب وقال الثالث اعتمدت القول بان الغلات للغاصب اذ الخراج بالضمان وقال الرابع طعام مستهلك ترتبت القيمة في ذمة مستهلكه فحل تناوله وقد مكنني منه فحل لي وقال الخامس طعام مستحق المساكين قدرت على استخلاصه فاستخلصته واوصلته اليهم، وكان قد تصدق بما اخذ.

تحري القاضي ابن محسود للعدالة

كان ابو محمد بن محسود الهواري من اهل الفضل والدين وكان من أهل فاس قاضيا بها فنزل به ضيف فرهن غزل امرأته في سمن يأتدم به الضيف فاذا ذلك السمن مر لا يطاق اكله فينما ابن محسود في مجلسه اذ نظر السمان مقبلا اليه مع خصمه فقام وأمر من حضر أن يحكم بينهما فلما عاد الى مجلسه اخبرهم بان ذلك السمان قد كان اعطاه سمنا مرا وقال خشيت من اجل ذلك ان لا اسمع منه كما أسمع من خصمه فكرهت الحكم بينهما

ملح اهل التصوف

بعث ابو زيد الهزميري الى ابن عمران الشولي وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركيعات فرجع اليه أن الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها

ودخل ابو عبد الله المقري على عبد الرحمن بن عفان الجزولي وهو يجود بنفسه وكان رءاه قبل ذلك معافي فسأله عن السبب فاخبره انه خرج الى لقاء السلطان ابي الحسن المريني فسقط عن دابته فتضعضعت اركانه فقال ما حملك ان تتكلف هذا في ارتفاع سنك فقال حب الرياسة ءاخر ما يخرج من قلوب الصديقين وسئل ابن شاطر المراكشي عن معنى قول ابن الفارض :

لم اله باللاهوت عن حكم مظهري. ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال يقول ما انا بالحلاج ولا ببلعام.

وكان ابن شاطر هذا ممن صحب ابا زيد الهزميري وابن البناء ورزق بمخالطة الاولياء حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله وربما سئل عن نفسه فيقول ولى مفسود

وأعطاه السلطان ابو عنان المريني الف دينار ليحج بها فمر على تلمسان فصار يدفع منها شيئا فشيئا للمتفرجين بغدير السوريط شرقي عباد الى ان نفذت فلما ورد ابو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له ابو عبد الله حج مبرور فقال له اذا جهلت اصل المال فانظر مصارفه ويابى الله الا ان ينفق الخبيث في مثله فضحك السلطان

ودخل الابلى وهو عالم تلمسان على تلميذه ابي القاسم الفخار السلوي وهو يعجن طين الفخارة فقال له ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقال أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر او زبل او غيره فادركه وجد عظيم حتى انه صاح وقام وقعد وبقي هنيئة مطرقا برأسه مفكرا ثم قال هكذا هي النفوس البشرية

وكان ابو عبد الله بن ابي بكر الدلائي ينصت لسماع في اخر عمره ويتأثر به فانتهى ذلك لابي العباس ابن القاضي فكتب له :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب اصبحت صابيا

فاجابه :

نعم لاح برق الحسن فاختطف الحشا فلبيته من بعد ما كنت ءابيا

همز عالم

كان الفقيه ابو العباس الحباك المكناسي خطيبا بالقرويين فعزل هو والفقيه القوري القاضي في يوم واحد، ثم طلب بعد ذلك لخطبة جامع الاندلس فابى وقال ان كان عزلي بجرحة فلا يحل لكم تقديمي وان كان عن غير جرحة فقبولي من قلة الهمة.

عالم ابن دلال

قال ابو البركات ابن الحاج كنت ببجاية وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس في الاخذ عنه والرواية لما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هناك في العلم فعجب لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم اركم مع من هو اعلى قدرا منه كذلك فقالوا لي لانه قدم علينا ونحن لانوفه في زي حسن بخادم يخدمه يظن من يراه ان اباه من اعيان اهل بلدة فسألناه احى ابوه ام لا قال بل حى قلنا اهو من اهل العلم قال لا هو دلال في سوق الخدم فلذلك اثرناه على من هو فوقه في العلم قال فقلت لهم حق له ان ترتفع منزلته ويعلو صيته لتخلقه وفضله.

مسن الجواب

حضر يحيى بن الزيتوني يوما بين يدي المعتمد وعنده ابن زيدون فكان هذا استجهله واراد ان يخجله فقال له افاس انت يا ابا زكرياء؟ يوهم انه يسأله عن بلده وخبأ له فيها شيئا ففهم ابن الزيتوني مراده واجابه سريعا منسوب

اعزك الله فلح ابن زيدون في اذاه فقال نعم الفتى ابو زكرياء ففهم ابن الزيتوني انه يريد يعم الفسى ابا زكرياء فصدمه بمثله ورماه شكله فقال له عبدك اعزك الله يريد عندك اي يعمني عندك ـ لاعند غيرك من الفضلاء ولما اجابه الجواب المذكور خجل ابو الوليد واستخف الضرب جميع من حضر. وحضر القاضي المليلى وعبد المهيمن الحضر من صاحب العلامة السطان أبي الحسن المريني فجاس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلى جمع من الفنون كذا حتى وضع يده على عبد المهيمن وقال للسلطان مخاطبا ويكتب لك احسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلى وقال نعم يامولاي ويقضى لك احسن من ذا.

وحدث المقري الكبير قال نظرت يوما مع ابراهيم بن حكم الكناني اسلوبا في تكملة بدر الدين ابن مالك لشرح التسهيل لابيه ففضلت عليه كلام ابيه ونازعني ابن حكم فقلت:

عهود من الآبا توارتها الابنا فما رايت باسرع من ان قال: بنو امجدها لكن بنوهم لها ابني فبهت من العجب.

ولما أوقع السلطان مولاي رشيد باهل الدلاء كان ابو عبدالله المرابط منهم ممن اختصه لنفسه فكان يتردد اليه مع العلماء على كراهية منه وفهم السلطان ذلك منه فانشده في بعض الايام:

ومن نكد الدنيا على الحران يرى عدوا له ما من صداقته بد

ففطن المرابط وقال على البديهة اصلح الله الامير وان من سعادة

المرء ان يكون عدوه عاقلا فاستحسن السلطان والحاضرون بديهته وحسن جوابه

بين عبد المومن ووزيره

خرج عبد المومن يوما مع وزيره ابي جعفر بن عطية منتزها الى بعض بساتين مراكش فمر في طريقه بشارع من شوارع المدينة فاذا بطاق في دار عليه شباك خشب قد قابله منه وجه جارية كانه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه فنظر اليها عبد المومن فاعجبه حسنها وحلت من قلبه كل محل فقال ارتجالا:

قدت فؤادى من الشباك اذ نظرت
حوراء ترنوا الى العشاق بالحدق

فقال ابو جعفر:

كانما لحظها في قلب عاشقها

فقال عبد المومن

سبب المؤيد عبد المومن بن على

فقال ابو جعفر

وقال ابو جعفر دخلت على عبد المومن وهو في بستان له قد اينعت ثماره، وتفتحت ازهاره، وتجاوبت على اغصانها اطياره، وتكامل من كل جهة حسنه وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان فسلمت وجلست وجعلت انظر يمنة ويسرة متعجبا مما ارى من حسن ذلك البستان فقال لي يا ابا جعفر اراك كثير النظر الى هذا البستان قلت يطيل الله بقاء امير المومنين والله ان هذا المنظر حسن فقال يا ابا جعفر المنظر الحسن هذا؟ قلت نعم فسكت عني فلما كان بعد يومين او ثلاثة امر بعرض

العسكر ءاخذي أسلحتهم وجلس في مكان مطل وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة لا تمر كتيبة الا والتي بعدها أحسن منها جودة سلاح وفراهة خيل وظهور قوة فلما رأى ذلك التفت الي وقال يا أبا جعفر هذا هو المنظر الحسن لاثمارك وأشجارك

اعاقبه بالحلم

حضر ابو العباس الجراوي الشاعر والطبيب سعيد الغماري يوما بباب السلطان يوسف بن عبد المومن فقال السلطان لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال احمد الجراوي وسعيد الغماري فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من جروان وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الجراوي فقال «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه» أعجب منهما والله خليفة من كومية فيقال ان السلطان لما بلغه ذلك قال اعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه

المنصور الموحدي والفيل

اتى قوم المنصور الموحدي بفيل من السودان هدية فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل

سوء الفال

كان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بالوزير ابي جعفر بن عطية فقال فيه :

ابا جعفر نلت الذي نال جعفر ولا زلت بالعليا تسر وتحبر

عليك لنا فضل وبر ونعمة ونحن علينا كل مدح يحبر

وكان ابو جعفر قد احس من عبد المومن التغير الذي افضى الى قتله فلما سمع هذا من أبي بكر تغير وجهه لان جعفر بن يحيى كان اخر أمره الصلب فكأنه نعى اليه نفسه

وقف على الشعراء

قال ابن حبوس دخلت مدينة شلب من بلاد الاندلس ولي يوم دخلتها ثلاثة ايام لم اطعم فيها شيئا فسألت عمن يقصد اليه فيها فدلني بعض اهلها عن رجل يعرف بابن الملح فعمدت الى بعض الوراقين فسالته سحاءة [1] ودواة فاعطانيها فكتبت ابياتا امتدحه بها وقصدت داره فاذا هو في الدهليز فسلمت عليه فرحب بي ورد علي أحسن رد وتلقاني احسن تلق وقال احسبك غريبا قلت نعم فقال لي من اي الطبقات الناس أنت فاخبرته اني من اهل الادب من الشعراء ثم انشدته الابيات التي قلت فوقعت منه احسن موقع فادخلني الى منزله وقدم الي الطعام وجعل يحدثني فما رأيت احسن محاضرة منه فلما ءان الانصراف خرج ثم عاد ومعه عبدان يحملان صندوقا حتى وضعه بين يدى ففتحته فأخرج منه سبعمائة دينار من ابطية فدفعها الي وقال هذه لك ثم دفع الي صرة فيها اربعون مثقالا وقال هذه من عندي فتعجبت من كلامه وأشكل علي جدا

---

(1) اسحاءة قصاصة من الورق كالسير في عرض راس المختصر تلف على الكتاب بعد طيه ويلصق راسها

وسألته من اين كانت هذه لي فقال لي سأحدثك : اني اوقفت ارضا من جملة مالي للشعراء غلتها في كل سنة مائة دينار ومنذ سبع سنين لم ياتني احد لتوالي الفتن التي دهمت البلاد فاجتمع هذا المال حتى سيق لك واما هذه فمن حر مالي يعني الاربعين دينارا فدخلت عليه جائعا فقيرا وخرجت عنه شبعان غنيا.

بين اميرين

كتب الامير سليمان الموحدي الى الامير ابي الحسن يوم جمعة :

اليوم يوم الجمعة يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق فهل ترى أن نجمعه

فاجابه بقوله :

اليوم يوم جمعة وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعة فهل ترى ان ندعه

ملح نحوية

سئل ابن البناء العددي عن قوله تعالى «ان هذان لساحران» لم لم تعمل إن في هذا فقال لما لم يؤثر القول في المقول لم يؤثر العامل في المعمول فقيل له هذا لا ينهض جوابا فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إن فقال ان هذا الجواب نوارة لا تحتمل ان تحك بين الاكف

وجلس العلامة محمد الصغير الورزازي ذات يوم حين اقامته بمصر مع جماعة من العلماء والاعيان وقدم اليهم طعام فاخرج كل واحد منهم

معلقة معه وأخذ ياكل بها فاخذ هو ياكل بيده وترك المعلقة فقالوا له ما هذا يا شيخ المغاربة فانشدهم متمثلا بقول ابن مالك في الالفية :

وفي اختيار لا يجي ء المنفصل اذا تـاتي ان يجيء المتصل

وقيل ان هذه الحكاية وقعت للمرابط الدلاءي

وجلس بعض الطلبة يوما بين يدي المنصور الذهبي فانشد هذين البيتين:

زمـاننا كاهله واهـله كما تـرى

وسيرهـم كسيره وسيره الـى ورا

وخفض زماننا عند الانشاء فقال له المنصور كيف خفضت الزمان فقال الطالب والله لاخفضنه كما خفضني فاعجب ذلك المنصور

ومات ابو العلامة الطرنباطي النحوي فكان في المعزين له رجل عامي جلس فقال يارسول الله برفع رسول فقال له الطرنباطي لحنك اشد علي من موت ابي

من محاسن التصحيف

قال ابن قطران المراكشي كنت بالمدينة إذ اقبل رافضي بفحمة في يده فكتب على جدار هناك :

من كـان يعلم ان الله خـالقه فلا يحب ابـا بكر ولا عمرا

قال فسرت اليها وجعلت مكان يحب يسب فرجع فوجده كما اصلحت فجعل يلتفت يمينا وشمالا كانه يطلب من فعل ذلك ولم يتهمني فلما اعياه الامر انصرف

مدبث اللظافة

اصطحب ابو اسحاق التلمساني ومالك بن المرحل في مسير فتاواهما الليل الى مشجر فسألا عن صاحبه فدلا عليه فاستضافاه فاضافهما فبسط قطيفة بيضاء ثم عطف عليهما بخبز ولبن وقال لهما استعملا من هذه اللظافة حتى يحضر عشاؤكما وانصرف فتحاورا في اسم اللظافة لاي شيء هو منهما حتى ناما فلم يرع ابا اسحاق الا مالك يوقظه ويقول قد وجدت اللظافة قال كيف قال ابعدت في طلبها بما لم يمر قط على مسمع هذا البدوي فضلا عن ان يراه ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة:

بمخضب رخص البنان كانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

فسنح لبالي أنه وجد اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق (اللين) فجعل احدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة اللظافة واللين اللبن وان كان قد صحف عنم بغنم وظن أن يعقد جبن فقد قوى عنده الوهم، فقال أبو اسحاق ما خرجت عن صوبه فلما جاء سالاه فاخبر أنها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك.

نجابة الاولاد

امر المامون الموحدي بقتل اشياخ الموحدين وأشرافهم فقتلوا عن اخرهم ولم يبق منهم على احد ولم يراع والدا ولا ولدا حتى أنه اتى بولد اخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرءان فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المومنين اعف عني لثلاث قل وما هي؟

قال صغر سني وقرب رحمي منك وحفظي للكتاب العزيز فاعجبه قوة جاش الغلام واقدامه على الكلام في مثل ذلك المقام ثم نظر الى القاضي المكيدي كالمستشير له فقال يا أمير المومنين «انك ان تذرهم يضلوا عبادك» الآية فقتله.

وكان القاضي محمد ابن ابي القاسم ابن سودة اماما بالقرويين وكان يؤخر صلاة الصبح تاخيرا مفرطا رحمة بالضعفاء فحدث ان سال بعض المارة صبيا مبكرا الى الكتاب هل يدرك صلاة الصبح بالقرويين فقال والله لا يمشى لها الا بالمظلة، كناية عن انها لا تصلى الابقرب طلوع الشمس

وقال ابن الطيب العلمي كنت مارا يوما في جماعة من الاصحاب ووافق ذلك فصل الشتاء فمررنا بين الرياض والقضب عارية من اورافها فقلت لهم على سبيل الاختبار أيكم يخبرني عن الغصن لاي شيء يتعرى في البرد ويكتسى في الحر وكان القياس خلاف ذلك فانقطعوا الا ما كان من صاحبنا ابي العباس سيدي احمد الشريف فانه قال وهو يومئذ حدث صغير السن جدا انما يتعرى في الشتاء لان الناس احوج الى الشمس منهم الى الظل فلوا اكتسى لكان حائلا بينهم وبينها واكتسى في الصيف لانهم احوج الى الظل فلو تعرى لم يجدوا وقاية من حر الشمس فهو يترك حقه في حق الناس قال وانت اذا تاملت قول الشاعر:

سالت الغصن لم تعرى شتاء وفي وقت المصيف أراك كاس

فقال لي الربيع على قدوم خلعت على البشير به لباسي

عرفت فضل ما بين الجوابين وذلك فضل الله يوتيه من يشاء، وقد نظم معنى الشريف الكاتب ابو عبد الله بن سليمان من رجال الانيس:

سالت قضيب البان لم أنت تكتسي مصيفا وتعرى في الشتاء من الورق

فقال اخلي الشمس تسخن زائري لاخلع سهم البرد منه اذا مرق

والبس ثوبي في المصيف حنانة لياوى الى ظلى ولولاه لاحترق

بديعة الجراوي

حدث صفوان بن ادريس ان ابا العباس الجراوي كان في حانوت وراق بتونس وهناك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء واوما بها الى خديه مشيرا وقال اين الشعراء تحريكا للجراوي فقال هذا ارتجالا:

وعلوى الجمال اذا تبدى أراك جبينه بدرا انارا

أشار بسوسن يحكيه عرفا ويحكي لون عاشقه اصفرارا

الاصيل في فاس

قال الشريشي اخبرني ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى وراق فنظر الى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وانشدني مرتجلا:

انظر الى الشمس في الاصيل كانها وجنتا عليل

ورن هذا النسيم حتى كانما يشتكي نحولي

بين ابن عبدوس وابن الجهم

قال ابن عبدوس الفاسي سرت يوما الى علي ابن الجهم فانشدني

بيتين في العناق:

سقى الله ليلا ضمني بعد هجعة ... وادنى فؤادي من فؤاد معذبي
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الماء فيما بيننا لم تسرب

فاقتدح زندي لايراد مثله فقلت

لا والمنازل من نجد وليلتنا ... بعيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى مع لطف مسلكه ... نوما فما انفك لا خد ولا عضد
ما انصفوني دعوني فاستجبت لهم ... حتى اذا قربوني منهم بعدوا

الوجد مع الوجد

كان رجل يتعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ملها فقال فيه عقيل بن عطية ابن اخي الوزير ابن عطية؛

لا تلحه ان مال عن حبها ... فلم يكن ذلك من ود
لما رءاها قد صفا مالها ... قال صفا الوجد مع الوجد

مسى الاعتذار

صبح يحيى بن عبدالحنان السلطان ابا العباس المريني عند المساء فانكر عليه وظنه ثملا فقال

صبحته عند المساء فقال لي ... ما ذا الكلام وظن ذاك مزاحا
فاجبت ان ضياء وجهك غرني ... حتى توسمت المساء صباحا

مسى التعليل

سال السلطان أبو سعيد المريني كاتبه عبد المهيمن الحضرمى عن تهادي المحبين التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر، طيب المخبر شديد الشبه باخيه، سديد تشبيه الوجنات به لتوخيه فقال من عند مولانا فقال ارى أن ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى، والخوخ على النوى الذي يذكى اسمه صفرة الجوى.

من اللطائف في التشميت

عطس السلطان ابو العباس المريني وكان ابن عبد المنان حاضرا فقال

يرحمك الرحمان من عاطس ... وليهنك الحمد على عطستك

ويغفر الله لنا كلنا ... وليسبل الستر على وجنتك

وعطس السلطان مولاي سليمان وقاريء الحديث عنده يقول يرحمك الله من قوله صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله فاذا قال فليقل له اخوه او صاحبه يرحمك الله فقال الشيخ حمدون ابن الحاج وكان حاضرا:

عطست وقاريء الحديث يقول ... (يرحمك الله) قول الرسول

فكان الرسول المشمت اذ ... عطست وذلك اعظم سول

شاعر بليد الطبع

كان ابن عمر الشاوي قديم الصحبة للمنصور وأخيه المعتصم واغترب مع الاخير في الجزائر مدة مديدة ولما افضت الخلافة للمنصور سوغه

مغارم مسفيوة بحذافيرها مكافأة على الهجرة الا أنه استثنى منها اعشار الزيت فكتب له ابن عمر بابيات يشملها العطاء فاعطاها له ايضا فكان يبيع منها بالآلاف من العين وهذه الابيات:

ابحر الندى خير الملوك سجية ... وافضل سلطان رقى فوق منبر
لقد سرت في الاسلام احسن سيرة ... وخصصت بالنصر العزيز المؤزر
امولاي لاحظني بجودك انني ... فقير نوال من لدنك موفر
فهذا زمان الزيت قد جاء مقبلا ... ولي رغبة فيه بغير تنكر
فمنها اشتعالي في الدجا وتطيبي ... ودهن طعامي ثم منها تعطري
لاني بليد الطبع اشتاق ريحها ... ففي الزيت يامولاي سكر وعنبري

المودة في القربى

كتب الشيخ التاودي ابن سودة لقاضي فاس ابن عبد الله الهواري يستعطفه في تسريح شريفين من السجن:

أقاضي الورى رفقا بئال محمد ... وراع رعاك الله في حقهم جنبا
وذا سابع الميلاد فافكك وثاقهم ... وكن تاليا الا المودة في القربى(1)

فاجابه

ايا عالما قد طبق الشرق والغربا ... وأبدى لنا ما يشرح الصدر والقلبا
وذاك بنصح لي بنظم مهذب ... وفي طيه عتب واحبب به عتبا
وها انا ذا في الحين لبيت امركم ... وما ابتغى الا المودة في القربى

(1) اي قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى

المقالات

البلاغة النبوية للقاضي عياض

فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لايجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تلكف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة بلسانها ويجاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله، من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن.

وانظر كتابه الى همدان «ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها ياكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصل والفارض الداجن والكبش الجوري وعليهم فيها الصالغ والقارح» وقوله لنهد «اللهم بارك لهم في محضها ومخضها وقدقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا

ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لاتلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة» وكتب لهم «الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لايمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقرفله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة» ومن كتابه لوائل بن حجر» الى الاقيال العباهلة والاوراع المشابيب» وفيه «في التبعة شاة لامقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنامم بكر فاصعقوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنامم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال»

اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولاء على الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ، استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون، وكقوله في حديث عطية السعدي قال اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر.

وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب

ومنهـا ما لا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء.

الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لاخلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس

بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره. وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدراحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمى الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها، ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أدانى حكمهاوقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرءان بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى أنا أفصح العرب بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالاهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

النعوت لابن الحاج الفاسي

يتعين على العالم ان يتحفظ من هذه البدعة التي عمت بها البلوى وقل أن يسلم منها كبير او صغير وهي ما اصطلحوا عليه من تسميتهم بهذه الاسماء القريبة العهد بالحدوث التي لم تكن لاحد ممن مضى بل هي مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين، والعالم اولى من يتحفظ على نفسه من هذه الاشياء ويذب عن السنة في حق نفسه وفي حق غيره... ألا ترى ان هذه الأسماء فيها من التزكية ما فيها فيقع بسببها

في المخالفة بدليل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واقوال العلماء. اما الكتاب فقوله تعالى «فلا تزكوا أنفسكم» وقوله تعالى «الم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً» وأما السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا على الله أحدا ولكن قولوا اخاله كذا واظنه كذا وأما قول العلماء فقد قال ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه شرح أسماء الله الحسنى فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الانسان نفسه ثم قال قال علماؤنا ويجري هذا المجرى ما قد كثر في الديار المصرية وغيرها من بلاد العراق والعجم من نعتهم أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية والثناء كزكي الدين ومحيي الدين وعلم الدين وشبه ذلك ه.

...فاذا قال مثلا محيي الدين او زكي الدين فلا بد أن يسال عن ذلك يوم القيامة ويقال له هذا هو الذي أحيى الدين وهذا هو الذي زكي الدين الى غير ذلك فكيف يكون حاله اذ ذاك حين السوال بل حين اخذه صحيفته فيجدها مشحونة بما تقدم ذكره من التزكية؟ وقد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد» هل الملائكة الكرام يكتبون كل ما يتلفظ به الشخص المكلف كان ما كان او لا يكتبون الا ما تضمنه الامر والنهي وعلى هذا القول الثاني هي المسالة التي نحن بسبيلها اذ انها احتوت

على اشياء مذمومة في الشرع الشريف وهي تزكية الانسان نفسه وتزكيته لغيره والكذب ومخالفة السلف رضي الله عنهم فانا لله وانا اليه راجعون.

ولو وقف أمرنا على هذا لكان قريبا لانه اذا تقرر عندنا أن هذا كذب وتزكية يرجى لاحدنا التوبة والاقلاع ولكن زدنا على ذلك الامر المخوف وهو انا نرى أن ذلك جائزا او مندوب اليه بحسب ما سولت لنا انفسنا من أن الناس اذا خوطبوا بغير هذه الاسماء تشوشوا من اجل ذلك وتولدت الشحناء والبغضاء فوضعنا لهم التزكية الخالصة حتى لا يتشوشوا ولا تتولد البغضاء ولا العداوة لاجرم ان العداوة والبغضاء والشحناء قد كمنت عند بعضهم وحصل منها اوفر نصيب كل ذلك بسبب هذه البدعة فبقيت البواطن متنافرة مع الاذهان في الظاهر فأدت هذه البدعة الى الامر المخوف لان صفة المنافق ان يكون باطنه ومعتقده خلاف ظاهره نعوذ بالله من ذلك.

ولو كانت هذه الاسماء تجوز لما كان احد اولى بها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انهم شموس الهدى وأنوار الظلم وهم انصار الدين حقا كما نطق به القرءان والخير كله في الاتباع لهم في الاعتقاد والقول والعمل. الا ترى الى النبي صلى الله عليه وسلم لما أن دخل بزينب أم المومنين رضي الله عنها قال لها ما اسمك قالت برة فكره ذلك الاسم وقال لا تزكوا أنفسكم لما فيه من اشتقاق اسم البر ومعلوم بالضرورة انها ما اختيرت لسيد الاولين والآخرين الا وهي من البر بحيث المنتهى

لكنه عليه الصلاة والسلام كره ذلك الاسم وان كان حقيقة لما فيه من التزكية فجدد اسمها زينب وكذلك فعله عليه الصلاة والسلام مع جويرية أم المومنين (وكان اسمها برة ايضا) فاذا كره ذلك في حق من فيه ذلك حقيقة ونهى عنه بقوله لا تزكوا انفسكم فما بالك باحوالنا اليوم؟ ومن هذا الباب ايضا ما خرجه ابو داوود في سننه عن شريح عن ابيه هانيء رضي الله عنه انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بابي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله هو الحكم واليه الحكم فلم تكنى ابا الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احسن هذا فما لك من الولد فقال لي شريح ومسلم وعبد الله قال فمن اكبرهم قال شريح قال فانت ابو شريح.

فان قال قائل انما هذه الاسماء مجاز لا عبرة بها وقد صارت ايضا كاسماء الاعلام حتى لا يعرف احد الا بها فقد خرجت عن باب التزكية الى باب اسماء الاعلام كالعباس وعلي. فالجواب ان هذا يرده ما نشاهده في الوجود مباشرة وهو ان الواحد منا اذا قيل له اسمه العلمي الشرعي كالعباس وعلي تشوش من ذلك على من ناداه به ووجد عليه الحنق لكونه ترك ذلك الاسم وعدل عنه الى غيره فهذا يوضح ويبين أن التزكية باقية مقصودة في هذه الاسماء وانها لم تبرح ولم تخرج عن موضعها الذي وضعت له. مع انه لو لم يكن فيها لا كذب ولا تزكية

لكان منهيا عنها لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بالاعاجم وهذه الاسماء ما ظهرت الا من قبلهم، وقد رايت لبعض الشيوخ ممن يقتدى بهم في العلم والفتوى والدين يقول انه ادرك اباه ومن كان في سنه لا يتسمون بهذه الاسماء ولا يعرفونها وكان سببها ان الترك لما تغلبوا على الخلافة تسموا اذ ذاك هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوفت نفوس بعض العوام ممن ليس له علم الى تلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلا اليها لاجل عدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا في اول ماحدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يكنيه فلان الدين الا بامر يخرج من جهة السلطان فكانوا يعطون على ذلك الاموال حتى يسمى ولد احدهم بفلان الدين فلما ان طال المدى وصار الامر الى الترك فلم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغير مال يعطونه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ولا عمل ثم صار الامر متعارفا متعاهدا حتى انس به بعض العلماء فتواطئوا عليه فانا لله وانا اليه راجعون كان الناس يقتدون بالعالم ويهتدون بهديه فصار الامر الى ان يحدث الاعاجم ومن لا علم عنده شيئا فيقتدي العالم بهم فلا حول ولا قوة الا بالله على عكس الامور وانقلاب الحقائق. ولم يرض الامام الحافظ النووي رحمه

الله من المتاخرين بهذا الاسم قط وكان يكرهه كراهة شديدة على ما نقل عنه وصح وقد وقع في بعض الكتب المنسوبة اليه رحمه الله أنه قال اني لا اجعل احدا في حل ممن يسميني بمحيي الدين وكذلك غيره من العلماء العاملين بعلمهم. وقد رأيت بعض الفضلاء من الشافعية من اهل الخير والصلاح اذا حكى شيئا عن النووي رحمه الله يقول قال يحيى النووي فسألته عن ذلك فقال انا نكره أن نسميه باسم كان يكرهه. فعلى هذا فهذه الاسماء انما وضعت عليهم تفعلا وهم برآء من ذلك.

الفارجيل لدى بطوطة

وهو جوز الهند وهذا الشجر من اغرب الاشجار شانا واعجبها امرا وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما الا ان هذه تثمر جوزا وتلك تثمر تمرا وجوزها يشبه رأس ابن ءادم لان فيه شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون منه حبالا يخيطون بها المراكب عوضا من مسامير الحديد ويصنعون منه الحبال للمراكب والجوزة منها وخصوصا التى بجزائر ذيبة المهل، تكون بمقدار راس الآدمي ويزعمون ان حكيما من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلا بملك من الملوك ومعظما لديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان راس هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر بثمر عظيم يعود نفعه على اهل الهند وسواهم من اهل الدنيا فقال له الملك فان لم يظهر من راس الوزير ما

ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع براسي كما صنعت برأسه، فامر الملك برأس الوزير فقطع واخذه الحكيم وغرس نواة تمر فى دماغه وعالجها حتى صارت شجرة واثمرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الاكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم.

ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه واما الاعانة على الباءة فعله فيها عجيب، ومن عجائبه انه يكون في ابتداء امره اخضر فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة ومزاجه حار معين على الباءة فاذا شرب ذلك الماء اخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم الجوزة اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام ويتغذى به ومنه كان غذاءي في ايام اقامتي بجزائر ذيبة المهل مدة من عام ونصف عام ومن عجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل.

فاما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون الى النخلة غدوا وعشيا اذا ارادوا اخذ مائها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ويربطون عليه قدرا صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق فاذا ربطها غدوة صعد اليها عشية ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور احدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق

في احد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الاخر وينجر من العذق قليلا ويربط عليه القدر ثانية ثم يفعل غ وة كفعله عشيا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صنع منه الرب فيصير عسلا عظيم النفع طيبا فيشتريه تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلواء.

واما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسى تجلس فوقه المرأة ويكون بيدها عصى في احد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويجرشون مافي باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يحرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضا ويكون طعمه كطعم الحليب ويأندم به الناس.

وأما كيفية صنع الزيت فانهم ياخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعا ويجعل في الشمس فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زبته وبه يستصبحون ويأتدمون به ويجعله النساء في شعورهن وهو عظيم النفع.

اصول الطريق للشيخ زروق

اصول طريقتنا التى تنبنى عليها عشرة اشياء خمسة ظاهرة وخمسة باطنة. اما الخمسة الظاهرة فاولها ملازمة السمع والطاعة لامراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من اهل الله فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل بل ايمان

وتسليم، الثاني لزوم الخمس في الجماعة بحسب الامكان فان كان في الجامع الاعظم فهو اولى وتكفي المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين في تحصيل فضلها، الثالث القناعة بقليل الرزق وكثيره باي وجه تحصل من الوجوه المباحة، الرابع اقامة الاوراد الشرعية بحسب ما يكون صالحا بالانسان في دينه ودنياه وذلك يختلف باختلاف الناس، الخامس ايثار الخمول بترك الفضول وعدم المنازعة والعناد في كل قول وفعل وفي ذلك يقول القائل؛

وقائلة مالى اراك مجانبا امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة فنحن اناس بالسلامة نفرح

وأما الخمسة الباطنية فاولها الاعراض عما يرجى او يخشى من قبل الخلق بان لا يرجى منهم لا دفع ولا جلب ولا يتوجه اليهم في طلب ولا هرب. الثاني الاقبال على الله بان لا تطلب حوائجك قلت او جلت الا منه. الثالث اقامة رسم الشريعة بلزوم الاسباب من غير استناد ولا اعتماد بل كما قال ابن عطاء الله لابد من الاسباب وجودا والغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث اثبتها الحق بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته الرابع الخروج من الكلف بان لا تكلف ولا تتكلف وان جرى لك شيء من ذلك فلا تعدله ودع الخلق وما دفعوا اليه فمراد الحق ما هم عليه الخامس ان لا تعمل عملا الا بقصد ونية فكل عمل لا تصحبك فيه نية ولا قصد صالح فلا تقربه فانه لا فائدة فيه.

وبعد هذه الخمس خمس لابد لك منها؛ مجاملة الخلق، ومحاسنتهم في الامور والحذر منهم في عين حسن الظن بهم، وموافقتهم في كل امر لا يخالف الشرع ولا يضر بالدنيا ولا ينقص العقل، واتباع العلم في كل ورد وصدر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وقال صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن فمن ثم قال الشيوخ الانسان مبتلي بنفسه والوقوع في المعصية لا يقضى بعدم الاستدراك فالواجب على المريد ان لا يعزم على محذور ولا يفرط في مامور فان وقع فليبادر المعصية بالتوبة والنقيصة بالانابة. والفرق بين المعصية والنقيصة ان المعصية ما فيه اثم كالزني والنقيصة ما فيه عيب كالطمع وقد قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اجعل التقوى وطنك ثم لا يضرك فرح النفس ما لم ترض بالعيب او تصر على الذنب او تسقط منك الخشية بالغيب اه. وهو مدار الامر وجملته وبالله التوفيق.

اختبار الذهب وتصفيته

لابي العباس احمد المدعو حمدون الجزناءي من اهل القرن العاشر[1] واختبار سبائك الذهب ان تضرب على السبيكة بمطرقة على وتد بعد الحمي فان تخلفت لم يذهب التنحيس والا ذهب او تنقر بها على وتد

(1) له كتاب الاصداف المنفضة الذي تقدم نسبته في الجزء الاول الى ابى العباس الجزناءي الشاعر الفيلسوف غلطا

امامه فان كانت صمّاء لا صوت لها فهي جيدة وان صوتت دل على تنحيسها وكذلك الدينار ان القيته من يدك على الارض ولم يصوت فهو جيد وان صوت فهو رديء.

وان كان في الذهب نقرة فلا يصفيه الا التشحير مرة بعد مرة لا الخلاص فان ذهبت واخذ في سبكه بعد الخروج من التشحيرة فلابدمن شلمان بلا حد ويفرغه في سبيكة ويعيرها فان كانت في عيارها كنفس الامام قبل الذهب ودفعه للمعلم والا عاود تشحيره حتى يصفى واكتفى بتشحيره واحدة او اثنتين ان اراد عملا منه كلخلخال، ونحوه ان شاء تشحيره لما شابه من التنحيس او الزجاج فان لم يعلق به زجاج او قل تنحيسه امر بسبكه امامه ويتحفظ عليه بان يصنع له فرنا مخصوصا على هيئة النفيخ ليتمكن به من جمع الذهب ان تهشمت البوطة وقد شوهد واستحسن ثم ان انماع الذهب في البوطة القى عليه شلمانا او تنكارا وقد قيل به وافرغه وان شاء حاجته من ذهب جيد دفعه للطراق وزنا فطرقه صفائح ورده له كذلك ثم قطعه اطرافا صغارا ووسده في الاشقاف للتشحير على ما سياتي في صفته.

التوشيح والوشامود للافراني

التوشيح لغة ماخوذ من الوشاح قال في الانوار والوشاح حرز تنظم بجواهر واحجار نفسيته نظمين مختلفين تتقلد بهما المرأة يلتقيان عند صدرها وبين كتفيها كحمائل السيف ومنه التوشيح الذي في الحديث

وهو ان يخالف الرجل بين طرفي الثوب ءاخذا لهما من تحت ابطيه عاقدا لهما على رقبته اه ومن هذا التوشيح عند اهل البديع ومخترعه قدامة وهو ان يكون اول الكلام والاعلى لفظ ولهذا سموه توشيحا فانه يتنزل المعنى فيه بمنزلة الوشاح ويتنزل اول الكلام وءاخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح.

ومن غريب التوشيح البديعي ما ذكر ان عدى بن الرقاع انشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التي اولها: عرف الديار توهما فاعتادها، حتى انتهى لقوله: تزجى اغن كان ابرة روقه، ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق انه سيقول:

قلم اصاب من الدواة مدادها ، فلما عاد الوليد للاستماع وعاد للانشاد قال: قلم اصاب من الدواة مدادها، فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما انشا عجزه انقلبت الرحمة حسدا وقال الشريف الغرناطي (ابو القاسم الشريف) في شرح المقصورة لما انشد ابيات ابن الزقاق ومنها:

على عاتقى من ساعديها حمائل وفي خصرها من ساعدي وشاح

استعمل ابن الزقاق الوشاح في معنى النطاق وهو ما تديره المرأة على خصرها والوشاح ما تتقلده على عاتقها فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرجل وقد خطىء ابو تمام في قوله:

من الهيف لو ان الخلاخل صورت لها وشحا جالت عليه الخلاخل

لانه استعمل الوشاح في الحقاب، وانما وصفوا الوشاح بالقلق والحركة لان ذلك يدل على رقة الخصر وضمور البطن، وسمى التوشيح توشيحا اخذا من وشح بمعنى زين قال الثعالبي على قول الحلي:

ما روضة وشح الوسمى بردتها، ما نصه وشح هو من التوشيح وهو التزيين يقال وشحت الشيء اذا زينته ومنه الوشاح اهـ.

واما التوشيح عرفا فقال ابن خلدون ان اهل الاندلس لما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناصيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد اهـ ولم يلتزموا في اوزانه بحرا من البحور الخمسة عشر بل صنعوا على كل بحر منها وربما استعملوه في الالحان المولدة والطبوع المخترعة والنغمات المستحدثة الخارجة عن اوزان العرب رأسا وهذا الاستعمال اغلب عليهم ثم قال ابن خلدون:

واول من اخترع التواشيح بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر التبريزي من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع المتاخرين

ذكر وكسدت موشحاتهما، فكان اول من برع في هذا الشان بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهر يقول الوشاحون كلهم عيال على عبادة فيما اتفق له من قوله:

بدر تم شمس ضحى غصن نقا مسك شم
ما انسم ما أوضحا ما أورقا ما انسم
لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا زمن الطوائف وجاء من بعدهم جماعة منهم ابن رافع شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا وقد أحسن في ابتداء موشحته التي صارت له حيث يقول؛

العود قد ترنم بابدع تلحين وشقت المذانب رياض الياسمين

وفي اثنائها يقول؛

تخطر ولم تسلم عساك المأمون مروع الكتائب يحيى بن ذي النون

ثم جاءت الحلبة التي كانت في ايام الملثمين فظهرت لهم البدائع فمن فرسان حلبتهم الاعمى التطيلي ويحيى بن بقي ومن موشحات الاعمى:

كيف السبيل الى صبري في المعالم اشجان
والركب وسط الفلا بالخرد النواعم قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون

أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس من اشبيلية وكان كل واحد مهم قد صنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعمى التطيلي فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواه صدري

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون. وذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول ابن بقي حين وقع له:

اما ترى احمد في مجده العالي لا يلحق
اطلعه الغرب فارنا مثله يا مشرق

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين ابو بكر الابيض وكان في عصرهم ايضا الحكيم ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة، ومن الحكايات التي اشتهرت عنه أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى على بعض قيناته موشحه:

جرر الذيل ايما جر وصل السكر منك بالسكر

فطرب الممدوح حتى ختمها بقوله:

عقد الله راية النصر لامير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت به وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة لا يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب فخاف ابن باجة سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه وذكر ابو الخطاب بن زهر

انه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر ذكر ابي بكر الابيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه احد الحاضرين فقال كيف تغض ممن يقول؛

مالذلي شرب راح على رياض الاقاح لولاهضيم الوشاح اذاانثنى في صباح
أو في الاصيل اضحى يقول ما للشمول لطمت خدي وللشمـــال هبت فمال غصن اعتدال ضمه بردي
فما أباد القلوبا يمشي لنا مستريبا يا لحظه زده ذنوبا ويالماه الشنيبا
برد غليل صب عليل لا يستحيل فيه عن عهدي
ولا ينزال في كل حال يرجو الوصال وهو في الصد

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن ابي الفضل ابن شرف قال الحسن ابن دريد حسدت حاتم بن سعد على هذا الافتتاح؛

شمس قارنت بدرا راح ونديم

وابن هردوس الذي له:

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي

وابن مؤهل الذي له:

ما العيد في صلة وطاق وشم طيب وانما العيد في التلاق مع الحبيب

وابو اسحاق الدويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل ابن مالك يقول انه دخل على ابن زهر وقد اسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بحصن استبة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة ان انشد لنفسه موشحة وقع فيها:

كحل الدجى يجري من مقلة الفجر على الصباح
ومعصم النهر في حلل خضر من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال انت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي ادركت هؤلاء هو ابو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت ابا الحسن بن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما ابدع ما وقع لك فى التوشيح قال كنت اقول:

ما للموله من سكره لا يفيق يا له سكران

قال في نفح الطيب هذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويروي انه من احسن الموشحات قلت وابو بكر بن زهر هو اول من عصر سلافة التوشيح لاهل عصره ولذلك قال فيه تلميذه ابو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب من اشعار اهل المغرب والذي انفرد به شيخنا الموشحات وهي زبدة الشعر وخلاصته من الفنون التي اغرب فيها اهل المغرب على اهل المشرق.

... قال ابن خلدون واشتهر بعد ابن زهر ابن خلدون والمهر بن الفرس بغرناطة قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهر قوله:

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حمص على تلك المروج
ثم انعطفنا على فم الخليج
نفض مسك الختام عن عسجدى المدام

ورداء الاصيل تطويه كف الظلام

قال اين كنا من هذا الرداء وكان معه في بلده مطرب أخبر ابن سعيد عن والده ان مطربا هذا دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لا اقوم لمن يقول:

قلوب تصابت بالحاظ تصيب فقل كيف نبقى بلا وجد

وبعد هولاء ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرئيس ان يحيى الخزرجى دخل عليه في مجلس فانشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بمرشح حتى يكون عاريا عن التكلف قال مثل ماذا ؟ قال على مثل قولى:

يا هاجري هل الى الوصال منك سبيل

او هل يرى عن هواك سال قلب العليل

وابو الحسن بن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله:

ان سيل الصباح في الشرق عاد سيلا في اجمع الافق

فتداعت نوادب الورق اتراها خافت من الغرق

فبكت سحرة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل بن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل في قولك:

فواحسرتا لزمان مضى عشية بان الهوى وانقضى

وافردت بالرغم لا بالرضا وبت على حر جمر الغضا
اميز بالفكر تلك الطاول والثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر الصابوني ينشد الاستاذ ابا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول لله دره الا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ما الليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد ما لليلى فيما اظن غد
صح يا ليل انك الابد
او فقصت قوادم الشر فنجوم اسماء لا تسربي

واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة:

يد الصباح قد قدحت زناد الانوار في مجافر الزهر

وابن زهر البجاءي وله من موشحة

ثغر الزمان موافق حياك بابتسام

قال ابن خلدون ومن محاسن الموشحات للمتاخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها فمنها قوله:

هل درى ظبي الحمى قد حمى قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما لفت ريح الصبا بالنفس

واما المشارقة فالتكلف عندهم ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري اشتهرت شرقا وغربا واولها:

ياحبيبي ارفع حجاب الدور عن العذار
تنظر المسك على الكافور في جلنار
كللي، ياسحب تيجان الربى بالحلى
واجعلي، سوارها منعطف الجدول

ومن احسن موشحات المشارقة موشحة عبد العزيز بن سرايا الحلي؛

شق جيب الليل عن نهد الصباح ايها الساقون

وله

جرد الافق صارم الفجر من جفون الغسق

الطبوع والطبائع

للكاتب الاديب محمد ابن سليمان احد رجال الانيس

كل ما يدور على الالسنة من انواع التلحين على اختلاف اجناسها فهو راجع الى خمسة أصول من الطبوع وما تفرع منها وهي اي الطبوع المتفرعة تسعة عشر تفرعت عن اربعة اصول وهي الديل والزيدان والماية والمزموم ولم يتفرع عن الاصل الخامس الذي هو الغريبة المحررة شيء.

فالمتفرع عن الديل 6 وهي رمل الديل وعراق العرب وعراق العجم ومجنب الديل ورصد الديل واستهلال الديل والمتفرع عن الزيدان ستة وهي الحجاز الكبير الحجاز المشرقي والعشاق والحصار واصبهان والزركند والمتفرع عن الماية اربعة وهي رمل الماية وانقلاب الرمل والحسين والرصد والمتفرع عن المزموم ثلاثة وهي غريبة الحسين والمشرقي وحمدان

فهذه 19 الى الاصول 5 جاءت 24.

ولهذه الاصول الاربعة وما تفرع عنها تعلق بالطبائع الاربعه الناريـة والمائية والريحية والترابية فالغالب على صاحب النارية الصفراء ويحركه من الطباع المزموم وفروعه 3 والغريبة المحررة التي هي اصل بلا فرع والغالب على صاحب المائية البلغم وصاحبه يحركه الزيدان وفروعه 6 والغالب على صاحب الريحية الدم وصاحبها يتحرك بالماية وفروعها 4 والغالب على صاحب الترابية السوداء وصاحبها يحركه الديل وفروعه 6

القلم في اللغة لاكنسوس

وهو القلم والمزبر بالزاي والمذبر بالذال المعجمة سمي بـذلك لانه يزبر به ويذبر اي يكتب وقد فرق بعض اللغويين بين زبرت وذبرت فقال زبرت بالزاي كتبت وذبرت بالـذال قرأت وسمي قلمـا لانه قلم اي قطع وسوي كما يقلم الظفر وكل عود يقطع ويحز رأسه ويعلم بعلامة فهو قلم ولذلك قيل للسهام اقلام قال الله تعالى اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهامها مكتوب عليها اسماؤهم. ويقال للذي يقلـم به مقلم ولما يبرى به مبـري ومبراة وقد بريته ابريه بريـا وحصـرمته حصرمة عن ابن الاعرابي. وقيل لما يسقط عن التقليم القلامة وعن البري البراية وجمع القلم فلام واقلام كجبل وجبال. وقيل لاعرابي ما القلم فجعل يفكر ويقـلب اصابعه وينظر فيها فقـال لا ادري فقيل له توهمه في نفسك فقال عود قلم برأسه وجوانبه كتقليم الظـفر.

ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب فان كانت فيه عقدة تشينه وتفسده فهي الابنة ويقال لما بين العقد الانابيب واحدها انبوب والمقالم واحدها مقلم. والانابيب والكعوب تستعمل ايضا في الرماح وفي كل عود فيه عقد وكذلك الابن. فان كان في القصبة او العود تأكل قيل فيه قادح وفيه نقد وكذلك في السين قال جميل؛

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي القر من انيابها بالقوادح

وقالا الهذلي :

تيس تيوس اذا يناطحها يا لم قرنا أرومه نقد

ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره الليط فان قشرت منه قشرة قات تلطت من القلم ليطة اي قشرتها والليط ايضا اللون قال ابوذويب؛

اذا اصفر ليط الشمس حان انقلابها[1]

ويقال للغصب اليراع وقال قوم الاباء اطراف الغصب والواحدة يراعة واباءة قال متمم بن نويرة يذكر فرسا؛

ضافي السبيب كان غصى اباءة ريان ينقضه اذا ما يقرع

ويقال للقطن الذي يوجد في جوف القصبة البيلم والقنصف والفشغ واحدها بيلمة وقنصفة وقشغفة فان كان فيه عوج فذلك الدرء وكذلك العود قال الشماخ؛

اقام الثقاف والطريدة درءها كما اخرجت ضغن الشموس المهامز

(1) الشطر في الاصل غير مستقيم ولم يظهر لنا معناه وهذا عن التاج

والطريدة خشبة صغيرة فيها حديدة تسوى بها للرماح ونحوها. ويقال لغشائه الذي عليه الغلاف واللحاء والقشر فاذا نزعته قلت قشرته وقشوته وقشيته ولتمته ولفاته وكشاته ولحوته ولحيته وسحفته وسحيته وسحوته وحلفته وجلهته ووسفته ونقحته، ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان واحدهما سن والشعيرتان واحدتها شعيرة فاذا قطعت طرفيه وهيأته للكتابة قلت قططته اقطه قطا وقضمته اقضمه قضما والمقطع بالكسر ما يقط عليه والمقط بالفتح الموضع الذي يقط من راسه قال ابو النجم؛

كانما قط على مقط وقال المقنع الكندي يصف القلم؛

يحفى فيقطم من شعيرة انفه كقلامة الاظفور في تقلامه

فاذا انكسرت سنه قيل قضم يقضم قضما كحذر يحذر حذرا وكذلك كل تكسر في سن او سيف او رمح او سكين فان اخذت من شحمته بالسكين قلت شحمته اشحمه شحما فاذا افرطت في الاخذ منها قلت بطنت القلم تبطينا وحفرته حفرا وقلم مبطن ومحفور واسم موضع الشحمة الحفرة فاذا تركت شحمته ولم تاخذ منها شيئا قلت اشحمته اشحاما ويقال للشحمة التي تحت برية القلم الضرة شبهت بضرة الابهام وهي اللحمة التي في اصلها كذا قال ابن قتيبة في آلة الكتاب وهو المعروف ولكنه خالف في ادب الكتاب فقال الاليه اللحمة التي في اصل الابهام والضرة اللحمة التي تقابلها. فان جعلت سنى القلم الواحدة اطول من الاخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا وان جعلت سنيه مستويتين قلت

قلم مبسوط وقلم حزم فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشق ويقال قلم مذنب بفتح النون اي طويل الذنب فاذا كثر المداد في رأس القلم حتى يقطر المداد قيل رعف القلم يرعف رعافا تشبة برعاف الانف ومج يمج مجا وارعفه الكاتب ارعافا وامجه امجاجا ويقال للكاتب استمدد ولا ترعف ولا تمجج اي لا يكثر من المداد حتى يقطر ويقال للخرقة التي يمسح بها الكاتب الوقيفة بالقاف وتقدم لنا عن ابي عمرو الشيباني انها الوقيفة بالفاء.

قسم المنظوم

الباب الاول في الحماسة والفخر

لمولانا ادريس الازهر يخاطب بهلول بن عبد الواحد وقد مال الى ابن الاغلب:

ابهلول قد شممت نفسك خطة تبدلت منها عولة برشاد
اضلك ابراهيم عن بعد داره فاصبحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون مامنتك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شوك قتاد

ولعبد المومن بن علي يستنفر العرب من بني هلال للاندلس؛

اقيموا الى العلياء هوج الرواحل وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الاعداء شدة صائل
فما العز الا ظهر اجرد سابح يفوت الصبا في شده المتواصل
وابيض ماثور كأن فرنده على الماء منسوج وليس بسائل
بني العم من علياهلال بن عامر وماجمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت الى الغزوانية عواقبها منصورة بالاوائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي تنجز من بعد المدى المتطاول
بها يفتح الدنيا بها يبلغ المنى بها ينصف التحقيق من كل باطل
اهبنا بكم للخير والله حسبنا وحسبكم والله اعدل عادل
فما همنا الا صلاح جميعكم وتسريحكم في ظل اخضر هاطل

وتسويغكم نعمى ترف ظلالها عليكم بخير عاجل غير اجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة وللمدلج الساري صفاء المناهل

ولحفيده المنصور هذه الابيات كتب بها الى العرب

يا ايها الراكب المزجي مطيته على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم
ياقومنا لاتشبوا الحرب ان خمدت واستمكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم من القرون فبادت دونها الامم
حاشا الاعارب أن ترضى بمنقصة يا ليت شعري هل تراهم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له(1) كانه بينهم من بينهم علم
الله يعلم أني ما دعوتكم دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لا جزى رسول عن نسب ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان أتيتم فحبل الوصل متصل وان ابيتم فعند السيف نحتكم

وللسيد عبد الله الموحد صاحب فاس

الست ابن من تخشى الليالي انتقامهم وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطى في حومة الوغى سطور المنايا في نحور المقانب
كتابا باطراف العوالي ونقسه دم القلب مشكولا بانصح التراثب
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا اقاموا كتابا من نفوس الكتائب

(1) يعني بالارمني قرقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادني واوقد نار الحرب من طرابلس الى تونس مع ابن غانية

وللامير ابي مالك عبد الواحد المريني

فرقت في الميدان كل مليك ... وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت للاسلام حدا مالكا ... كي لا يعيره العدا بسلوك

وللسلطان ابي الحسن المريني

أرضى الله في سر وجهر ... واحمى العرض عن دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالي اختيارا ... واضرب بالسيوف طلي الرقاب

ولمالك ابن المرحل يستنفر المجاهدين لقتال العدو بالاندلس

استنصر الدين بكم فاستقدموا ... فانكم ان تسلموه يسلم
لا تسلموا الاسلام يا اخواننا ... وأسرجوا لنصره وألجموا
لاذت بكم اندلس ناشدة ... برحم الدين ونعم الرحم
فاسترحمتكم فارحموها انه ... لا يرحم الرحمن من لا يرحم
ما هي الا قطعة من ارضكم ... واهلها منكم وانتم منهم
لكنها حدت بكل كافر ... فالبحر من حدودها والعجم
لهفا على اندلس من جنة ... دارت بها من العدا جهنم
استخلص الكفار منها مدنا ... لكل ذي دين عليها ندم
قرطبة هي التي تبكي لها ... مكة حزنا والصفا وزمزم
وحمص وهي اخت بغداد وما ... أيامها الا صبا والحلم
استخلصوها موضعا فموضعا ... واقتدروا واحتكموا وانتقموا
وقتلوا ومثلوا واسروا ... واحتملوا وايتموا وأيموا

ايام كان الخوف من اعوانهم ... والجوع والفتنة وهي اعظم
حتى اذا لم يبق من حياتها ... الا ذماء تدعيه الذمم
دعوا العهود واعتدوا ومادروا ... بانها بحبلكم تعتصم
ظنوا وكان الظن منهم كاذبا ... ان ليس لله جنود تقدم
ما صدقوا ان وراء البحر من ... يغضب للاسلام حين يظلم
ولا دروا ان لديكم حرمة ... يحفظها شبابكم والهرم
لو عرفوا قبائل العدوة ما ... عدوا على جيرانهم واجترموا
اليوم يدري كل شيطان بها ... ان قد رمتهم بالشعاع الانجم
تقدمت نحوهم طليعة ... من نحوكم اخطاهم التقدم
فانتصفوا للدين من اعدائه ... واقترعوا عليهم واقتسموا
وامتلات ايديهم من السبا ... واحبستهم نعم ونعم
يا اهل هذا الارض ما اخركم ... عنهم وانتم في الامور احزم
تسابق الناس الى مواطن ... الاجر فيها وافر والمغنم
تعزز الكفار في ديارهم ... وعزموا ان يهزموا فهزموا
فمن سيوف في رءوس تنحني ... ومن رماح في ذرى تحطم
وقامت الحرب على ساق فما ... زلت لاهل الصدق منهم قدم
باعوا من الله الكريم انفسا ... كريمة فقاض منها الحكم
دعاهم الله الى رحمته ... وحيهم بين يديه يخدم
يضرب بالسيف فيرضى ربه ... وفي رضى الرب النعيم الادوم

اخرجه من بيته ايمانه ... وجبه في فعل ما يقدم
ما همه الا قتال امة ... يكفر عيسى قولهم ومريم
تشرك بالله وتدعوا معه ... خلقا يصح جسمه ويسقم
وتدعى ان له صاحبة ... وابنا ولا صاحبة ولا ابنا م
يثنه عن عزمه اهل ولا ... مال ولا خوف نعيم يعدم
كيف وعدن تحت ظل سيفه ... والحور عن يمينه تسلم
والله راض عنه والخلق له ... يدعون مهما كبروا واحرموا
اخواننا ماذا القعود بعدهم ... افي ضمان الله ما يتهم
هل هي الاجنة مضمونة ... او عودة صاحبها مكرم
حدوا السلاح وانفروا وسارعوا ... الى الذي من ربكم وعدتم
ان أمام البحر من اخوانكم ... خلقا لهم تلفت اليكم
ونحوكم عيونهم ناظرة ... لا تطعم النوم وكيف تطعم
والروم قد همت بهم ومالهم ... سواكم رده فاين الهمم
كلهم ينظر في اطفاله ... ودمعه من الحذار يسجم
اين المفر لا مفر انما ... هو الغياث او اسار اودم
يارب وفقنا والهمنا لما ... فيه لنا الخير فانت الملهم
يارب اصلح حالنا وبالنا ... انت بما فيه الصلاح اعلم
يارب وانصرنا على اعدائنا ... يارب واعصمنا فانت تعصم
يا ربنا ما داؤنا شيء سوي ... ذنوبنا فارحم فانت ترحم

ولعبد العزيز الملزوزي هذه الملحمة البارعة في ذكر غزوات يعقوب المنصور المريني بالاندلس وغزوات بينه وقبائل بني مرين والعرب على اختلاف قبائلهم وغير ذلك نذكرها هنا . الا جانبا قليلا منها . لمناسبتها لهذا الباب؛

بحمد الله افتتح الخطابا ... وابدأ في النظام به الكتابا
لعل الله يبلغني الاماني ... ويفتح بالسرور على بابا
ويرشدني الى نقل صحيح ... ويرزقني من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرايا ... وصورهم وقد كانوا ترابا
الاه واحد حي مريد ... عليم قادر بالجود حايى
يرى اثر النملة حين تمشي ... وتقطع في الدجى الصم الصلابا
ويسمعها اذا دبت عليه ... وجنح الليل قد امسى غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا ... وان يعزى له الوصف اكتسابا
يحيط بعلم ما تحوى عليه ... طباق السبع ان دعى استجابا
ويعلم في الاراضي السبع علما ... يحيط بعد حصباها حسابا
ولم لا وهو انشانا امتنانا ... وواعدنا على الحسنى المثابا
وانشأ في السماء لنا بروجا ... والبسها بزينتها ثيابا
واجرى الشمس ثم البدر فيها ... وسخر بالرياح لنا سحابا
لتسقى بلدة ميتا بغيث ... هموم بالحياة همى وصابا
واجرى في بسيطتها عيونا ... مدفقة واودية عذابا
وارسل في الورى منهم رسولا ... شفيعا مصطفى يتلو الكتابا

محمد النبي المجتبى من ... سلالة هاشم فالاصل طابا
وقد اسرى به مولاه ليلا ... وجبريل له اخذ الركابا
دنا من حضرة العليا تدلى ... وجاز القرب منه فكان قابا
عليه صلاة رب العرش تترى ... مدى الايام تورثنا الثوابا
وما سحت بماء المزن سحب ... فحلى الزهر بالزهر الهضابا.
هو المبعوث بشرنا ببشرى ... من المولى وانذرنا العقابا
وحرضنا علي قتل الاعادى ... نضيق بهم تلالا او شعابا
ونبذل في جهاد الكفر نفسا ... وما لا قد جمعناه اكتسابا
فصدقه ابو بكر عتيق ... وثانيه ابو حفص اجابا
وثالثهم ابو عمرو ووفى ... ابو حسن طعانا او ضرابا
هم الخلفاء اربعة تواصوا ... على الاسلام صونا واحتجابا
وباقي العشرة المرضى عنهم ... سموا وعلا ابن عوفهم الشهابا
سعيد وابن جراح وسعد ... زبير طلحة كرموا صحابا
هم قد بايعوا المختار حقا ... على ان لا يضام ولا يصابا
وان تفنى نفوسهم احتماء ... لدين الله بعداً او اقترابا
وهم قد جاهدوا في الله حقا ... وسلوا في عداتهم الذبابا
عليهم رحمة الرحمان تملا ... بنور من قبورهم الرحابا
فقد بانوا وبان من اقتفاهم ... خفا نور بدا منهم وغابا
وعاد الدين بعدهم حقيرا ... ومنسحقا وممتهنا مصابا

وصار بغربنا الاقصى غريبا فيا للدين يغترب اغترابا
ولم يعلم جهاد للاعادي بهاذي الارض يحتسب احتسابا
الى ان فتح الرحمان فيه ليعقوب بن عبد الحق بابا
لمولانا امير العدل ملك * * به انسلبت يد الكفر انسلابا
ولم نر قبله في العصر ملكا ارانا في العدا العجب العجابا
فهنأه الالاه السعد فيه ونية صدقه برا اثابا
دعا لله دعوة مطمئن لمولاه دعاء مستجابا
فلبى الله دعوته وسنى له الحسنى وجنبه الصعابا
فجاز البحر مجتهدا مرارا يقود الى العدا الخيل العرابا
فالبس ملكهم ذلا وصارت به الاملاك ترتهب ارتهابا
ابعد جواز ارض البرث فخر تزيد به منالا واعتجابا
هو القطب الذي دارت عليه نجوم السعد لاتخشى اضطرابا
بنوه نجومه والبدر فيهم ولى العهد من بالفضل حابى
ابو يعقوب مولانا المرجى لدفع الخطب ان ارسى ونابا
هو الملك الذي اعطى واقنى وصير طعم عيش مستطابا
وانباء الامارة ترتجيهم واحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
اوفى حقهم فردا ففردا كما جعلوا الجهاد لهم نصابا
واذكر غزو هذا العام حتى اذكر كل شخص ما اصابا
وانشر من فخار مرين بردا كما احتربوا لدينهم احترابا

واروي مدحهم في الدهر شعرا ... ادونه واودعه الكتابا
ليبقى ذكرهم في الارض يتلى ... يراه الركب زادا واحتقابا
فعزهم مكين في المعالي ... وعز سواهم اضحى سرابا
ساودع غزوهم في الروم نصا ... نظاما لا اخاف به اضطرابا
واذكر من وقائعهم امورا ... يصير بهن طعم الشرك صابا
فهل من سامع خبرا لبابا ... يرد علي بالصدق الجوابا
فيصغى سمعه نحوي امتنانا ... يقول اذا اصبت لقد اصابا
وذلك ان مولانا اناخت * * عزائمه بطنجة الركابا
فجاز البحر في صفر خميسا ... بخامس شهره قصد الضرابا
وحل طريفا المولي بجمع ... كماشم المعاقل والهضابا
وفي غد يومه ضربت لديه ... هنالك قبة تنسي القبابا
زهت حسنا وجملها سناها ... لها اختاروا من الحبر الثيابا
ولم ير مثلها في الحسن لكن ... قد انتخبت بسبتة انتخابا
فحل بها كان الشمس لاحت ... بطلعته ازدهاء واعتجابا
فيا لك قبة يحكي سناها ... سنا الفلك المحيط بها انتسابا
وخلف عامرا واتى قريبا ... من اركش ثم رام به اجتلابا
ورام نكاية الاعداء فيه ... فاوسعه احتراقا وانتهابا
ومنه اتى شريشا في جموع ... ووافته محلته ايابا
فاوسعت الزروع بها اختصادا ... واوسعت الغروس بها احتطابا

اذاقت من شلوقة كل ربع ... وروضٍ من قناطرها عذابا
مدينتها وقلعتها بحير[1] ... اشاعوا في نواحيها الخرابا
وجهز للعدا منصور جيش ... ليترك دراهم قفرا يبابا
على اشبيلية اجرى خيولا ... فاوسع من بساحتها انتهابا
سبى منهم وغادر الفا علج ... تطارد عنهم الطير الذيابا
وءاب مظفرا وابو علي ... اخوه اتى وقد حمدوا الايابا
وجهز جيشه عمرو ووافى ... 2 ذوي مرقونة يحكي العقابا
ولم يترك بها احدا سوى من ... بها ينكب في الارض انكبابا
اتى بغنائم ملات عديدا ... بسيط الارض بل غطت شعابا
وجيش ابي معرف المعلي ... على اشبيلية حط القبابا
لمولد سيد الثقلين يشهد[3] ... له فيما سباه وما اصابا
اتى بغنيمة فيها سبايا ... واوصل من مراكبهم لبابا
بذاك اليوم سار ابو على ... الى برج فصيره خرابا
وغزوة مشقريط ليس تخفى ... فضائلها لقد حسنت مئابا
ولا انسى البروز على شريش ... فاهل البرج قد ذاقوا العذابا
فذاك اليوم اعظم يوم حرب ... رأيناه اذا ذكروا الضرابا
ويوم وصول مولانا المرجى ... ابي يعقوب اشرف واستطابا
هناك بروزا هل الدين ردت ... محاسنه على الدهر الشبابا

---

1 خ سحير 2 لعله ذرى 3 وقف عليه بالسكون ضرورة قبيحة

ولا انسى القناطر حين دارت بها الاسلام توسعها انتهابا
واهل شريش لما ان تراءى ولى العهد قد فرقوا ارتعابا
هنالك خصص المولى بجيش ابا يعقوب مولانا وحابى
باربعة من الالاف خيلا مسومة مظفرة عرابا
واجرى الخيل من كل النواحي على اشبيلية شرفا وغابا [1]
فلم يترك بتلك الارض خلقا اسارى او سبايا او سلابا
فتلك غنيمة ما ان سمعنا بهذا العام اكثرها انجلابا
وبعد اتى ابو زيان وافى شريشا بالبروز وما استرابا
بهذا اليوم جهزه بالف الى قرمونة وافى الصوابا
وجاء بزرعها وانحاز عنها الى اشبيلية ولها استنابا [2]
وقتل اهلها وسبى وولى حميدافي سرور من استطابا
ومولانا ابو يعقوب وافى شلوقة ثم حرقها ضرابا
الى كبتور اعمل حد عزم لو ان الهندمس به لذابا
احاط بربعها برا وبحرا فدمرها وصيرها يبابا
وخلف ارضها غبرا واضحت حمامة حسن مقناها غرابا
ولما دوخ المولى النصارى * * والبسهم من الذل الثيابا
ولم يترك بارضهم طعاما ولا عيشا هنيا مستطابا
واعوزه بها علف وطالت بها حركاته قصد الايابا

---

1 الشرف المكان العالي ويريد به جبل اشبيلية الكبير 2 لعله استتابا

وقد ظهرت لاسطول الاعادي ... علامات تزيدهم ارتيابا
يؤم الى الجزيرة رام منها ... يجدد غزوة تدنى الثوابا
الى اشبيلية ليبيد منها ... طغاة طالما عبدوا الصلابا
وينزلها يقيم بها شتاء ... يهدمها ويبقيها خرابا
فلما حل ربع طريف والى ... الى اجفانه الغر الكتابا
فيامر ان تجهز للاعادي ... اساطله فاسرعت الجوابا
فجهزها ووافت باحتفال ... وباشا منه رأس الكفر شابا
هنالك شنجة وافى شرشيا ... بليل ثم عاين ما ارابا
فوجه منه ارسال النصارى ... الى المولى ليسعفه الطلابا
يطالبه بعقد الصلح يعطي ... له ماذا اراد وما استجابا
ولم يقبل لهم قولا وءابت ... له الارسال حائرة خيابا
ولم يرددهم المولى سوى من ... حديث البحر لايربو ارتيابا
فغرب جيشه المنصور بحرا ... الى افروطة الكفر انسيابا
فلما برز الاسطول فرت ... جيوش الكفر في البحر انسرابا
وما الوت على متعذريها ... ولو سئلت لما ردت جوابا
فجاز الى الجزيرة في سرور ... يجدد غزوة تبدي العجابا
فوافته بها الارسال تبغي ... بعطفته من الصلح اقترابا
فاسعفهم بـه جازاه ربي ... على ءارائه الحسنى الصوابا
ويجعل فيه للاسلام طرا ... مصالحها التي ترد الطلابا

وذلك من امور قد حكاها لنا المولى واحصاها حسابا
فبادر شنجة في الصلح حتى تقرب من مدينته اقترابا
وجاء لقيله الاعلى واعطى هديات لمولانا رغابا
فكان هناك بينهما امور ينسيني السرور بها الخطابا
واسرع شنجة للعقد حرصا واظهر فيه للمولى ارتقابا
فتم الصلح بينهما لعذر مبين واضح والسر غابا
فهذي جملة والشرح عندي ساوضحه بايضاح كتابا
هنيئا يا مرين لقد علوتم * بني الاملاك بأسا وانتجابا *
وفاخرتم بمولانا البرايا فاعطوكم قيادا وانغلابا
ابعد الفنش وابن الفنش يبغي رضاكم لا يخاف به الغيابا
فحزب مرين حزب الله يحمي حمي الاسلام لا يخشى عقابا
اذا سلوا السيوف ترى الاعادي وقد حلوا الربى مدت رقابا
هم اشفار عين الملك تذري عن الملك القتام او الترابا
وهم مثل الانامل حيث مدت يد الامر التي تعطى الرغابا
مرين لقد مدحتكم فوفوا * لمادحكم ببيعته الثوابا *
وقد ورخت دولتكم وصارت حلى يحدو بها الحادي الركابا
وكل منظم شعرا سيفني ويبقى فيكم مدحي كتابا

ولابي العباس احمد بن علي المليانى المراكشي الكاتب صاحب علامة السلطان ابي يعقوب المريني:

العز ما ضربت عليه قبابي والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهر ما اهداه غصن يراعتي والمسك ما ابداه نفس كتابي
فالمجد يمنع ان يزاحم موردي والعزم يابى ان يضام جنابي
فاذا بلوت صنيعة جازيتها بجميل شكري او جزيل ثوابي
واذا عقدت مودة اجريتها مجرى طعامي من دمي وشرابي
واذا طلبت من الفراقد والسها ثارا فاوشك ان انال طلابي

وللاستاذ ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي صاحب علاه للسلطان ابي الحسن المريني:

ابت همتي ان يراني امروء على الدهر يوما له ذا خضوع
وما ذاك الا لاني اتقيت بعز القناعة ذل الخشوع

ولابي زيد المكودي:

نحن بنو مكود اهل التقى و الجود
نكر في الاعادي كرة الاسود

ولابي حامد الفاسي:

ومنكر فضلي ما ساءني بل سرني ما نفسه الزما
من انكر الشمس بصحو ضحى امضى على عينيه حكم العمى

وله مشيرا الى تجوله في البلاد وسكناه البادية:

اني وان كنت في اقصى البلاد فما استغنت حواضرها عني وعن اثرى
مثل التراجم لم توضع مواضعها لمانع الوقت فاستثبتن في الطرر

ولابي علي اليوسي يفاخر اهل فاس وكانت بينه وبينهم منافسة:

على رسلكم يا اهل فاس فانني ... فتى لست بالفدم الغبي ولا الغمر
انا الصارم الماضي ويارب نافث ... يحلق في البحث الاديم ولا يفري

وله ايضا

ابي امرؤ لا انثني غبنا ... يوم المصاع بصفقة الوكس[1]
واذا استطال البور من فرق 2 ... لا ينزوي خلدي على رجس
واذا الزمان أحال نائبه ... حالي عففت فلم يحل نفسي
واذا استطاب الهون محتسبا ... نذل فلست تراه في كاسي
أرعى الهبيد على الفنان اذا 3 ... كان الفرات يشاب بالكرس[4]
واذا استسمت الخسف في بلد ... يوما زممت لغيره عنسي
كل البلاد لذي الحجا وطن ... والناس كلهم بنو جنس

وللايب محمد بن احمد بن الشاذلي الدلاءي المتوفي سنة 1137

ما ان يعيبك فقد الحلي والحلل ... ان انت بالهمم الشماء كنت ملي
فضل من ظن ان المال يرفع ما ... اوهى السؤال بعرض فيه مبتذل
لا بارك الله بعد العرض في عرض ... الدنيا ولا نلت ما بالعز لم انل
ورب جاهلة هبت تعاتبني ... ان كنت عن غمر عيش موثر الوشل
قالت رأيتك ذا قول محبره ... ازهى من الروض غب الواكف الهطل
وفي الملوك له كفؤ فامهم ... حتى يعيدوك ذا خيل وذا خول

1 المصاع بالكسر المجالدة. 2 البور الفاسد من كل شيء. 3 الهبيد الحنظل.
4 الكرس بالكسر ما تبدد من البول والبعر

وان من كرمي بخلي بشعري عن ... تقريظ ذي كرم اودم ذي بخل
يابى اباءي وآباءي ويانف لي ... مجد اناف ولم يقنع على زحل
نفس الكريم تعاف الورد يصحبه ... ذل على ظمأ في الجوف مشتعل

☆☆☆

لوكنت سائل غير الله لم اسل ... غير المذاكي وغير البيض والاسل
ما شمت بارق عضب كنت شائمه ... الا انتجفت به احيا من السيل
لاترض بالعيش في ظل الهوان وخض ... لنيل عز غمار الموت والثكل
فليس يدرك بالجبن البقاء ولا ... الاقدام يقضي بمالم يقض في الازل
حلبت شطري صروف الدهر من عدم ... ومن يسار ومن صاب ومن عسل
فما بطرت لاثراء ولا حبسي ... بدت به خلة تنتاب من خلل
وكنت امابدالي من حلي عطل ... ألفيت من حلي فضل غير ذي عطل
وشي المهند يبدو فوق صفحته ... يغنيه عن شية الاغماد والحلل

ولابي حفص الفاسي:

قل لمن يعلو على النا ... س بآباء سراة
ليس من شأني فخار ... بعظام ناخرات
ما فخار المرء الا ... بعلوم زاخرات
وسجايا ومزايا ... وهبات وافرات
ونضال بنصال ... في مجال الغمرات
وجفان كالجوابي ... وقدور راسيات

وله ايضا

انيوان فانني صدر الزمان ففي ... رد على الصدر من ايامه العجز
اخوض في بحر افكار الاولى سلفوا ... واجتلى منه ما عن دركه عجزوا

وللاديب المجيد محمد بن الطيب سكيرج المتوفى عام1194 من خطه:

الا قل لغمر جاهل وحسود ... غبي بليد الطبع صلف جمود
ينافس في العلياء حبرا مهذبا ... له في مقام المجد خير شهود
لعمري لقد ارقيت نفسك للعلا ... بلا سلم اذ لم تبؤو بفريد
وحاولت امرا لست تعلم انه ... تمنع عن ذي منعة وعديد
فكم ظلت أسعى في رشادك علني ... اراك حذورا من شديد وعيدي
فها انا ذا مستجمع الفكر راكبا ... مطية فخر في مقام شهود
تيقظ لقولي واستمع كل حجة ... فانك يابن القن بيت قصيدي
وخذ من قرى الابطال ما انت طالب ... فلست على راجي الندا بشديد
ولا تأس ان ابصرت زلزال بارق ... تقدمه نكباء ذات خلود
وانك ما نبهت مني نائما ... فللطعن فاصبر واعتجر بضمود
فاما اكتساب المجد من عهد يعرب ... فما هو عن اسلافنا ببعيد
وأما العلا فاسئل ترى فضل أهلنا ... فكم حملوا للمصطفى من بنود
وأما رعايات الذمام فانها ... باذيالنا نيطت بغير جحود
وأما الندا فانظر بعينك حينا ... فان عيون المرء خير شهيد
تخبرك الانام عني حقيقة ... باننني في لخم أعز وليد

ذوي الحسب الموفور والحلم والتقى وكل فخار دائر وجديد
اذا برزت يوم طلائع حزبهم ترى العز يومي نحوها بسجود
تراهم لدى الهيجاء اسدا فواتكا وفي السلم سباقا لكل مشيد
تهابهم الاسد القواصم في الوغى ويالفهم في السلم كل وليد
اكفهم تجري على كل حالة بحرب وسلم من ندى وجسيد

اه

الباب الثاني

في الغزل والنسيب والشوق

قال محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي عرف بابن الكتاني المتوفي سنة 515

وما ابقى الهوى والشوق مني ... سوى نفس تردد في خيال
خفيت عن المنية ان ترانى ... كان الروح مني في محال

وقال ابن حبوس (وتنسب لابن باجة)

اسكان نعمان الاراك تيقنوا ... بانكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا باقوام اذا استومنوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض اي فيه اجفان
وهل جردت اسياف برق سمائكم ... فكانت لها الا جفوني اجفان

وقال علي بن يقظان السبتي (من اهل القرن السادس)

أاخواننا ما حلت عن كرم العهد ... فياليت شعري هل تغيرتم بعدي
وكم من كؤوس قد ادرت بودكم ... فهل لي كأس بينكم دار في ودي

وقال القاضي عياض

أقول وقد جدار تحالي وغردت ... حداتي ورمت للفراق ركائبي
وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتي ... وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم تبق الا وقفة يستحثها ... وداعي للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا وسقى رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد الفته طليق المحيا مستلان الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا معاهد جار او مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم كاني في اهلي وبين اقاربي

وقال الامير ابو الربيع سليمان الموحد

اقول لركب ادلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى ازور ركابها
واملا عيني من محاسن وجهها واشكوا اليها ان اطالت عتابها
فان هي جادت بالوصال وانعمت والا فحسبي ان رأيت قبابها

وقال ابن عبدون المكناسي:

يا جيرتي ومن استجرت بهم من جور عزهم على ذلي
عوضتموني بالوداد قلى وأبدلتموا الانصاف بالمطل
وشغلتم بالي بهجركم ووباله عن كلما شغل
ما هكذا فعل الكرام بمن منهم تعود اجمل الفعل
علقت حبل محبتي بكم بحياتكم لا تقطعوا حبلي
ما كان اندى ظل عيشتنا اذ كان منتظما بكم شملي
اذ نجتني ثمر المنى ذللا في روض انس وافر الظل
عودوا الى عادات وصلكم لا تحرموني لذة الوصل
حاشاكم والفضل شيمتكم ان تعقبوا الاخصاب بالمحل
واذا ابيتم غير جوركم فالجور منكم غاية العدل

ان شئتم قتلي فهـا انا ذا لا تحذروا من طالب ذحلي

وقال ابو العباس الجراوي

وبين ضلوعي للصبابة لوعة بحكم الهوى تقضي علي ولا اقضى
جنى ناظري منها على القلب ماجنى فيامن رأى بعضا يعين على بعض

وقال مالك بن المرحل

تملكتم عقلي وطرفي وسمعي وروحي واحشاءي وكلي باجمعي
وتيهتموني في بديع جمالكم فلم ادر في بحر الهوى اين موضعي
واوصيتموني لا ابوح بسركم فباح بما اخفي تفيض ادمعي
فلما فنى صبري وقل تجلدي وفارقني نومي وحرمت مضجعي
شكيت لقاضي الحب قلت احبتي جفوني وقالوا انت في الحب مدع
وعندي شهود بالصبابة والاسى يزكون دعواي اذا جئت ادعي
سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي ووجدي وسقمي واصفراري وادمعي
ومن عجب اني احن اليهم واسئل شوقا عنهم وهم معي
وتبكي دماعيني وهم في سوادها وشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي

وقال وملح في ذكر ساق حر وهو ذكر القماري

رب ربع وقفت فيه وعهد لم اجاوزه والركائب تسري
أسأل الدار وهي قفر خلاء عن حبيب قد حلها منذ دهر
حيث لا مسعد على الوجد الا عين حر تجود او ساق حر

وقال الامير عمر المرتضى الموحد:

ذليل دمع مقلته دليل على ان الحشا فيها غليل
الم بباكم يبغي شفاء لداء البعد فهو له قتيل
انيلوني رضا منكم وقربا وحاشا مجدكم ان لاتنيلوا
لئن قطعت سبيل الوصل عني خطوب شرحها عندي يطول
فشافع ما اقترفت هوان ذلي وأعظم شافع اني ذليل
فحسبي انني عبد قطوع وحسبك انك المولى الوصول

وقال الوزير عبد المهيمن الحضرمي

نفسي الفداء لعهد كنت اعهده وطيب عيش تقضي كله كرم
وجيرة كان لي انس بوصلهم والانس افضل ما في الوصل يغتنم
كانوا نعيم فؤادي والحياة له فالان كل وجود بعدهم عدم
بانوا فعاد نهاري كله ظلما وكان قربهم تمحى به الظلم
والعين مني لا ترقا مدامعها كانها سحب تهمى وتنسجم
تبكي عهود وصال منهم سلفت كانما هن في انسانها حلم
لئن ضحكت سرورا بالوصال لقد بكيت حزنا عليهم والدموع دم
هم علموني البكا ما كنت اعرفه ياليتهم علموني كيف ابتسم

وقال ابو عبد الله المكودي

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي هوى اكابد منه حرقة الكبد
حللت عقد سلوى عن فؤادي اذ حللت منه محل الروح من جسدي
مرآك بدري وذكراك التذاذ فمي ودين حبك اضماري ومعتقدي

ومن جمالك نور لاح في بصري ... ومن ودادك روح حل في خلدي
لا تحسبن فؤادي عنك مصطبرا ... فقبل حبك كان الصبر طوع يدي
وهاك جسمي قد اودى النحول به ... فلو طلبت وجودا منه لم تجد
بما بطرفك من غنج ومن حور ... وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد ... حابيت بعضهما فاعدل ولا تحد
فقال لي قد جعلت القلب لي وطنا ... وقد قضيت على الاجفان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم ... وحكمه قط لم يعدل على احد
من لي باغيد لا يرثي لذي شجن ... وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كنت من قبل اذعانى لسطوته ... أخال ان الرشا يسطو على الاسد
ان جاء بالوعد لم تصدق مواعده ... فان قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته علتي منه فقال: الا ... سر للطبيب فما برء الضنا بيدي
فقلت ان شئت برءي او شفا الممي ... فبار تشاف لماك الكوثري جد

وقال:

غرامي فيك جل عن القياس ... وقد اسقيتنيه بكل كاس
ولا انسى هواك ولو جفاني ... عليك اقاربي طرا وناسي
ولا ادري لنفسي من كمال ... سوى اني لعهدك غير ناس

وقال ابو العباس الجزناءي

اعلمت ما صنع الفراق ... غداة جد به الرفـــاق
ووقفت منهم حيث للنـ ... ـظرات والدمع اتساق

سبقت مطاياهم فما ابطا بنفسك في السباق
أأطقت حمل صدودهم البين خطب لا يطاق
عن ذات عرق اصعدوا أتقول دارهم العراق
ما ضرهم وهم المنى لو وافقوا بعض الوفاق
ويتامنوا عسفان ان يقفوا بمجتمع الرفاق
قالوا تفرقنا غدا فشغلت عن وعد التلاق
عمدا رأوا قتل العميد فكان عيشك في نفاق
اولى بجسمك ان يرق ودمع عينك أن يراق
اما الفواد فعندهم دعه ودعوى الاشتياق
اعتاد حب محلهم فرحيب صدرك عنه ضاق
واها لسالفة الشباب مضت بايام الرقاق
ابقت حرارة لوعة بين الترائب والتراق
لا تنطفي وورودها من ادمعي كأس دهاق

وقال:

يا موحشي والبعد دون لقائه ادعوك عن شحط وان لم تسمع
يدنيك مني الشوق حتى انني لاراك رأي العين لولا أدمعي
وأحن شوقا للنسيم اذا سرى بحديثكم وأصيخ كالمستطلع
كان اللقاء فكان حظي ناظري وسطا الفراق فصار حظي مسمعي
فابعث خيالك تهده نار الحشا ان كان يجهل من مقامي موضعي

وقال

ايجمع هذا الشمل بعد شتاته ... ويوصل هذا الحبل بعد انبتاته
اما لليالي اية عيسوية ... فتنشر ميت الانس بعد مماته
ويورد عيني بعد ملح مدامعي ... برؤيته في عذبه وفراته

وقال الرئيس ابو العباس العزفي

لكم حمى في فوادغير مقروب ... فضائع في هواكم كل تانيب
ان كان ما ساءني مما يسوكم ... فعذبوا فقد استعذبت تعذيبي
عودوا الى الوصل اوعودوعليلكم ... وبادروا فرضاكم طب مطبوب
كم ارسلت أدمعي تترى بصدقي في ... دعوى هواكم فقابلتم بتكذيب
ولاذ بالصبر قلبي حين غالبني ... شوقي كما لاذ غالب بمغلوب
لولا الحبيب الذي ينأى بنأيكم ... ما كان قربكم عندي بمحبوب
ولا تشكت جيادي ما أضر بها ... من طول ركض واستادو تاويب
بي منكم رشا لولا لواحظه ... ما كان قلبي من صدري بمسلوب
اذا بدا خرت الالحاظ ساجدة ... لنوروجه بتاج الحسن معصوب
تخال حبة قلبي خاله ابدا ... يصلى بجمر على خديه مشبوب
سالت عقارب صدغيه وحف بها ... حيات وحب مع الاذيال مسحوب
تجني القلوب فتجني وردوجنته ... فتنثني بين مسلوع وملهوب
رياض حسن رماح الهدب مشرعة ... للذب عنها بطعن غير تدبيب
فيها مصارع للعشاق دامية ... فكلهم بين مطعون ومضروب

وقال

ملكت رقابى بالجمال فاجمل ... وحكمت قلبي باعتدائك فاعدل
أنت المليك على الملاح ومن يجر ... في حكمه الا جفونك يعزل
ان قيل أنت البدر فالفضل الذي ... لك بالكمال، ونقصه لم يجهل
لولا الحظوظ لكنت انت مكانه ... ولكان دونك في الحضيض الاسفل
عيناك نازلة القلوب فكلها ... اما جريح او مصاب المقتل
هزت ظباها بعد كسر جفونها ... فاصيب القلب في الرحيل الاول
مازلت اعذل في هواك ولم يزل ... سمعي عن العذال فيك بمعزل
أصبحت في شغل بحبك شاغل ... عن أن اصيخ الى كلام العذل
لم اهمل الكتمان لكن ادمعي ... هملت ولو لم تعصني لم تهمل
ماني الدبور ولا الجنوب جواب ما ... أهدي اليك مع الصبا والشمأل
حملهما من طيب عرفك نفحة ... تحيي ذماء عليك المتعلل
ان كنت بعدي حلت عما لم احل ... عنه وقد اهملت ما لم أهمل
او حالت الاحوال فاستبدلت بي ... فانا بحبي فيك لم أستبدل

وقال

لي في سبتة سكن ... حبه في الحشا سكن
فهو يزداد جدة ... مع ابلائه الزمن
اصبح القلب عنده ... وبغير ناطة البدن
ان هاروت لو رآى ... سحر الحاظه افتتن

رشأ سحر بابـــــل بين عينيه قد كمن
زارني والرقيب قد غاب والليل حين جن
بعد بعد حنى الضلوع على الشجو والشجن
فشهدنا على نكاح - ابن مزن ببنت دن
ونعمنا الى الصباح كروحين في بدن
وسكرنا فظن خيرا بنا واترك الظنن

وقال

وعدتني ان تزور يا املي فلم ازل للطريق مرتقبا
حتى اذا الشمس للغروب دنت وصيرت من لجينها ذهبا
انست بالبدر منه حين بدا لانه لو ظهرت لاحتجبا

وقال

هجركم ما لي عليه جلد فاعيدوا لي الرضا او فعدوا
ما قسا قلبي من هجركم ولقد طال عليه الامد

وقال ابن هانيء السبتي موريا

ما للنوى مدت لغير ضرورة ولطالما عهدي بها مقصورة
ان الخليل وان دعته ضرورة لم يرض ذاك فكيف دون ضورة

وقال ابو القاسم الشويف

زارت باكرم ليلة وفى بها حق الزيارة زائر ومزوز
تتطارح الشكوى وقد شرد الكرى عنا فننجد في الهوى ونغور

ثم انجلى الاصباح فالتفتت كما يرنو غزال الربرب المذعور
حتى اذا قامت تمد بنورها متبلج الاصباح حين ينور
طار الفؤاد فصرت أعجب وهو في شرك الهوى قد صيد كيف يطير

وقال

ظفرت بلثمها فبدا احمرار بوجنتها يزيد القلب وجدا
فاغراها بي الواشي فظلت تلوم ولم اكن من تعدى
فما كانت سوى قبل بفيها جنين اقاحيا وغرسن وردا

وقال

غزال انس كم استدنيته فنأى عني وأعرض منزورا بجانبه
طالت علي ليالي في هواه كما طالت عليه ليال من ذوائبه

وقال القاضي أبو عبد الله ابن طاهر الهواري في مليح شريف هذا الموشح:

شاده بالغرام يستفز الغريم
وصله لا يرام والهوى لا يريم
أغيد لا يقيل بهجتي بالمقل
وبطرف كحيل حل فيه الكحل
وبخد اسيل فوق غصن الاسل
بخله بالسلام اضنى قلبي السليم
ليته بالكلام احيا صبا كليم
وحشة الهاشمي صيرتني هشيم

من غدا لائمي في هواه لئيم
ايها الفاطمي صل محبا فطيم
لحظه كالحسام لفؤاد حسيم
مظهر بابتسام در ثغر بسيم

وقال السلطان ابو العباس بن ابي سالم المريني

اما الهوى يا صاحبي فالفته وعهدته من عهد ايام الصبا
ورأيته قوت النفوس وحليها فتخذته دينا الي ومذهبا
ولبست دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طراز مذهبا
لكن رأيت له الفراق منغصا لا مرحبا بفراقنا لا مرحبا

وقال يحيى ابن خليل من اهل فاس توفى سنة 750

عسى الايام ان تدني نزوحا وتشفي بالكرى جفنا جريحا
وتبدي لنا التنائي بالتداني وتبري باللقا قلبا قريحا
عساه أن يلم به خيال يزيل السقم والمرض الصحيحا
فداء الهجر ليس له دواء سوى وصل الاحبة ان اتيحا
لقد بلغ المنى من واصلوه ونال الفوز والتجر الربيحا
فهل من منصف من حكم دهر غدا جورا بوصلكم شحيحا
أعد يا صاح ذكره وصف لي حديثا عنهم كي استريحا
وقل هل حافظوا عهدي وراعوا ودادا أم نسوا ودا صحيحا
فذكرهم منى قلبي واني اذا بصري رأى برقا لموحا

احن لارضهم ويزيد شوقي ... اذا ما شمت من نعمان ريحا
ولو اني شكوت الى جماد ... لحق له لحالي أن ينوحا
الا سقيا لايام تقضت ... عذولي كان لي فيها نصيحا
وكنا لم نرى في الحب هجرا ... ولم ندر البعاد ولا النزوحا
ولم نشك النوى حتى رمتنا ... باسهمها على قدر اتيحا
فنشرت انتظام الشمل منا ... واصبح ربعهم ربعا طروحا
ايا من قد اذاب الجسم هجرا ... ترفق قد اتيتك مستميحا
وقد اقررت مولاي فكن لي ... بما عودتني مولى صفوحا
وداو ببرغم حسادي جفونا ... بكت بعد الدموع دما سفوحا
ولازمت البكا والسهد لما ... ابى شوق الاحبة ان يروحا

وقال القائد عبد الرحمن القبائلي المتوفي سنة 802

اتسمع في الهوى قول اللواحي ... وقد ابصرت خشف بني رباح
غزال خلف الصب المعنى ... من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت - ولا اثم عليها - ... مراض جفونه كل الصحاح
يقول ولحظه بالقلب ينزري ... علام تطيل وصفي وامتداحي
فقلت فنون حسن فيك راقت ... قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك والمقلد والثنايا ... صباح في صباح في صباح

وقال ابن جابر المكناسي

تالله بعد احباءي الذين مضوا ... ورخلفوني رهين البث والشجن

ما أبصرت مقلتي من بعدهم حسنا ولا نظرت الى شيء فاعجبني

وقال موريا:

ان خفت من فتك المهند والقنا فاذا رنت واذا مشت لا تقرب

في قلب برقعها محاسن انزلت قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال

حلت عقارب صدغه من خده قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها فمن العجائب كيف حلت فيه

وقال الاستاذ منديل ابن الاستاذ ابن ءاجرم

يا غائبا سلبتني الانس غيبته كيف اصطباري وقد كابدت بينهما

دعواي انك في قلبي يعارضها شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

وقال السلطان المنصور الذهبي

من عنبر الشحر اومن مسك دارين بلى ومنه نسيمات الرياحين

مهفهف ان تثني قلت مقتضب من قضب نعمان أو من كثب يبرين

ذنبي اليه - ولا ذنب - محبته من اجلها بسهام اللحظ يرميني

وقال:

أقام بقلب في هواه مقلب وانى له بين الضلوع مقام

فيا شادنا مرعاه حبة مهجتي اما لحشا اقمت فيه ذمام

وقال عبد العزيز الفشتالي:

حين أزمعت عند خوف البعاد وعدتني من الفراق العواد

قال صحبي وقد اطلت التفاتي اي شيء تركت قلت فؤادي

وقال ابو عبد الله الوجدي الكاتب المتوفى 1033

لبس الصفرة كي يزهو بها شادن من جنة الخلد نفر
خلته من حسنه لما بدا هالة الافق بوسطاها القمر

ولابي سالم العياشي

ولم انسها يقظانة الهم في الحشا مبلبلة الاشجان وسنانة الطرف
تقول وقد جد الرحيل اهكذا تحملني ثقل الفراق على ضعفي
اتترك افراخا كرغب القطا وما رحمت بنيك اذ سلوت عن الالف
فقلت لها كفي الملام فاعرضت كخشب النقا تستعرض الدمع بالكف
فودعتها والقلب منطبق على اساه ودمعي لا يمل من الوكف
عليك سلام لا زيارة بيننا مع البعد الا ان ازور مع الطيف

وقال احمد بن عبد الواحد الشريف المتوفى 1009

من منقذي من شادن فاتن يوثره البدر على نفسه
اذا انتضى من لحظه مرهفا ما اقرب الانسان من رمسه

وقال ابو علي اليوسي

الا ليت شعري هل ارى من ثنية عضاها كصفوف الكتائب تشرف
وهل اردن من سلسبيل موارد هنالك لمعسول المباسم ترشف
وهل ارين مضنى الدلاء عشية كان بقاياها بناء مفـــوف
ذكرتكم وهنا واني لمدلج بأجواز اقطار الصحاري اطوف

فقلت وقلبي ضمن شجوو لوعة ... وجفني بمنثور الجمان يكفكف
اذا راسقيت الوبل غير مبرح ... ولا برحت عنك الحوادث تصرف
لقد هجت في القلب العميدصبابة ... تكاد لها صم الجبال تعصف

وقال موريا

وعادل عن الهوى عاذل ... يدعو لامر في الهوى امر
قال اسلهم واصبر فكم ذائق ... امر في الهجر من الصبر
وزع عنان القلب عما جرى ... عليه من بلواء او يجري
فاي عذر في اتباع الصبا ... قلت له ان الهوى عذري

وقال ابن زاكور

يارعي الله ليال قد خلت ... كلئال في سلوك من نضار
وعهود سلفت لي بالحمى ... فسقى الوبل الحمى غير مضار
حيث لا هم ولا غم سوى ... رنة العود وكاسات تدار
من عقار كنضار أفرغت ... في اباريق حكت شهب الدرار
عللوا قلب الشجى من شربها ... ما احيلى الشرب من تلك العقار
مع ظباء كلف القلب بهم ... سمحوا بالوصل من بعد نفار
في رياض كزراب نمقت ... بشقيق كعقيق وبهار
أأرى احظى بوصل بعد ما ... بعدت من طاقتي تلك الديار
فعلى ءارامها من مدنف ... شائق نشر سلام كالعرار

وقال مجنسا

ذاب قلبي من الصدود ولولا ما أرجى من الوصال قضيت
ليت شعري وهل يرق لحالي من هويت فانني قد هويت

وقال

ولقد ذكرتك بالربى من (لمطة) ونسيمها يهدي الى اريجا
فاهتاج ريح الشوق بين اضالعي يذكي لظى وجدي فاج اجيجا

وقال

ذكرتك والبحر طلق المحيا على متنه رونق وابتهاج
فثاض سريعا يحاكي فؤادي لا مواجه لدد وانزعاج
الا ليت شعري يجمعنا بلاد له من سناك سراج

وقال ابن الطيب العلمي

اشكو الى الله لا الى احد غم الفراق الذي على كبدى
وما اكابد فيه من تعب لقد خلقنا الانسان في كبد
غاب الذي غبت في محاسنه وسار من بلد الى بلد
قطعت عنه يد الوفا فنأى يا للورى بيدي قطعت يدي
بدر بافق القلوب مطلعه يفتر عن درر وعن برد
رويت عن ثغره النظام الى ان شخت بين الروى والوتد
ولي لسان يزينه لسن اكاد فيه أقاس بالصفدي
ظلت دموعي في الخد مطلقة يوم الوداع والقلب في صفد

يقول ان قلت مت من شغف ما ان ارى للقتيل من قود

وقال

تفتح ورد يانع فوق خده الا فانظروا وردا تفتح في الخد
وفي ثغره ورد منعت ورده وماضره لو جاد بالورد والورد

وقال

ياطلعة البدر في ليل من الشعر يا فتنة خلقت في صورة البشر
ارحم شهيدا له في الحب معترك بين المباسم والالحاظ والطرر

وقال الاديب ابو عبد الله الشرقي صاحب العلمي

من لي بها تختال في حليها كروضة تختال في زهرها
فبشرها ارحب من بشرها ونشرها اطيب من نشرها
وخدها ابهج من وردها ونورها الطف من نورها
وقدها ارفع من غصنها ووجهها ابيض من فجرها
العيش والجنة في وصلها والموت والنيران في هجرها
عاطيتها راحا مشعشعة كمثل ياقوت على نحرها
راح اراح الانس فكري بها من شارة الدنيا ومن شرها
وهي في مجلس افراحها كانها الزباء في قصرها
لو تسعد الدنيا بزورتها لاصطلح الناس على شكرها

وقال

بعث الحبيب كتابه ليعودني ويرى اكتئابي بعده وهيامي

فكانما امر الفؤاد بضلة والحفن ان لا يهتدي لمنام

وقال وهو تلخيص بديع لقصة الحب من اولها الى اخرها

بدء الغرام مجون وبعد ذاك شجون
والحب نفع وضر وجنة وجنون
وراحة وبلاء ومنية ومنون
فاحفظ فؤادك منه فما هناك امين
اولا فمت به وجدا فالموت فيه يهون

وقال الوزيري ابن ادريس

سحرتك بالطرف الكحيل الساحر وبحسن قد كالقضيب الزاهر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب كد جنة فاعجب لحسن باهر
وبنقطة مسكينة في وجنة وردية ذات الاريج العاطر
وبريقها المعسول الا انه يشفي الحشا من كل داء ضائر
ريق اعز على من نيل المنى والذ من رشف الرحيق لخاطري
ما ذاوكم اوقعتني في حسرة وجلبت لي من شقوة يا ناظري
ولكم جمحت بتيه ميدان الهوى فاين جيش قواضب وبواتر
وتركتني في حي ليلي مثخنا بظبى ظباء لم اجد من ناصر
يا سعد هل لي في الهوى من مسعد بشفا شفاه اللعس تحت غدائر
ام هل بنجد هو اهم من منجد لمتيم في حاجر بمحاجر
فتكت عيون العين في احشائه بشفار الحاظ رمت بخناجر

وسطت عوامل قدهن بقلبه ... فغدا اسير عوامل ونواظر
او ثقنه بجبال وعد مخلف ... وشددن اسر وثاقه بمعاذر
نفسي الفداء لظبية فتانة ... فتاكة بشفار شفر فاتر
نامت نواظرها وقد سلبت كرى ... طرفى بطرف بابلي ساحر
وغدا الجمال باسره في اسرها ... والسحر أيد جنده بعساكر
فاذا يدت سجد العيون لحسنها ... تسبيحها سبحان ربي الفاطر
وترى القلوب خواشعا لجمالها ... مكسورة من كسر طرف كاسر
شمس على غصن تكون في نقا ... من تحت ليل ذوائب وغدائر
نصبت قسى حواجب موتورة ... بالسحر ترمى كل صب ناظر
فكانما هاروت عن اجفانها ... يروي فيسند ساحر عن ساحر
ورعت رعاها الله في ربع الحشا ... حب القلوب ولم تخف من زاجر
غيداء قد ورثت محاسن يوسف ... ناهيك من حسن بهى باهر
وتوطنت بالمنحنى من اضلعي ... ومحصب الاحشا رمت من حاجر
فغدوت ما بين الانام متيما ... بجمالها ومهيما في سائر
وغدا عذولي عاذرا في حبها ... فاعجب لعاذل ذي غرام عاذر
كم من عذول في الهوى ومكاشح ... غابت شواهده بوجه سافر
ولكم رقيب في الهوى الفته ... بالشعر حتى عاد عند أوامري
ولكم نظمت سلوكه في غادة ... فاقت قلائده بدر فاخر
ولكم ليال قد جلوت فريدة ... والكاس نجم في سماء أزاهر

ومديرنا رفع العقيرة منشدا قطعا الذمن المدام الدائر
يشدو فيبد والدر من أصدافه ثغر وشعر مع عقود جواهر
سقيا لايام الوصال وقربها وزمان أنس بالاوانس زاهر
اني لاذكره فاحسب انني من كثرة الاشواق بين محاضري
وأقول للايام هل من عودة لزماننا الماضي بوصل حاضر
فعساه يظهر لي المتاب بعودة ويكفر الماضي بحسن الاخر

وقال

الا خبروا ذات الخلاخل والقرط باني ملك للجمال بلا شرط
لقد اودعت قلبي وحقك لوعة غداة غدت بين الوشاحين والمرط
تميس كخوط البان غازله الصبا وتسفر عن بدر وتفتر عن سمط
رمتني بسهم الغنج عن قوس حاجب فاصمت فؤاد المستهام ولم تخط
وما كان بدء الحب الا بنظرة وتبتدي النيران من ضرم السقط
عجبت لها مذورد الحسن خدها وزينه كف المحاسن بالنقط
وحلت بقلب المستهام واهلها بذات الغضا مابين نعمان والشقط

وقال في سرب نساء تعرضت للسلطان ببلاد زمور

اظباء زمور سلبتم مهجتي بقنا القدود وصارم اللحظات
وهتكتم بالقهر حصن تنسكي بجيوش حسن خريدة ومهاة
شنت عليها بالنواظر غارة فاخذتم الالباب في الثارات
كفوا لحاظكم الكحيلة واردوا اسلاب ألباب على المهجات

او لا ابيحوا للشفاه شفاءها ولتستحلوا لثم ثنى الوجنات
قالت افي شرع الغرام تحكم أرأيت من حكم على الفتيات
نحن الملوك على الملوك وانما احكامنا بالقهر والغلبات
الجور عدل عندنا والظلم حق بيننا والذنب كالحسنات

وقال القاضي ابو عبد الله بن طاهر الهواري وهو من تبديل القلب

قد سبى عقلي معسول اللما باللما المعسول عقلي قد سبى
عذب القلب اختيارا بالهوى بالهوى القلب اختيارا عذبا
قد ابى الوصل ولكن ارتجي ارتجي الوصل ولكن قدابى

وقال

لا تعب لاواستجد انشاءها ولتكن مثلي ممن شاءها
قلت يوما للذي تيمني تبتغي هجري فقال «لا أها»(1)

وقال

ومجرد قد لاح وسط الماء متلألا كالدرة البيضاء
أبدى لنا من ردفه دعص النقا والخصر اخصر ما يراه الراءي
يطفو ويرسب والمحاسن تجتلى بتخالف الاوضاع والانحاء
عوذته كي لا يصاب باسهم من أعين النظار والرقباء

وقال الاديب ابو العباس احمد بن الرضي بن عثمان المكناسي

هوى يعلو فاخفضه اصطبارا فما يزداد بي الا اوارا

(1) اها كلمة عامية تاتي بعد لا للتبري والانكار

واضرب عن حديث الحب صفحا ... فتستهويني الذكرى ابتكارا
لبست الحب فوق العظم جلدا ... وقيس حازه ثوبا معارا
فان تعجب ففي أمري عجيب ... يرى اهل الهوى فيه اعتبارا
اليس الدمع يبردهم غليلا ... فما للدمع لي يزيد نارا
ولو كالشمس او كالبدر اضحى ... محيا من هويت لقلت زرا
ولكن فيه عين الشمس غابت ... واما البدر أبصره فحارا
تعالى الله كم أهدى بسهم ... من الاهداب للكبد انفطارا
ولج العاذلون فاوسعوني ... غداة رأوا لواحظه اعتذارا
ابيت وكل من يهوى يبيت في ... ضيوف الحب يقريه الجمارا
افكر في مباسمه التي من ... يضل يقول جهلا واغترارا
ثغور ام لآلي الدر تندى ... اجاد النسق ناظمها جوارا
جرت انهار كوثرها رضابا ... ولو حققت قلت جرت عقارا
اغصنا مال بالالباب منا ... فنرجو الوصل يطلعه ثمارا
اكلفت الرياض تنوب نشرا ... فقد اعيا الميامن واليسارا
وما اغنى غناءك في كفاء ... يسابق غصن بانك حيث سارا
متى اشمم عذارا في اصيل ... فافضح رند نجد والعرارا
فتحظى بالمنى منا نفوس ... ترى اذلالها فيك افتخارا

وقال

استر جمالك عنا ايها القمر ... لايفتنن الورى من لحظك الحور

أماسمعت خطيب الناس خاطبهم من فوق منبره اذ حفت الزمر
ان حاذروا كل من يسطو ببهجته فانما أصل داء العاشق النظر
فراقب الله واضرب بالنقاب على ذاك البهاء الذي حارت به الفكر

وقال أبو حفص الفاسي

خليلي ما للخال خط على اليد وعهدي به يسمو بخد مورد
ويعلو بفرط الكبر فانحط رتبة وشان ذوي الكبر الرجوع الى اليد

وقال ابو عبد الله الطيب بشير الرباطي المتوفي سنة 1271 نسبها له في تاريخ مكناس ولست متاكدا منها:

حرك الوجد في هواكم سكوني وعليكم عواذلي عنفوني
خلفوني في الحي ميتا طريحا وعلى النوم بعدهم حلفوني
ان انا مت في هواكم شهيدا بدموعي بحقكم غسلوني
ولروض العشاق سيروا بنعشي فهم جيرتي بهم انعشوني
ثم نادوا الصلاة هذا محب مات بين لوعة وشجون
واشرحوا للورى قضية حالي علهم عند ذكرها يرحموني

وقال السيد الحراق المتوفي سنة 1261 وهو من شعر الاشارة:

احبتنا ان الغرام اصابني وغيبني حتى تحيرت فيكم
فان رمت نوما فارق النوم مقلتي وان رمت بسطا خفف سلواي عنكم
وان كنت من اهلي قريبا اخاف ان تروا من محب حالة البعد منكم
وان كنت ناء عنكم خلت انني اقصر عن نهم العبيد لديكم

على كل حال ليس في الحب راحة اموت شهيدا والسلام عليكم

وقال

اتت الدجى كي لايراها رقيبها ويخلص من شر الوشاة حبيبها
فنم بها اشراق نور جمالها وأخبر عنها اذ تضوع طيبها
فوالله لايخلو بها غير عاشق رقيق المعاني في الامور لبيبها
فتى فبدت في موضع الوصل وحدها ولما يكن شيء هناك يريبها

وقال

أماطت عن محاسنها الخمارا فغادرت العقول بها حيارى
وبثت في صميم القلب شوقا توقد منه كل الجسم نارا
وألقت فيه سرا ثم قالت أرى الافشاء منك اليوم عارا
وهل يستطيع كتم السر صب اذا ذكر الحبيب لديه طارا
به لعب الهوى شيئا فشيئا فلم يشعر وقد خلع العذارا
الى أن صار غيبا في هواها يشير لغيرها ولها اشارا
يغالط في هواها الناس طرا ويلقي في عيونهم الغبارا
ويسئل عن معارفها التذاذا فيحسبه الورى ان قد تمارى
ولو فهموا دقائق حب ليلى كفاهم في صبابته اختبارا
اذا يبدو امرؤ من حب ليلى يذل له وينكسر انكسارا
ولولاها لما اضحى ذليلا (يقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا)

الباب الثالث في الوصف

للفقيه القاضي ابي الحسن بن رنبـاع من اهل طنجة ومن رجـال القلائد يصف الربيع

ابدت لنا الايام زهرة طيبها ... وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الارض بعد خشوعها ... وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها ... من بعد ما بلغت عتى مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم ... فبكت لها بعيونهـا وقلوبهـا
فعجبت للازهار كيف تضاحكت ... ببكائها وتباشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيولهـا ... من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد اجاد المزن في انجادها ... واجاد حر الشمس في تربيبها
ما انصف الخيري يمنع طيبه ... لحضورها وبهيجه لمغيبها
وهي التي قامت عليه بدفئها ... وتعاهدته بدرها وحليبها
فكانـه فـرض عليـه موقت ... ووجوبه متعلق بوجوبها
وعلى سماء الياسمين كواكب ... ابدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقت ليلهـا ونهارهـا ... وتفوت شأو خسوفها وغروبها
فضلت على سر النجوم باسرها ... وسروها في الخلفتين وطيبها
فتارجت ارجاؤها بهبوبهـا ... وتمانقت أزهـارها بنكوبها
وتصوبت فيها فروع جداول ... تتضاعد الابصار في تصويبها

تطفو وترسب في اصول ثمارها والحسن بين طفوها ورسوبها
فكانما هي موجسات اساود تنساب من انقابها (1) لنصوبها
بادر كؤوس الانس في حافاتها واجعل سديد القول من مشروبها
فحديث اخوان الصفاء لذاذة تجنى وبومن من جناية حوبها
واركض الى اللذات في ميدانها واسبق لسد ثغورها ودروبها
اعريت خيلك صيفها وخريفها وشتاءها هذا او ان ركوبها
او ما ترى الازهار ما من زهرة الا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها تلقى فنون الشد وفي اسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كانما حركاتها رقص على تطريبها

وللقاضي عياض في خامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليها ريح:

انظر الى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

ولابن عبدون المكناسي يصف نهرا وردته حصابة طير:

قم انظر النهر في انصبابه كانه الطل في انقلابه
قد انتحته ظماء طير مقتحمات على جبابه
تنقع من مائه اواما وتلقط الحب من حبابه

وله في المشيب

لما تراءت لمشيب بمفرقي شهب اغرن على شبابي الادهم

---

(1) ـ جمع انصب وهو الشق في الجبل ونحوه

ابدى التجهم من أحب امادرى أن الديباجي حسنها بالانجم

وله في مدينة مكناس

ان تفتخر فاس بما في طيها وبأنها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها والاطيبان هواؤها والماء

ولابن جابر المكناسي فيها:

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت ايدي الزمان رسومها فلربما ابقت هناك حروفا

ولابي العباس الغرفي في صفة ليلة:

وكم ليلة نلت فيها المنى وبات لي الحب فيها نجيا
اذا ظل لحظي في جنحها هدت وجنتاه الصراط السويا
اراع فاسئل عن صبحها فيرجع لي جنحها نم هنيا
الى ان بدا لي سرحانها يحاول للجدي فيها رقيا
فيالك من ليلة بتها انادي بدر دجاها البهيا
حكت ليلة السفح في حسنها فاصبحت احكي الشريف الرضيا(1)

ولمالك بن المرحل يصف قصر الليل

وعشية سبق الصباح عشاءها قصرا فما امسيت حتى اسفرا
مسكية لبست حلى ذهبية وجلا تبسمها نقابا احمرا
وكان شهب الرجم بعض حليها عثرت به من سردعة فتكسرا

(1) يشير الى قوله:

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية مسقى زمانك هطال من الديم

وله في وصف سبتة:

اخطر على سبتة وانظر الى جمالها تصب الى حسنه
كانها عود الغناء وقد ألقى في البحر على بطنه

ولابى القاسم الشريف يصف دولابا:

وذات حنين تستهيل دموعها سجاما اذا يحدو ركائبها الحادي
تعجبت ان ليست تريم مكانها ولم يخل من تأويب سير وإسناد
وارصدتها في الروض أية عدة كانت لدفع المحل عنه بمرصاد
تخالف ماء المزن حكما وماؤها وكل على روض الربى رائح غاد
فينجد هذا بعد ما كان متهما وذاك تراه متهما بعد انجاد
لئن قذفت ذوب اللجين على الثرى لقد خلصته القضب حليا لاجياد

وله يصف رمحا:

واحم ممطول الكعوب اذا اقتضى نهج الكماة فدينه لا يمطل
متوقد حتى أقول أذا بل بيدي منه ام ذبال مشعل
لولا التهاب النصل أينع عوده مما يسيل من الدماء وينهل
فاعجب له ان النجيع بطرفه رمد ولا يخفى عليه مقتل

ولابن الجنان المكناسي مما كتبه على دور خشبي بداره:

انظر الى منزل متى نظرت عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبيء عن رفعة لمالكه وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشي في أسافله ما يرقم النقش في أعاليه

كأنه روضة مدبجة جاد لها وابل بهاميه
فأظهرت للعيون زخرفها ووافقتها على تجليه
فهو على بهجته تلوح به ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم من جنة الخلد ما يحاكيه

ولعبد المهيمن الحضرمي يصف النخل في سجلماسة:

لقد راقني مرأى سجلماسة الذي يقر له في حسنه كل منصف
كأن رؤوس النخل في عرصاتها فواتح سورات بآخر مصحف

وللفقيه المغيلي في مدينة فاس

يا فاس حيا الله ارضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التي اربت على حمص بمنظرها البهي الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت بجداول كالايم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره انس بذكراه يهيج تململي
وبصحنه زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبل
واشرب بتلك البيلة الحسنا به واكرع بها عنى فديتك وانهل

والاستاذ مذديل ابن ءاجروم يصف الطبيعة خارج باب الفتوح بفاس:

أيها العارفون قدر الصبوح جددوا انسنا بباب الفتوح
جددوا ثم أنسنا ثم جدو يسرح الطرف في مجال فسيح
حيث شابت مفارق اللوز نوزا وتساقطن كاللجين الصريح

وبدا منه كل ما احمر يحكي شفقا مزقته ايدي الريح
وكأن الذي تساقط منه نقط لحن من دم مسفوح
واذا ما وصلتم المصلى فلتحلو بموضع التسبيح
وبطيفورها فطوفوا لكيما تبصروا من ذراه كل سطوح
ولتقيموا هناك لمحة طرف لتردوا به دماء الروح
ثم حطوا رحالكم فوق نهر كل في وصفه لسان المديح
فوق حافاته حدائق خضر ليس عنها لعاشق من نزوح
وكان الطيور فيها قيان هتفت بين اعجم وفصيح
وهي تدعوكمو الى قبة الجو زهلموا الى مكان مليح
فيه ما تشتهون من كل لون مغلق في الكمام او مفتوح
وغصون تهيج رقصا اذا ما سمعت صوت كل طير صدوح
فاجيبو ادعاءتها ايها السرب وخلوا مقال كل نصيح
واجنحوا للمجون فهو جدير وخليق من مثلكم بالجنوح
واخلعوا ثم للتصابى عذارا ان خلع العذار غير قبيح
واذا شئتم مكانا سواه هو اجلى من ذالكم في الوضوح
اجمعوا امركم لنحو خليج جاء كالصل من قفار فيح
عطرت جانبيه كف الغوادي بشذا عرف زهرها الممنوح
قل لمهيار ان شممت شذاها قول مستخبر اخي تجريح
اين هذا الشذا الذكى من القيـــصوم والرند والغضا والشيح

حبذا ذلك المهاد مهادا بين دان من الربى ونروح
ثم من ذلك المهاد أفيضوا نحو هضب من الهموم مريح
فيه من للحسن دوحة وروايا وانشراح لذي فؤاد قريح
وحجار تدعى حجار طبول غير ان التطبيل غير صحيح
تنثر الشمس ثم كل غدير زغفرانا مبللا بنضوح
وسوى من هناك يسبي عقولا ويجلى لحاظ طرف طموح
وعيون بها تقر عيون وكلاها ياسو كلوم الجريح
فرشت فوقها طنافس زهر ليس كالمهن نسجها والمسوح
كلما مر فوقهن طليح عاد من حسنهن غير طليح
فانهضوا ايها المحبوه مثلي لنرى ذات حسنها المملوح
هكذا يربح الزمان والا كل عيش سواه غير ربيح

وللشيخ ابراهيم الفجيجي من قصيدته الصيدية الكبيرة يصف الصيد وحياة الصائد وتنقله في البرية وما في ذلك من المتاع النفسي والجسمي

يلومونني في الصيد والصيد جامع لاشياء للانسان فيها منافع
فاولها كسب الحلال اتت به نصوص كتاب الله وهي قواطع
وصحة جسم ثم صحة ناظر واحكام اجراء السوابق رابع
وبعد عن الرذائل مع صون همة واغلاق بال القيل والقال سابع
وايضا لعرض المرء فيه سلامة وحفظ لدينه وذلك تاسع
وفيه لاهل الفضل والدين عبرة وتذكرة لها لديهم مواقع

ويورث طيب النفس والجود والسخا ... ويالف منه الصبر من هو جازع
وينفي الهموم المهرمات عن الفتى ... ويقمع وفد الشيب كيلا يسارع
ويورث عند الالتحام شجاعة ... وفيه من السر الخفي بدائع
كرعي نظام وافتقا درعية ... وحفظ جناب من عدو ينازع
وتدبير امر الحرب والفتك بالعدا ... وصيد اسود الانس والوحش تابع
اذ الحرب خدعة وكيد فربما ... تحيل بالقنص الدهاة التبائع
فاظفرهم بكل عاد معاند ... على غرة فضرجته الضراجع(1)
ويصفي دماغ المرء والجسم جملة ... من اخلاط سوء او فضول تصادع
ويغني عن الطب الصعيب علاجه ... وما مثله للحزن والسقم دافع
وقد جاء سافروا تصحوا وتغنموا ... وذلك من قول النبوة شائع
وما ربي مفلوجا مريغ طريدة ... حكى عن ذوي التجريب قوم بلاتع(2)
وايضا يزيد في الذكاء وفي الدها ... وذاك كله الى العقل راجع
وفيه حظوظ النفس من كل بغية ... وكل سرور بالمباح فواسع
كقنص ظباء الانس في حل صيدها ... وقنص ظباء الوحش او ما يضارع

☆☆☆

بنفسي عفيفا متر فاذا نزاهة ... له في سماء المجد والسعد طالع
على هيكل نهد وفوق شماله ... وقور من الصقور ابيض ناصع
تصامم عن لوم اللئام على السرى ... وما زال مشغوفا به وهو يافع

(1) - جمع ضرجع وهو النمس (2) جمع بلتع وهو الحاذق بكل شيء

وغاب عداة القنص عن كل غيبة ... وعن كل ما تصان منه المسامع
فاصبح سلما للورى بطا الثرى ... وتنظره فوق الثريا القنابع
فلا خلطة تردي ولا سوء عشرة ... ولا هتك هيبة ولا من يصانع
اخا العدل لا كن في سوى كل طائر ... وجار امام المرسلات يسارع

☆☆☆

اخي هل ترى الايام تجمع شملنا ... ونحن على جرد سراع تطاوع
لدى كل ربوة واجرس طيرنا ... لها زجل من فوقنا وقعاقع
فنقضي من السلوان بعض غرامنا ... ونجني جنى اللذات والدهر خاضع
ونجعل ذات الجرجارا لعهدنا ... فمنا للاقتناص ماض وراجع
ونرقب في رمي الغميم وتحله ... بكل صيود خاضب الكف دارع
طويل ثلاث لا كطول بغاثها ... جناح وعنق ثم طالت اصابع
قصير ثلاث من زمكي 1 وريشها ... وساق تقوى الرصع ان هو راصع 2
رحيب ثلاث وهي ما هي كفه ... وما بين منكبيه والصدر واسع
عظيم ثلاث راسه ثم فخذه ... ومنشره مجزار ما هو صارع
عليه سمات الفتك لما نظرته ... اطلت حواجب وغابت مدامع
طموح كثير الالتفات مسلط ... لام السلاح 3 الدهر منه فجائع
ثقيل متى يحمل خفيف طلوعه ... كاسرع ما في السهم ان هو واقع
ظلوم غشوم من صقور شمارخ ... لخزانها 4 والطير منه تروادع

1 الزمكي ذنب الطائر 2 ارصع الضرب والطعن 3 كانه جمع سلح وهو ذكر الحجل والقياس سلحان 4 جمع خزز وهو ذكر الارنب

له عدة من نفسه في مخالب ... شديد سواعدها حداد لواسع
يفر الى اليحبور 1 ميلين بكرة ... واكثر بالاصيل ان هو جائع
بيمناه بارق محيط بزنده ... من الفضة البيضاء كالسيف لامع
كذلك في يسراه شان وجلجل ... تلون بالابريز اصفر فاقع
اذا انقض خلت البرق والريح عاصفا ... ورعد به زجر على الطير واقع
دوى جلاجل ولمع خلاخل ... وخفق جناح كل ذلك فاجع
الى قهر غالب وصولة سالب ... وهتك مخاف اذا هو سادع 2
هنالك يلقي الخرب 3 خوفا سلاحه ... وهيهات ما السلاح للخرب نافع
ويلجأ لات حين ياويه ملجأ ... فلا الارض تنجيه ولا الجو مانع
وتبصره يحكي اسير فوارس ... يجر ذيول الذل يعثر خانع
ذؤابته في كف من لا يقيله ... يساق بها للموت وهو يوادع
وتندبه حباريات الفنه ... بفيفاء مجهل وهن جوازع
يردن الفرار لم يجدن سبيله ... ويحشرهن الخوف والخوف رادع

☆☆☆

الا ليت شعري هل نعود لنا المنى ... وتسعفنا الايام والسعد راجع
وتكنفني والصحب صحراء بختري ... ويجمعنا بحبل شنوان جامع
ونرسل في شرياطة الجر طيرنا ... وفي دارة الارجام والحر ناجع

1 فرخ الحباري 2 دابح
3 الخرب محركة ذكر الحباري وسكنه الناظم ضرورة وسلام الخرب نحوه يلقيه على الجارح فتتنف

ونحي دوارس الربوع التي عفت ... مشات لقنصها بها ومرابع
وتنزل من مخدوفها 1 كل محبن 2 ... مخز 3 تفوت الحصر فيه الفعافع 4
عفى 5 غرير الصيد ساسارقانص ... به حقبة ولم يرع فيه رائع
كسته سحيقة من الجود ديمة ... برود كوشي لونته الصوانع
ونشهد حسن الصنع فيما نريضه ... من الوحش او نروغه وهو هاجع
ونسمع تغريدا لطير اذا غدت ... لمختلف الاصوات صبحا تراجع
على كل مياد يرنحه الهوى ... وتطربه الالحان والغصن يانع
فيهتز شوقا ان تغن بلابل ... وان رنت الورقاء فهو يطارع
وتقطف نور الزهر من كل روضة ... وتقتحم الغدران وهي نواقع
يعاليل 6 في قلت 7 يصفقها الصبا ... فمغترف بالكف منها وكارع
يلامجنا بالطيب نبت شواهق ... وتضام من نبت الخزامى دوافع
فمن لم يحركه الربيع وزهره ... ولا العود حين تعتريه الاصابع
ولم يتاثر بالسماع ونحوه ... ولم يستمله القران هو دافع
ولم تستفزه الظباء ولا المها ... اذا اعترضت والجاتها الهجارع 8
ولا اهتزاذ رأى الحبارى بدت له ... تميس وفوقها البزاة طوالع
فترقص طورا ثم تبدي ذوائبا ... وتومي بكفيها وطورا تبايع

---

1 ممطور مثلوج 2 كثير النبات 3 ذو خزان والمخزة ارض تكثر فيها الخزان
4 جمع مفعفع وهو الجندي والراعي 5 كثير الوحش او النبت من عفا الشعر والنبت وغيرهما كثير 6 نفاخات تكون فوق الماء 7 القلت النقرة في الصخرة او العين ونحوها
8 الكلاب السلوقية

ولم يدر قط ما الغرام وما الهوى ولا موجعات القلب اذ يتواجع
فذلك مختل المزاج حقيقة ولاشك للحمار فيه طبائع

☆☆☆

الا يا حسرة دمت بغيظك حسرة على قلبك المسود لاسدت طابع
ايا لحسد المذموم تطمع في الملا ولا غير الا القل والشح هالع
ام المجد تبتغي وتامل نيله ولا وصف الا العجز والجبن خالع
اذا لم تسد بالعلم والحلم والتقى وبالجود والاقدام انك راضع 1
كاني لم ارقب مساء بسد نقى على طلل والغيث طل وهامع
ولم اتخير عن بساطي ونمرقي بساط نقي الرمل والفج واسع
بذات الغذى او بذات الهبورى عطاش الفيافي حيث لامن يظالع
وارض تحار في مجاهلها القطا ولا تهتدي تسير فيها الطلائع
نروح ونغدو في نعيم تودّه وتترك ملكها الملوك التبابع
ونحن على سلامة من طوارق على جيفة الدنيا سدى تتقاطع
فلا راكب يغشاك الا تقانق الا وحوش حول بيتي رواتع
ولا راكب بغلاله عقل بغله لا سوقة تضيق منها الشوارع
ولا ملك فظ ولا ذو تجبر ولا حاكم بالجور تدعو الاقارع
ولا عائب امرا رايت صوابه ولا حاسد فضلا بفضل يتابع
ولا جار سوء يامر الدار بوابه ان غاب او هو هاجع

1 لئيم

ولا ما كر يريك سوء او ينثني فيسقيك ادهى الهم ليس يضارع
ولا متلصص يراقب عورة وبيدي سمات النسك وهو يخادع
ولا سارق للسمع للقيل لاقط ولا فاسق يرمي بما هو صانع
ولا متعرض للاعراض مولع بتمزيقها تاتيك منه الفظائع
ولا اهل فتنة حرام جوارهم على ماذو والفتيا عليه تتابعوا
فما ان ترى للحم الانسان ءاكلا ولاكن لحم الصيد ما منه مانع
وخيلي حليب الشول صرفا شرابها وما في النصى رعيها لا المزارع
وتعلف ابيض الشعير وانتقى لها من نبات الارض ما هو نافع
وفي جيرة اخوان صدق اجلة كرام السجايا والمعالم طبائع
وفي لذة الدنيا وارغد عيشها فلولا سيوف للصروف قواطع
وداعي الرحيل كل يوم يروعني وهول وعول في الفريضة واقع
لطاب السرور واطمأنت نفوسنا ولاكنها دنيا سريعا تقاطع
فلا عيش الا عيش اخرى لمبتغ نعيما مقيما دائما لا يوادع

ولعبد العزيز الفشتالي يصف القبة الخمسينية من مباني المنصور الذهبي على لسانها:

سموت فخر البدر دوني وانحطا واصبح قرص الشمس في اذني قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت باطواقي الثريا كانها نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لانني جعلت على كيوان رجلي منحطا

واجريت من فيض السماحة والندى ... خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت ... اليه وفود البحر تصرف ما اعطى
تنضنض ما بين الغروس كانه ... وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حرواله من دوح الرياض خرائد ... وغيد تجر من خمائلها مرطا
اذا ارسلت لدن الفروع وفتحت ... جنى الزهر لاح في ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرى ... كما مال نشوان تشرب اسفنطا(1)
يشق رياضا جادها الجود والندى ... سواء لديها الغيث أسكب أم اخطا
وسالت بسلسال اللجين حياضه ... بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية ... هي الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء في جنباتها ... سنا البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس القى شعاعها ... على جسمها الفضي نهرا بها لطا
توسمت فيها من صفاء اديمها ... نقوشا كان المسك ينقطها نقطا
اذا اتسقت بيض القباب قلادة ... فاني بها في الحسن درتها الوسطى
تكنفني بيض الدمى فكاننا ... عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود ولكن زادها الحسن عريها ... واجمل في تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت ... قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيالك شأوا بالسعادة اهلا ... باكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت ... تطوف بمغناها امانيّ الورى شوطا

(1) الخمر العالية

ومسرح غزلان الصريم كناسها حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ماطاب لا الاثل والخمطا وسدن فيه الوشي لا السدر والارطى
نراه من المسك الفتيت مدبرا اذا مازجته السحب عادبها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها الى كل انف عرف عنبره قسطا
أقرت له الزهراء والخلد وانتقت اواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب على خير من يعزى لخير الورى سبطا

وله مما كتب ببهوها بمرمر اسود في ابيض:

لله بهو عز منه نظير لما زهى كالروض وهو نضير
رصفت نقوش علاه رصف قلائد قد نضدتها في النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها وشي وفضة تربها كافور
وكأن ارض قراره ديباجة قد زان حسن طرازها تشجير
واذا تصاعد نده نوأ ففي انماطه نور به ممطور
شأو القصور قصورها عن وصفه سيان فيه خورنق وسدير
فاذا اجلت اللحظ في جنباته يرتد وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه حركات سجف حركته دبور
صفت بضفتها تماثل فضة ملك النفوس بحسنها تصوير
فتدير من صفو الزلال معتقا يسري الى الارواح منه سرور
ما بين آساد يهيج زئيرها واساود يسلي لهن صفير
ودحت من الانهار ارض زجاجة واظلها فلك يضيء منير

راقت فمن حصبائها وفواقع تطفو عليها اللؤلؤ المنثور
ياحسنه من مصنع فبهاؤه باهى نجوم الافق وهي تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الاسمى تخير رصفه فخر الورى وامامها المنصور

ولابي الحسن الشامي في النعل النبوية الكريمة واشار الى كتاب المقري أزهار الرياض باخبار عياض وقد رسم فيه مثال النعل الشريف بما الذهب واللازورد:

دعواشفة المشتاق من سقمها تشفى وترشف من اسثار ترب الهدى رشفا
وتاثم نعلا للنبي كريمة بها الدهر يستقى الغمام ويستشفى
ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها بعدلكم فالعدل يمنعها الصرفا
ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها هياما ويسقيها مدام الهوى صرفا
جفتها بكتم الدمع بخلا جفونها فمن لامها في اللثم فهو لها اجفى
لئن حجبت بالبعد عنهم فهذه مكارمهم لم تبق سترا ولاسجفا
وان كان ذاك الخيف مافي وصالهم فهانفحة الافضال قربت الملفى
فحركت الاشواق منا لروضة أباح لنا الاسعاد من زهرها قطفا
زمانا به موصولنا نال عائدا واكدنعت الوصل من نحوهم عطفا
تولى كمثل الطيف ان زار في الكرى والا كمثل البرق ان سارع الخطفا
كأنا وما كنا نجوب منازلا يودبها المشتاق لو راهق الحتفا
ولم تبصر الابصار منها محاسنا ولم تسمع الاذان من ذكرها هتفا

كذاك الليالي لم تحل عن طباعها ... متى واصلت يوما تصل قطعها الفا
فلا عيش لي ارجوه من بعد بعدهم ... وهيهات يرجو العيش من فارق الالفا

☆☆☆

أيا من نأت عنه ديار احبة ... فمن بعدهم مثلي على الهلك قد أشفى
لئن فاتنا وصل بمنزل خيفهم ... فها نفحة من عرفهم للحشا اشفي
وهاذيك انفاس الرياض تنفست ... برياهم فاستشفين بها تشفى
وقل للامي هاموا اشتياقا لبانهم ... هلموا لعرف البان نستنشق العرفا
بصفحة هذا الطرس ابدت نعالهم ... وصارت له ظرفا فيا حسنه ظرفا
تعالوا نغالي في مديح علائها ... فرب غلو لم يعب ربه عرفا
ولله قوم في هواها تنافسوا ... وقد غرفوا من بحر امداحها غرفا
وانا وان كنا على الكل لم نطق ... نحاول بعض البعض من بعض ما يلفى
لئن قبلوا ألفا نرد نحن بعدهم ... على الالف ما يستغرق الفرد والالفا
وان وصفوا واستغرقوا الوصف حسبنا ... نجيل بروض الحسن من وصفهم طرفا
ونقبس من آثارهم قدر وسعنا ... ونركض في مضمار ءثارهم طرفا

☆☆☆

أناديك يا خير البرية كلها ... نداء عبيد يرتجي العفو واللطفا
واين محق في هوى حبك الذي ... يفل جيوش الهم ان اقبلت زحفا
وما انا فيه بالذي قال هازلا (1) ... (اليلتنا اذ ارسلت وارداوصفا)

(1) هو ابن هانيء الاندلسي وقد ضمن الناظم مطلع قصيدته

وللاديب ابي عبد الله المكلاتي في كتاب ازهار الرياض موريا:

اتى برياض في عياض وردها ... مظالم كانت قبل معضلة الداء
وفاضت بنيل العلم منه اصابع ... ومن عجب فيض الاصابع بالماء
خليلي هذي معجزات لاحمد ... فلاتنكرا ان ردعينا الى الراء

ولمحمد ابن ابراهيم الفاسي في رقعة انفذها الى الشهاب الخفاجي وهو بمصر

أسقيط طل في حديقة ءاس ... أم ذا حباب دار فوق الكاس
أم در ثغر الاقحوانة باسم ... أم دمع طرف النرجس النعاس
أم جنة جن النسيم بحسنها ... اغصانها من ذاك في وسواس
أم هذه زهر النجوم تزينت ... منها النجوم هداية للناس
أم ذا هو السحر الحلال حلا ام ... العذب الزلال وكل عضوحاس
أم رقمة رفعت لواء بيانها ... فاتى البديع لها ذليل الراس
نطقت بكل فضيلة ظلت لها ... الاحداق بين محقق او خاس
الشعر فاخرانجم الشعري بها ... والجو قال الفضل للقرطاس
من ذا يطاولها ومطلع نورها ... افق الشهاب وظلمة الانفاس
وافت فما وفيت ببعض حقوقها ... الا ببذل النفس والانفاس
طار الفؤاد لها فقال وقارها ... (مافي وقوفك ساعة من باس)
جائت تحدث عن محاسنك التي ... شدت الى حسن الثنا بمراس
اما الفصاحة صح انك قسها ... بالرغم من غمر حسود قاس
لله در عقيلة ابرزتها ... عقلت ببهجتها عقول الناس

من كل بيت كاد يشبه لفظه ... معناه، كل دق عن احساس
شرحت لي الود القديم وذكرت ... قلبا فديتك لم يكن بالناسي
ما أخطات رشدا وان تك ابطأت ... خيرا القا ما كان بعد الباس
فالحب ان ارضى بما ترضى وها ... حبي وحقك راسخا باساس

ولعبد السلام بن سوسن من رجال الريحانة في القمر ونسبت لغيره:

دع ذا وقل للناس ما طارق ... يطرقهم جهرا ولا يتقي
ليس له روح على انه ... يركب ظهر الادهم الابلق
شيخ رآى ءادم في عصره ... وهو الى الآن بخد نقي
وهز بوسط البحر مع قومه ... لا ينثني عن نهجه الضيق
هذا ويمشي الارض في ليلة ... اعجب به من موثق مطلق
فتارة ينزل تحت الثرى ... وتارة وسط السما يرتقي
وتارة يبصر في مغرب ... وتارة يبصر في مشرق
وتارة تبصره سابحا ... يجري بشاطي البحر كالزورق
وتارة تحسبه وهو في ... ضيعته والبعض منه بقي
ذبابة من صارم مرهف ... بارزة من جفنه المطبق
يدنو الى عرس بها حسنها ... يختطف الابصار بالرونق
حتى اذا جامعها يرتدي ... بحلة سوداء كالمحرق
وهو على عادته دائما ... يجامع الانثى ولا يلتقي
ثم يجوب القفر من اجلها ... مشتملا في مطرف ازرق

حتى اذا قابلهـــا ثانيـا تشكله بالرمح في المفرق
وبعد ذا تلبسه خلعـــة يا حسنها في لونها المونق
فجسمها من ذهب جامد وجلده صيغ من الزئبق
ثم يرى في حال اتمامه مثل مجن المحرب الملتقي
وهو اذا ابصرته هكذا أحسن من صاحبة المفرق

ولاحمد بن يحيى الشفشاوني المتوفى 1001 في روض ابن رضوان الكاتب بفاس

اجنة الخلد هذي يا ابن رضوان ام حسن روضك فيه حار تبيان
أما ترى الطير بالادواح ساجعة ادمت انامله اوتار عيدان
تحكي مزامير من لان الحديد له تشدوا بالاجزال في رصد وزيدان
تنفي عن الصب ما بالقلب من كرب بل تترك الصب في تيه الهوى عان
فالبان يرقص من ترجيعها طربا والزهر يفتر عن اثغار مرجان
والماء منسكب والطل منسحب وللنسيم هبوب ينعش الفاني

ولابي عيسى المهدى الغزال من رجال الانيس في مغنية

عنت فاغنت عن سماع العود غيدا وصالت باللحاظ السود
ورق الحمام تعلمت الحانها فلذاك تلفي عذبة التغريد

ولابن الزبير النحوي المتوفي سنة 1035 في الخمرة:

اركب جواد اللهو واشرب على ورد الخدود تحت ظل الشعر
والكاس في يمنى مدير لها نجم الثريا عن يمين القمر

ولابن الطيب العلمي فيها:

تفتحت ازهار روض السعود ... وغنت الاطيار في كل عود
فباكر اللذات في روضة ... ما بين مزمار ودف وعود
وقم الى الراح ورد ظرفها ... فطالما املت منها الورود
صهباء يعلوها الحباب كما ... تعلو على نحر الغواني العقود
في كاسها ماء ولكنه ... في القلب مثل النار ذات الوقود
ولا تمل عن شربها ابدا ... من باس واش خفته او شهود
فكم زنت بكرا مع ابن سما ... ولم تجب يوما عليه الحدود
شمس اذا غابت بجوف امريء ... أشرق في خديه بدر السعود
فهاتها مركب حلو اللما ... لكنه للصب مر الصدود
كانها حمراء في كفه ... معصورة من ورد ذات الخدود
ساق اطار النوم عن مقلتي ... وكم سباني بالعيون الرقود
اطلق ودمعي من اليم الجفا ... والقلب قد اوثقه في قيود
اذحل ذاك الحصر في عدم ... وردفه اخرجه للوجود
فذاك من ضعف يقوم وذا ... من ثقله ما زال يبغي القعود

وله فيها:

أقول للمحبوب في روضة ... والطل يسقى والثرى يشرب
زوج ببنت الكرام ابن السما ... فالطير في منبره يخطب

ولصاحبه ابي عبد الله الشرقي فيها:

ادن من الدن فكم تهرب ان ذهاب العقل لي مذهب
واشرب بكأس صيغ من فضة لكن بتسكاب الطلا مذهب

وله في مباكرة الصبوح:

يا صاح صح اللهو والطير صاح وأنذر الداعي بقرب الصباح
قم باكر الروض ببكر الطلا واشرب على زهو الخدود الملاح

وله في صفة روض

يا حسن روض في الجنان أريض لبرقه في شرق قلبي وميض
جمع اشتات الهوى عنده نهر صحيح ونسيم مريض
هذا له الازهار باسمة وادمع الطل لذاك تفيض

ولابن زاكور هذا الموشح في الربيع:

جل صنيع البديع الفاعل المختار
حلى الربيع الرفيع بحلية النوار
سر بديع لي مذيع سرائر الازهار
الروض راض وهو راض غصون أشجاره
شفا المراض في مراض جفون انواره
صح العليل من عليل نسيمه المعطار
اذ في ميمل الذحيل من غصنه اسرار
وفي مسيل سلسبيل مياهه استعبار
فعله ماض عند قاض أبكار زواره

اذلا اعتراض في اقتراض نقود أزهاره
ولا جناح في مباح ألحان ورشانه
وهل يتاح ارتياح الا بريحانه
تروي الرياح عن صحاح آثار نسيانه
من في الرياض والحياض اجل او طاره
فيه تراض عن تراض بنات أفكاره

وله في هيجان البحر وكان اراد السفر الى الجزائر:

يا أيها البحر مهلا فقد دهانا اهتياجك
انا هممنا بامر منع منه انزعاجك
لو كنت تدري لابدى سيما السرور ابتهاجك
يا ليت شعري الى كم يحكي فؤادي ارتجاجك

وقال في في مدينة تطوان:

تطوان ما ادراك ما تطوان سالت بها الانهار والخلجان
قل ان لحاك مكابر في حبها هي جنة فردوسها (الكيتان)

ولابن علي اليوسي في علاقة الزهر بالمطر:

ان بين الغمام والزهر الغض لرحما قديمة واخاء
بان الف عن الفه فتواري في الترى ذا وذاك حل السماء
فاذا ما الغمام زارت جنابا ءاذنت فيه بالحبيب اللقاء
ذكرت عهده القديم فجنت عند لقياه فاستهلت ببكاء

فترى الزهر بارزا من خبايا ... ه يحيي الوفود والاصدقاء
بادي البشر والبشاشة جذ ... لان لبوسا من كل لون رداء
ثملا من شمول شمس الضحى وهـ ... ـو على بسط سندس خضراء
رافصا والصبا تهنيه والطـ ... ـور تغني الغوانيَ القيانُ تشدوا غناء

ولابن الطيب اللغوي في الربيع وتنسب للصفي الحلي

ورد الربيع فمرحبا بوروه ... وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه ... وأنيق ملبسة ووشي بروده
فصل اذا افتخر الزمان فانه ... انسان مقلته وبيت قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه ... باللطف عند هبوبه وركوده
ياحبذا أزهاره وثماره ... ونبات ناجمه وحب حصيده
وتجاوب الاطيار في اشجاره ... كبنات معبد في مجاوب عوده
والغصن قد كسي الغلائل بعدما ... أخذت يدا كانون في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى ... ماء الشبيبة في منابت عوده
والورد في أعلى الغصون كأنه ... ملك تحف به سراة جنوده
وكأنما القداح سمط لئالئ ... هو للقضيب قلادة في جيده
والياسمين كعاشق قد شفه ... جور الحبيب بهجره وصدوده
وانظر نرجسه الجني كأنه ... طرف تنبه بعد طول هجوده
واعجب لماذريونه وبهاره ... كالتبر يزهو باختلاف نقوده
وانظر الى المنظوم من منثوره ... متنوعا بفصوله وعقوده

أو ما ترى الغيم الرقيق وما بدا ... للعين من اشكاله وطروده
والسحب تعقد في السماء مثاتما ... والارض في عرس الزمان وعيده
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه ... وزرق سوسنها للطم خدوده
والماء في تيار دجلة مطلق ... والجسر في أصفاده وقيوده
والغيم يحكي الماء في حريانه ... والماء يحكي الغيم في تجعيده
فابكر الى روض الصراة وظلها ... فالعيش بين بسيطه ومديده

وفيه للوزير ابن ادريس:

نادى السرور بسعدكم فتنزهوا ... فالروض قد أهدى حلاه وخزه
بسط الموبيع به بساط زبرجد ... قداحسنت ايدي السحائب طرزه
قد كان كنزا في التراب مطلسما ... فتحت رقى كنز الغمائم كنزه
أبدت خبايا الارض من بركاته ... ما أوضحت لسن الكمائم رمزه
طلعت طلائعه بكل ثنية ... تهدى بدائعه وتنشر بزه
وجيوشه النوار تظهر في الربى ... أعلامه تبدى علاه وعزه
ملك الفصول له التقدم بينها ... من رام شأو سناه منها عزه
فخر الزمان بصيفه وخريفه ... وشتائه يوم الفخار وبزه
متصرف في الارض عند وروده ... فاشب نرجسه وشيب لوزه
تتنفس الجنات فيه أما ترى ... أرجا سرى أحيا الفؤاد وهزه

وله في عريش عنب:

عرائس الروض تزهوا في عرائشها ... لها خدور لصون الحسن والحسب

قد ربيت في مهاد ما يحركه ... الا النسيم اذا يهفو على كثب
وأرضعتها ثدي السحب درتها ... في كل حين ولم تبرز من الحجب
فاصبحت بعد ما تمت رضاعتها ... تعزى الى الكرم لا تعزى الى السحب
تكاد تسقط سكرا في اريكتها ... لولم تقم بسرير العود والقصب
فيها لاهل التقى شكر، ومهمله ... وزر لاهل الوى وذا من العجب

الباب الرابع فى الادب

للشيخ يعلى ابي جبل دفين باب يصليتن من فاس المتوفى 503 في الحث على السفر:

سافر لتكسب في الاسفار فائدة ... فرب فائدة تلقى مع السفر
ولا تقم بمكان لا تصيب به ... نصا ولو كنت بين الظل والشجر
فان موسى كليم الله اعوزه ... علم تكسبه في صحبة الخضر

وللقاضي عياض في ضده:

تقعد عن الاسفار ان كنت طالبا ... نجاة ففي الاسفار سبع عوائق
تشوق اخوان وفقد احبة ... وأعظمها ياصاح سكنى الفنادق
وكثرة ايحاش وقلة مؤنس ... وتبذير اموال وخيفة سارق
فان قيل في الاسفار كسب معيشة ... وعلم وءاداب وصحبة واثق
فقد كان ذا دهر تقادم عهده ... وأعقبه دهر شديد المضايق
فهذا مقالي والسلام كما بدا ... وجرب ففي التجريب علم الحقائق

وله:

اذ ما نشرت بساط انبساط ... فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح كما قد حكى ... اولو العلم قبل عن العلم زاحا

وللمهدي بن تومرت:

اخذت باعضادهم اذ نأوا ... وخلفك القوم اذ ودعوا

فكم انت تنهى ولا تنتهى وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى تسن الحديد ولا تقطع

ولابن تاخميست المتوفي سنة 608

اخو العلم حي خالد بعد موته واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى ☆ يعد من الاحياء وهو عديم

ولابي عمران المرتالي المتوفي سنة 603

قنعت من الدنيا بزاد مبلغ فلست ابالي ما اخلف من خلفي
اذا كنت لا ادري أأمهل ساعة كفاني ما يكفي ودون الذي يكفي

وله يخاطب نفسه.

تحفظ بدينك لا تبتذله ولا تلف عرضك عرضا كليما
فانت ابن عمران موسى المسمى ولست ابن عمران موسى الكليما

وللاستاذ ابي القاسم ابن الشاط وجنسه:

اني سلكت من انقباضي منهجا ونهجت من صمتي على منهاج
وتركت اقوال البرية كلها كي لا اميز مادحا من هاج

ولابن البناء العددي:

قصدت الى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم احذر فهوما دون فهمي ولكن خفت ازراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسط تعليم الصغار

ولابن عبد الملك المراكشي المتوفى 743

من لم يصن في امل وجهه عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف له حيث احل النفس من قصده

ولمالك بن المرحل وقد التزم افتتاحه بما ختم به:

بأي دواء ام بأي طبيب يداوى عذار من بياض مشيب
بياض كمالاحت كواكب سحرة تريك طلوعا موذنا بغروب
بشيرا نذيرا لاح كالفجر صادقا على كاذب حلو اللسان خلوب
بني ابك لي ان البكا يبعث البكا وليس جوابي منك غير وجيب
بحارا ركبناها بغير سفائن غرورا فان نهاك فغير عجيب
برتني يوما آية في براءة فان ضحكت سني فضحك مريب
بنيت لها قلبي على كرة الاسى فلم يتغير لاختلاف خطوب
بكى صاحبي حتى اذا مال في الثرى وسالت ما آقيه كمثل غروب
بسطت له كفي وقبلت كفه وقلت له هذا مقام كئيب
بحقك لا تبرح اطارحك لوعتي على نغم من أنة ونحيب
بدارا الى هاذي الدموع فربما غسلت ذنوبا جمة بذنوب
بداية حال ان تدم فلعلما ورب طلوع كان بعد مغيب
بني الدهر أما الدهر فهو عدوكم وان لاح يوما في ثياب حبيب
بوارقه لا ري فيها لعاطش ولا خصب في أنوائه لجديب
بلاكم وابلاكم تقلب صرفه فيا ويحها من انفس وقلوب
بصائرها في الرشد غير ثواقب وابصارها في الغي ذات ثقوب

بعيد من التوفيق من بات ساهر رجاء بعيد لا مخاف قريب
بطيء لعمري من سري الليل كله وأصبح حول الحي بعد لغوب
بخيل لعمري من دعاه حبيبه هلم الينا وهو غير مجيب

وقال على منواله:

جدير بان يبكي على نفسه اسى فتى كلما ترجى له توبة ترجا
جبان عن التقوى جري على الهوى قريب من المهوى بعيد من الملجا
جرى في مجال اللهو ملء عنانه الى الآن ما ألقى لجاما ولا سرجا
جنى ما جنى واستسهل الأمر في الصبا فلما نهاه الشيب عن فعله لجا

ولابن جابر المكناسي:

أيا من أراد التخلص من دناه لخوف اذا ياتها
اذا شئت تسلم من شرها فسلم لهم في حويجاتها

ولابن رشيد الرحال:

تغرب ولا تحفل بفرقة موطن تفز بالمنى في كل ما شئت من حاج
فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا ولولا اغتراب الدر لم يحظ بالتاج

وللسلطان ابي عنان المريني:

واذا تصدر للرياسة خامل جرت الامور على الطريق الاعوج

وللعلامة المكودي من مقصورته في السيرة النبوية

أرقني بارق نجد اذ سرى يومض ما بين فرادى وثنى
اهبني اذهب منه موهنا ما شد ما بين الثريا والثرى

شممت من ارجائه اذ شمته ... ريح صبا اضوع من ريح الكبا
فياله من بارق ذكرني ... من الهوى ما كنت عنه في غنى
اثار شوقا كان مني كامنا ... بين ضلوع طالما فيها ثوى
فكان قلبي المجتوى اذ هاجه ... كالزند اذا وراه مور فورى
وسح سحب مقلتي فما بقي ... نوع من الدمع بها الا همى
ما كنت ادري قبل ان انفده ... ان البكى يمنعني من البكى
وليلة سبحت في ظلماتها ... اذ سحبت فضول أذيال الدجى
الفت فيها كل ما الفيته ... يوهي القوى الا التسلي والكرى
طالت وما اطل ناءي صبحها ... الا باغيا ما لديها من توى
قد وقفت نجومها في افقها ... وقفة حيران طويل المشتكى
جبت بها وحدي قفرا سبسبا ... ليس به الا النعام والمها
ناءي الزبازي والفلا داني الصفا ... خالي الفيافي والذرى حافي الصوى
قطعته ببازل ذي مرة ... ينوع السير بانواع المشى
فتارة يعمل فيها الخيزلي ... وتارة يعدو عليها الهيدبي
كان رحلي اذ علوت ظهره ... فوق متين المتن وجرى القوى
من وحش مهمه بعيد غوره ... ذي أكرع اصلب من صم الصفا
يقذف في من فدفد لفدفد ... وينتهى في من فلا الى فلا
حتى اذا انتضى الصباح نصله ... وقد جلباب الدياجي فانفرى
كأنه كتائب قد نشرت ... راياتها على الاكام والربى

أحست الشهب بها فاجفلت ... وأمت الغرب وجدت في السرى
اذا انا ببقعة غيطانها ... جرى بها سلسال نهر وانحنى
كأنه معصم خود غادة ... على رداء قد وشاه من وشى
وظل روض راضه صوب الحيا ... فاعتم من نور حلاه واكتسى
باكره وسميه فانفتحت ... كمامه عن زهر طيب الشذا
وهز ايدي الريح منه قضبا ... غنى بها الطير الاغن وشدا
ونشرت شمس الغداة ايدعا ... فيه وقد بلله قطر الندى
أحسن به روضا ذكيا عرفه ... معطرا داني القطوف والجني
وقفت طرفي بازاء دوحه ... اسرح طرفي في مبانيه العلى
واشتكي دهرا دهاني صرفه ... لما قضى بالبين فيما قد قضى
منازل كانت بنا اواهلا ... نلنا بها حينا أساليب المنى
كم بت في افيائها اجري الى ... غاياتها بطرف جد ما كبا
وكم سحبت اذ صحبت غيدها ... بروضها ذيل السرور والهنا
وكم مددت من سرادق على ... ضفة نهر ارج رحب الذرى
وكم سعدت اذ صعدت صهوة ... لمنزه ذي نزه لمن رنا
وكم هصرت فيه من غصن نقا ... من قد ظبي اهيف طاوي الحشا
وكم لثمت زهر ثغر أشنب ... من شادن عذب الثنايا واللمى
وكم رشفت من رضاب سلسل ... يفعل بالالباب افعال اللطا
أيام ازهار المنى مونقة ... والدهر ذو وجه منير مجتلى

تزف لي من الاماني ءامنا ... عرائس ذوات حلي وحلى
أنى ارجى لفؤادي سلوة ... من بعد بعد الموثقات المجتلى
ياليت شعري والاماني خدع ... هل يرجع الدهر لناعهدا مضى
وهل لنا من عودة لمعهد ... صبوت فيه جل ايام الصبا
اذلامشيب فوق فودي يرعوى ... من شينه ولا رقيب يختشى
ايام انس اسرعت في خطوها ... كذا اللذذات سريعات الخطا

☆ ☆ ☆

يا قلب لا تجزع فانت قلب ... وأنت عندي ذو دهاء وحجا
فلا يهولنك صَرف الدهر في ... ماقد جنى عليك من خطب النوى
فكل وصل ينتهي لفرقة ... تفري العرى منه وان طال المدى
والدهر في صروفه ذو عجب ... يدني بها كل جديد للبلى
يبكي اذا اضحك يوما أهله ... ويعقب الكرب اذا العيش صفا
كم ملك في نجدة من ملكه ... يضيق عن جنوده رحب الفضا
قد ملك الارض وراض صعبها ... وسيد القصور فيها والبنى
أخنى عليه دهره وعاقه ... عن كل ما شيده وما بنى
أين الالى سادوا وساسوا ملكهم ... كمثل ساسان وعاد وسبا
دارت على ادؤرهم دوائر ... وجرعوا كاس المنايا والردى
وأين باني ارم وجيشه ... صاروا رميما تحت أطباق الثرى
وملك كسرى حين تم ايده ... أوهته احداث الزمان فوهى

ولم تقصر عن ملوك قيصر ... حتى ابادتهم وطاحوا في البرى
ولم تدع من ملك غسان فتى ... سامي المعالي في ذراها فسما
وكم ملوك قهروا بملكهم ... اسد الشرى صاروا حديثا في الدنا

✡ ✡ ✡

هاذي هي الدنيا فلا يغررك ما ... تراه فيها من سرور وهنا
فانفض يديك من عراها وارمها ... وادر أبها ان كنت من اهل النهى
وظن بالاخوان شرا واخشهم ... وصير الاحباب منهم كالعدا
وان جهلت حالهم فاخبر فما ... يخبر قوما احد الاقلى
وسرك اكتمه عن الخلق ولا ... تطلع عليه احدا من الورى
واقنع على عز بما يكفي ولا ... تحرص فان الحرص ذل للفتى
وساير الناس على أخلاقهم ... وساعد المسعد واحمل من جفا
وصافهم وان أساءوا نية ... فانما لكل مرء ما نوى
كم من صديق مظهر لوده ... لكن له قلب على الحقد انطوى
يبش في وجهك ان لاقيته ... وان تغب يغتبك في كل ملا
يذيع ما يراه من قبح وان ... رأي جميلا منك أخفى ما رأى
فاترك اخا من هذه شيمته ... واهجره في الله ودعه والعمى
ولا تهابن ذوي الجهل وان ... راقك منهم منتدي ومنتمي
كم من اناس كالاناسي منظرا ... فهم اذا أشبه شيء بالدمى
وكم اناس في الدنا ليس لهم ... من العلا الا الاسامي والكنى

يرون أن المجد والعلياء في ... ما يغتنى من ابهات وكسى
ليس العلا والمجد الا لامرىء ... رنا الى افق المعالي وارتقى
وصمم العزم على ترك الهوى ... وجد في طلاب ما يجدي الثنا
وانتعل الشهب الدراري رفعة ... وامتهد البدر المنير واعتلا
وما المعالي غير علم رائق ... يصير المرء على اعلى السها
طوبى لمن برز في ميدانه ... وابتدر المسبق لديه وجرى
وجد فيه وحماه جده ... حتى ارتقى منه بأسمى مرتقى
ودان بالدين القويم والعلا ... وازدان بالخلق الجميل والتقى

☆ ☆ ☆

لله قوم قمعوا انفسهم ... عن الهوى اذ قرعوا باب الرضى
عابوا نفيس الدر والعقيان اذ ... باعوا نفوسهم بانفس علا
وأنت يانفس شغلت بالهوى ... حتى هويت منه في قعر هوى
فرطت اذ فرطت في اكتساب ما ... يردي ولم أسلك سبيل من نجا
كم خضت في بحر المعاصي جامحا ... لا ارعوي نصحا للحي من لحا
وكم تعبت اذ تبعت امـلا ... قد انقضت لذاته وما انقضى
واحسرتا قد مر عمري ضائعا ... بين خزعبلات لهو وهوى
هلكت في الهلاك لولا انني ... ذخرت ذخرا أرتجي به الهدى
وليس ذخري غير مدح احمد ... سيد أهل الارض طرا والسما

ويقول في اخرها منكتا على ابن دريد وحازم في مدحهما غير الذات المصطفوية:

مقصورة لكنها مقصورة ... على امتداح المصطفى خير الورى
فقت علاء كل ذي مقصورة ... وان هم نالوا الايادي واللها
فحازم قد عد غير حازم ... وابن دريد لم يفده مادرى
ما شبتها بمدح خلق غيره ... لرتبة احظى بها ولا جدا (1)

وللشيخ ابراهيم التازي دفين وهران:

اما ان ارعواؤك عن شنار ... كفى بالشيب زجرا عن عوار
ابعد الاربعين تروم هزلا ... وهل بعد العشية من عرار
فخل حظوظ نفسك واله عنها ... وعن ذكر المنازل والديار
وعد عن الرباب وعن سعاد ... وزينب والمعازف والعقار
فما الدنيا وزخرفها بشيء ... وما ايامها الا عوار

وله ايضا:

اصاح من رزق التقى وقلا الدنا ... نال الكرامة والسعادة والهنا
فاصرف هوى دنياك واصرم حبلها ... دار البلايا والرزايا والعنا
ووادها رأس الخطايا كلها ... ملعونة طوبى لمن عنها انثنى
لا تغترر بغرورها فمتاعها ... عرض معد للزوال وللفنا
لعب ولهو زينة وتفاخر ... لا تخدعنك جنانها مر الجنى
خداعة غدارة مكارة ... ما بلغت لخليلها قط المنى
اليوم عندك جاهها وحطامها ... وغدا تراه بكف غيرك مقتنى

(1) اطلبها فقد نشرناها اخيرا بشرح لطيف وترجمة مطولة لناظمها

فاقبل نصيحة مخلص واعمل بها ... يدنيك من رضوان ربك ذي الغنى

ولابن غازي:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين اعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو اخزى واخيب

وللشيخ رضوان الجنوي:

لا تركنن الى اهل الامارة في ... امر تحاول واقطع دونهم املا
وان ارادوك يوما ما على عمل ... «كل التراب ولا تعمل لهم عملا»

وللامام التصار

تسع ابى منها أولو ... الاحلام والهمم السنية
الا بحال ضرورة ... تدعو لها مع حسن نيه
وهي الشهادة والوسا ... طة والحكومة في القضية
وكذا الامامة والود ... يعة والتعرض للوصية
ثم الاجابة للطما ... م وللولائم والهدية
فسد الزمان واهله ... الا القليل من البريه

ولابي زيد البوعقيلي وجنسه:

تجبر بعض الناس كبرا ونخوة ... وعم جميع الناس منه فساد
فيا اسفي ان الافاضل قدمضوا ... فقام علينا الارذلون فسادوا

والسيد المهدي الفاسي:

مضي الجود والاحساو اجتث أصله ... واخمدت نيران الندا والمكارم

وصرت الى ضرب من الناس آخر ... يرون العلا والمجد جمع الدراهم
كانهم كانوا جميعا تعاقدوا ... على اللؤم والامساك في صلب آدم

وللشيخ عبد السلام جسوس

اذا ما خص بالاموال ناس ... وخص الله قلبك بالعلوم
فلازم شكر ربك كل حين ... اذا ما كنت من اهل الفهوم
وسافر عنهم بالقلب سافر ... وحط الرحل في باب الكريم

وله ايضا

اذا ما اعتز ذو جهل بمال ... وعظم في نفوس الجاهلينا
فاهل العلم اعلا الناس قدرا ... واعظم عند رب العالمينا

وللشيخ عبد الله العياشي

قامت قيامة من شابت نواصيه
فليتق الله وليترك معاصيه

وله

فوض الامر الى من حكمه ... نافذ في كل ورد وصدر
واذا نازعك الوهم فقل ... كل شيء بقضاء وقدر

ولابي العباس الهلالي من نصيحته:

يا ايها الانسان هب من كراك ... واصح من السكر الذي قد اعتراك
ان الرحيل يا أخي قريب ... وكلنا مسافر غريب
..والمرء لا يفوته عريب ... فكيف لا ينزود الاريب

فيا له من سفر ما اطوله ... ويا له من هائل ما أهوله
كفى الحمام واعظا لمن عقل ... فانظر فكم من قاطن قد انتقل
يا عجبا لغافل بطـــــال ... مثلي، حلف لهوه المطال
لو ظل يخشى ضرب صاحب امير ... كدر عيشه وغص بالنمير
ولم يكن عن حزنه بلاه ... ولا بمصغي الاذن للملاهي
وكيف يلهو وهو كل حال ... منتظر الموت والارتحال
وفتنة القبر وهوله الشديد ... وموقف الحشر وكربه المديد
وكل هول بعده مما تذوب ... له الصفا الصم فكيف بالقلوب
وكيف ينسى سكرات الموت ... وهوله وحسرات الفوت
وكيف يلهو ويلذ مطعمـــا ... مع علم ذاك أن ذا من العمى
فأعددن للرحيـــل الزادا ... وافتقد المزود والعـــزاد
والزم طلاب العلم بالاخلاص ... لكي ترى مناهج الخلاص
فالعلم نور والجهالة حلك ... ومن سرى في ظلمة الجهل هلك
والعلم ما اكسب خشية العليم ... فمن خلا عنها فجاهل مليم
لانه ميراث الانبيـــــاء ... فلم يحزه غير الاتقيـــاء
لذاك قيل العلم يدعو العملا ... ان يلفه قر والا ارتحلا
فاعمل بما علمت تورث علم ما ... لم تك تعلم وتربح مغنمـــا
واعلم بأن كدر الذنوب ... يكسف نور العلم في القلوب
الا ترى الذبال في المصباح ... اذا صفا ارضاك في اصطباح

وان يكن بوسخ ملطخـــا كسب نوره لذاك اللطخا
فاحذر على النور الذي وهبتا وان تضع نور الالاه خبتا
وزين العلم بزينة الورع واقنع فخدن الحرص في الذل كرع
ان القناعة أعز ملك وصرفة القنوع شر هلك
واطلب شفاء قلبك المريض من قبل ان تغص بالجريض
ولا تظن البرء من دواك الا بفطم النفس عن هواك
فاجهد أخي واجتهد وجاهد عسى بفضل الله أن تشاهد
واستنجدن مولاك في جميع ما ترومه فان ينزل منعما
فما به تطلبـــه تيسرا وما بنفسك فقـــد تعسرا

☆☆☆

واحتل على نفسك بالتدريج فانه أذهب للتحريـــج
وخالفنها ولا تطعهـــا وارع الودائع ولا تضعها
وهي الجوارح التي بها اكتساب للخير والشر وخف يوم الحساب
وهي لسان ثم فرج بطن يد ورجل ثم عين اذن
سبع كأبواب الجحيم في العدد فارع جميعها والزمها السدد
فانها مسئولة في الآجل شاهدة بما خبت في العاجل
فمن عصى بواحد منها فقد فتح بابا للجحيم قد وقد
وأصلها القلب فعالج داءه واحش بمرهم التقى سوداءه
صلاحه صلاحها لمن خبر والضد بالضد كما جا في الخبر

وأصل داء القلب حب العاجلة ... فانبذه واحتفل بأمر الاجلة
ولا يكن همك في الطعام ... والشرب تلك شيمة الطغام
ما ملأ المرء وعاء شرا ... من بطنه فاحذر وقيت الشرا
ولازم السنة واهجر البدع ... فالطرق قد سدت على من ابتدع
ولازم الصمت الحميد الا ... عن ذكر مولاك الكريم جلا
أو ما جرى مجراه مما تنتفع ... به ليوم هائل وترتفع
فكل ما يحصده اللسان ... يجده يوم الجزا الانسان
ولتك معنيا بحسن الخلق ... تحز رضا الحق به والخلق
واحرص على العزلة ما استطعت ... وان تسر من دونها انقطعت
فخلطة الناس أخي عقال ... والقيل لازم لهم والقال
فدعهم ترحهم وتستريح ... فقل من خالطهم ثم ربح
وافطع اذا رمت العلا العلائق ... وادفع بجنة التقى العوائق

ولابي علي اليوسي

انا أناس لست تبصرنا ... نتحين الطعم التي تزري
يعرى الفتى ويجوع وهو يرى ... متجملا بالصبر والبشر
والحرة الشماء ربتما ... جاعت ولم ترضع على أجر
والمورد العذب الفرات اذا ... رائته حمر سيم بالهجر
واذا ترى طيرا بمزبلة ... فالطير غير الباز والصقر
واذا رأيت المرء محتسيا ... كأس الهوان فليس بالحر

والحر ليس حياته بسوى ... عز الجناب ورفعة القدر
لا الطعام ولا الشراب ولا ... استلقائه بارائك ور
واذا تزايلك الحياة فما ... من عيشة تبقى ولا عمر
وسؤال ذي لؤم وذي بخل ... ورجاؤه لنوائب تجري
أنكى لقلب اخي المروءة من ... نقل الجبال ومحمل الصخر
وأضر من كل المصائب ان ... عظمت عليك وكلما شر
وتقلد للمن من يده ... غل على هاديك في الاسر
بل وخنزة في القلب ناكئة ... بل طعنة في لبة النحر
وغناك عنه بالقناعة فى ... حاليك من عسر ومن يسر
اجدى من الملك الذي جمعت ... أبناء هرمز غابر الدهر
والذم من سنة الشباب على ... جدة ومن وتر على وتر (1)
ولباس صونك عن تملقه ... أبهى من الاستبرق الخضر
وحلا الوقار عليك أجمل من ... أن تحتلي بقلائد النضر
وصبابة من ماء وجهك أنـ ... ـفس من رحيق سلسل غمر
فاذا عرتك الحادثات فثق ... بمليكها ذي الخلق والامر
واصبر لروح الله مرتجيا ... فلتحمدن عواقب الصبر
ان اصطبار المرء مفتتح ... متغلق البأساء والعسر
ومنفس عنه الكروب اذا ... ضاقت بهن جوانح الصدر

(1) الوتر هو من قول بعض العرب اعجب الاشياء وتر بالفتح على وتر بالكسر اي وقاع على فراش وثير.

كم من حزين بات مكتئبا متسعر الاحشاء ذا زفر
لا يرتجي جلباب ليلته ان ينثني طرفاه بالسفر
فأتته ألطاف منفسة لفؤاده من حيث لا يدري
ولكم بعيد الضيق من سعة ولكم بعيد العسر من يسر
هل بعد معترك الظلام سوى بلج الصباح وطلعة الفجر

☆☆☆

واذا تحاول نيل مكرمة فانهض اليها نهضة الشمر (1)
واركب جواد الجد مكتفتا ذيل الملالة منك والفتر
واعلم بأن الغوص في لجج خضر يحق لجالب الدر
ولدى الرباح الكثر يحمد ما جاب المفاوز صاحب التجر
ولدى الصباح يكون مغتبطا وينال بغيته الذي يسري
وتسنمن ذرى الامور ولا تخلد الى سفاسفها الخضر
واعلم بانك ما استطعت جني الا لطيب الجذر والبذر
والكرم يجدي المجتني عنبا والشوك لا يجدي سوى الشصر (2)
ولكم ترى مرعي ولست ترى كرعاية السعدان والشغر
والناس كالغوغاء هائمة لو كان يبلو الناس ذو خبر
والمرء كل المرء بينهم ذو الملبس الزاهي وذو الوفر
لا ينظرون الى الوفاء ولا فضل الذكاء وثاقب الفكر

(1) الشمر بالكسر البصير النافذ.
(2) الطعن والوخز

فتوخ في الناس الوفي اذا ... عاشرتهم وحذار ذا الغدر
واسبرهم قبل الاخاء ولا ... تغتر في الاخوان بالسبر
كم من اخ سذق الوداد على ... ما فيه من أمن ومن سبر 1
ان تلقه فالشهد مغسوله ... واذا تغيب يكون كالصبر
واذا تصادف ذا الصفاء فكن ... منه ولو صافاك ذا حذر
واسم سوائم سرحه طررا ... مطروقة من مسرح السر
وصن السرارة 2 واللباب ولا ... تبذل له منها سوى القشر
فلربما يلوي الزمان به ... فيكون ابصر فيك بالضر
واذا تصاحب أو تجالس أو ... تنتب فالتمس ذوي القدر
فصداقة النبهاء معجزة ... وبها ثواؤهم من الفخر
وصداقة اللؤماء معقبة ... لؤما كمثل حكاك ذي العر
والساقط الواني ، مشاتمه ... كالبائم العقيان بالصفر
والحظ والمقدار ما حصرا ... في ذي الذكاء ببيت يستمري
بل منحة أزلية نشات ... بيدي مدبرها على قدر
واذا نظرت وجدت في قرن ... غمر الغني وجهالة الغمر
وترى اللبيب يبيت في ضيق ... بهمومه متقسم الفكر
ليكون فضل حجا الفتى عوضا ... عن فضل مال الانوك الكثر
وتكون احكام الالاه جرت ... في الخلق عن علب وعن قسر

1 بالكسر العداوة، 2 سرارة الشيء اطيبه وخالصه

والمرء ممدود له أجل ... فسح مداه مصائب القبر
فاعد لليوم الذي خضعت ... فيه الطلا لرواجب الذعر
وتحولت فيه الذين هم ... قنن الذرى شمما الى الذر
وتدوسهم أقدام طائفة ... كانت لديهم موقع السخر
وازمم ركابك للرحيل غدا ... ان الخليط غدوا على ظهر
وتسل عن ليلى فقد ازفت ... عنها النوى ومضاضة الهجر
واعلم بان الوجه ذو شحط ... ومخاوف ومجاهل غبر
فتزودن وخير زادك من ... تقوى المهيمن سامع الامر
واذا ارتحلت فلا تشذ وسر ... وسط الخليط ومعظم السفر
وحذار رحلك يقتفي سبلا ... عن نهجهم فيظل في القفر
وارع البطاح اذا مرعن ولا ... تترقين بحالق وعر
واذا ظمئت ففي الاصيل برد ... فردا عن الضوضاء والكدر
واذا رأيت سفينة خرقت ... فتأن لا تعجل الى النكر
واذا تكون نزيل ذي كرم ... رحب الذري متفضل غمر
لا يعدم العافي نداه ولا ... يعتل عن ذهل وعن فقر
فأرح فؤادك أن يكون به ... هم الى زاد على ذكر
وحذار أن يلقاك مرتجيا ... ما يحتبيه سواه من خبر
وكن الخلي وأنت ضائفه ... عار النزيل على الذي يغري

وللعلامة المرغيثي:

من لم يكن يرضى بما قد قسم فهو ظلوم ظن أن قد ظلم
يسخط حيث السخط لا يقتضي نفعا ولكن ضره قد علم

ولابي عبد الله الخمسي المتوفي بدمشق 1158

خبز شعير وماء بيـــــــر يكون قوتي مع السلامة
أفضل عندي من خفض عيش تكون عقباه الندامة

ولابي عبد الله الشرقي صاحب العلمي:

كل امريء يصبو الى مثله وطائر يأوى الى شكله
من لا يكون الخير في فرعه فكيف كان الخير في أصله
من أجمع الناس على لؤمه خاب الذي يطمع في فضله
من جار في الحكم بلا قدرة لم تاته القدرة في عدله
ومن اهان الناس ظلما لهم دلته دنياه على ذلـــــــه

وله في شكوى الزمان وغدر الاخوان:

وما في الدهر غير أخ خؤون لورد الظلم يسرع كالظليم
ولم أر منصفا الا قليلا بصدق الود والقلب السليم
ولم أنكر من الايام عيبا سوى رفع اللئيم على الكريم

ولابي حفص الفاسي من قصيدة على منوال لامية العجم:

لا تعتبن على دهر تساء به فما على الدهر من عتب ومن عذل
واستغن بالله لا يغنيك ما جمعت أيدي الانام وغير الله لا تسل
وكيف تسأل عبدا لا غناء له ام كيف تسئل ذا فقر وذا بخل

ما اعتضت عن بذل ماء الوجه من عوض ... يوما ولو نلت ما ترجوه من امـــل

والمال يبذل في الاعراض تالده ... فلا تنلـه بعرض فيـه مبتـذل

والماجد الفخم لا ينفك معتقلا ... رمح الاباية من سوء ومن خطل

يحمي الذمار ويصمي من يحاربه ... ويستقل فلا يلوى على رجـل

وليس يلفى على الاثراء ذا بطر ... ولا من الفضل في الافلاس ذا عطل

تابى له الهمة الشماء محجمة ... عن موقف الذل ان يرعى مع الهمل

ويشمخر بانف العـز منقبـضا ... عن رتبة نالها الاوغاد بالحيـل

وموروث العز رب العز أجمعه ... فالعز بالله لا بالمـال والخـول

والانس بالله لا بالناس قاطبة ... والنصر بالله لا بالبيض والاسل

والحر يستف ترب الارض محتملا ... وليس للمن من كعب بمحتمل

ويهجر المنهل العذب البرود اذا ... ما من بالورد عن لغب وعن غلل 1

ملك القناعة لا تنفك امرته ... في ظل عز مديد غير منتقـل

فنم به غير مزءود (2) ولا وجل ... ففي القناعة منجاة من الغيل

وان سئمت أو استوخمت منزلة ... فعالج النفس بالترحال والنقل

فالسلسل العذب في الانهار مطرد ... وراكد الماء لا يخلو من الدخل

وخض لنيل العلا بحر المكاره لا ... تجبن فما يدفع المقدور في الازل

وان ظفرت بغمر العيش في دعة ... فاذكر رفيقك اذا أصبحت ذا وثل 3

ما أيسر المرء والاتباع معسرة ... ولا اعتلى قدره والاهل في نهل 4

(1) عن تعب وعطش. (2) مذعور. (3) مال. 4 عطش.

ولن ترى لعريق المجد من سمة ... كشيمة الحلم والاعضاء والرسل(1)

ماضر بدر الدجى في الافق تنبحه ... سود الكلاب وقد سار على مهل

واصبر على مضض الحساد متئدا ... فالصبر يوليك ما اولاه لم تنل

أما يسرك أن القوم قد ضمنت ... صدورهم أعظم الادواء والعلل

يا ويحهم كلما زاد الفتى شرفا ... زادوا به اسفا يدني من الاجل

اولى لهم سخطوا صنع الحكيم فما ... اولاهم بعظيم الخزي والفشل

وللاعادي اياد جل موقعها ... عندي فكم جنبوني موقع الزلل

وكم تجشمت طرق الجد معتجزا ... ثوب الصيانة عن عجز وعن كسل

وكم لبست دروع الحزم ممتطيا ... سوابق العزم لم انكل ولم أهل

وكم تسنمت أعلى ذروة فغدت ... منازلي بهم تربى على زحل

فقل لمن لاحظ العلياء ناظره ... فصار ينهض نهض الشارب الثمل

ابالتكاسل تبغي نيل مأثرة ... هيهات كم بين ذي عزم وذي وهل

عن ساق جدك شمر ذيل محترم ... ذي قوة غير هياب ولا وكل

وقل لمن يبتغي صفوا بلا كدر ... لابد في العيش من صاب ومن عسل

ودون شهد المنى من نحله ابر ... فاصبر لها ان اردت الفوز بالنحل(2)

وسامح الخل ان زلت به قدم ... فلست تبصر خلا غير ذي زلل

وان تضعضع ركن الود منه فلا ... تعجل وقد خلق الانسان من عجل

فاشدد قواه وحاذر أن تعنفه ... فرب نفس امريء تغتاظ بالعذل

(1) السهولة واللين. 2 جمع نحلة وهي العطية.

ءاه فالسنة التجريب قائلة ... توهم الخل في الدنيا من الخلل
وانما الخل من يوليك نائلة ... دأبا وينجد عند الحادث الجلل
وليكتم السر ان افشاه ذوسفه ... ويجبر الخلل المرموق بالخلل
ويحفظ الود في سر وفي علن ... ويذكر العهد في ضنك وفي غفل
ويصحب الصدق في جد وفي هزل ... ولا يخالف بين القول والعمل
فمبرم العهد منه غير منفصم ... ومضمر الود فيه غير منفصل
وءاية الصدق في دعواه بينة ... من رام نقض عراها الدهر لم يصل
فرض على الياس منه نفس ذي كرم ... وكن خليقا بذي الأخلاق واحتمل
فانها عقبات المجد يوشك أن ... يقتحم الندب منها وعزة السبل
ودونك العلم لا تبغي به بدلا ... وكيف يرضى أخو التمييز بالبدل
فالعلم نور مبين يستضاء به ... وخطة ما لها في الحسن من مثل
فاملأ جرابك منه غير مكترث ... بما يراه أخو كبر وذو خجل
وروض النفس واستكمل فضائلها ... تجني ثمار المنى من روضها الخضل
وتجتلى انجما زهرا وءاونة ... بدور تم واخرى الشمس لم تزل
تلك السعادة لا جاه وميسرة ... ولا الترفه والارفاه في الحلل
فالمرء بالنفس لا بالجسم مرتفع ... والسيف بالنصل لا بالغمد والخلل
والنفس أنفس ما يعنى اللبيب به ... فاربأ بنفسك أن تعنى بمنسفل
والجأ الى الله في أمر تحاوله ... وابرأ الى الله من حول ومن حيل
وكل الى الله كل الامر واغن به ... عمن سواه فان الله خير ولي

ولابن الرنسان من قصيدته الشمقمقية التي مدح فيها السلطان محمد بن عبد الله وقد الفينا هذه الصفة العرضية واعتبرناها كما هي قصيدة ادبية ولم نطول بشرح غريبها وتفسير اشاراتها وكناياتها اعتمادا على قرب ذلك من متناول اقاريء بسبب الرجوع الى شرحها الذي نشرناه منذ سنتين

مهلا على رسلك حادي الاينق ... ولا تكلفها بما لم تطق
فطالما كلفتها وسقتها ... سوق فتى من حالها لم يشفق
ولم تزل ترمي بها يد الذوى ... بكل فج وفلاة سملق
وما ائتلت تذرع كل فدفد ... اذرعها وكل قاع قرق
وكل ابطح واجرع وجزع ... وصريمه وكل أبرق
مجاهل تحار فيهن القطا ... لا دمنة لارسم دار قد بقي
ولم تزل تقطع جلباب الدجى ... بجلم اليد وسيف العنق
فما استراحت من عبور جعفر ... ومن صعود بصعيد زلق
ألا وفي خضخاض دمع عينها ... خاضت وغابت بسراب مطبق
كانما رقراقه بحر طمى ... والذوق أمواج عليه ترتقي
وكل هودج على أقتابها ... مثل سفين ماخرا وزورق
مرت بها هوج الرياح فهي في ... تفرق حينا وحينا تلتقي
وكم بسوط البغي سقت سوقها ... سوق المعنف الذي لم يتق
حتى غدت خوصا عجافا ضمرا ... أعناقها تشكو طويل العنق
مرثومة الايدي شكت فرط الوجا ... لكنها تشكو لغير مشفق

من بعد ما كانت هنيدة غدت ... أكثر من ذود ودون شنق
وان تماديت على أتعابها ... ولم تكن منتهيا عن رهق
فسوف تعروك على اتلافها ... ندامة العسكي والفرزدق
وكنت قد عوضت عن اخفافها ... خفي حنين ظافرا بالانق
لانت اظلم من ابن ظالم ... ان كنت من بعد بها لم ترفق
رفقا بها قد بلغ السيل الزبى ... واتسع الخرق على المرتق
وهب لا يديهن ايدا ولها ... متنا متينا ما خلا عن مصدق
فما لظعن حملت من مرة ... بظعن اودى بها في الغسق
اسأت للغيد وللذوق ولي ... اساءة بتوبة لم تمحق
لو لم يكن بحب حلم أحنف ... والمنقري قلبي ذا تعلق
حملت رأسك على شبا القنا ... مروعا به حداة الايذق
فسق فلانعم عوفك ولا ... امن خوفك ولا تدرنفق
ودع يسوق بعضها بعضا فقد ... دنا ولوجها بوعر ضيق
ولتتخذني رائدا فانني ... ذو خبرة ببهمات الطرق
ان غرثت علفتها ولو بما ... جمعته من ذهب وورق
او صديت أوردتها من أدمعي ... نهر الابلة ونهر جلق

☆☆☆

رفقا بها شفيعها هوادج ... غدت سماء كل بدر مشرق
من كل غيداء عروب بضة ... رعبوبة عيطاء ذات رونق

خريدة ممسودة رقراقة وهنانة بهنانة المعتنق
وقل لربات الهوادج انجلين ءامنات فزع وفرق
فاني أشجع من ربيعة حامي الظعينة لدى وقت اللقي
فربما يبدر اذا برزن لي ريم اليه طار بي تشوقي
لبني وما أدراك ما لبني بها عرفت صبا مغرما ذا قلق
تسبي بثغر أشنب ومرشف قد ارتوى من فرقف معتق
وناعم مهيكل وفاحم مرجل وحاجب مرتق
وعقب محجل ومعصم مسور وعنق مطوق
ومقلة ترمي بقوس حاجب لاحظها بسهمها المفوق
تمنع مس جسمها لثوبها ثلاثة مثل الاثافي في الرقي
حقان من عاج وقعب فضة من ظاهر وباطن كالشفق
وزاد سك الخال ورد خدها حسنا وقد عم بطيب عبق
وقبلت أقدامها ذوائب سود كقلب العاشق المحترق
كم أودعت في مقلتي من سهر وأضرمت في مهجتي من حرق
ولا يزال في رياض حسنها يسرح فكري ويجول رمقي
ولا تسل عما أبث من جوى وما تريق من دموع حدق
يوم اشتكي كل بما في قلبه لحبه بطرفه بما لقي
ماعذر من يشكو الجوى لمن جفا وهو لدمع عينه لم يرق
ءاه على ذكر ليال سلفت لي معها كالبارق المؤتلق

في معهد كنا به كنخلتي حلوان في وصل بلا تفرق
نلنا به ما نشتهي من لذة ودعة في ظل عيش دغفق
ازمان كان السعد لي مساعدا ومقلة الرقيب ذات بخق
واليوم قد صار سلام عذق يقنع من لبني اذا لم نلتق

☆☆☆

والله لو حلت ديار قومها واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون حالك وجفنها لم يكتحل بارق
مع ثلاثة تقي صاحبها ما لم تكن نون الوقاية تقي
سيف كصمصامة عمرو باتر لا يتقي بيلب ودرق
وبين جنبي فؤاد ابن ابي صفرة قاطع قرا ابن الازرق
وفرس كداحس أو لاحق يوم الرهان شأوه لم يلحق
تقدح نيران الحباحب حوا فره عند خبب وطلق
كالريح في هبوبه والسمع في وثوبه وكالمها في فشق
به اجوس في خلال دارها وأنثني كالبارق المؤتلق
فان تك الزبا دخلت قصرها وكقصير سقتها للنفق
ومن حماها ككليب فله جساس رمح راصد بالطرق
لابد لي منها وان تحصنت بالابلق الفرد وبالخورنق
لابد لي منها وان عثرت في ذيل الحسام والسنان الازرق
فان ظفرت بالمنى من وصلها بالغت في صيانة العرض النقي

وان بقيت مثل ماكنت فلا ... زلت بغيض مضجعي ونمرقي
أشن كل غارة شعوا على ... من يحمها في مغنب أو فيلق
وفي خميس من خيار يعرب ... ذوي رماح وخيول سبق
من أسرتي بني ملوك فهم ... اطوع لي من ساعدي ومرفقي
سل ابن خلدون علينا فلنا ... بيمن مثاثر لم تحق
وسل سليمان الكلاعي كم لنا ... من خبر بخيبر وخندق
ويوم بدر وحنين وتبو ... ك والسويق وبني المصطلق
بهم فخرت ثم زاد مفخري ... بادبي الغض وحسن منطقي
وزان علمي ادبي فلن ترى ... من شعره كشعري المنمق
فان مدحت فمديحي يشتفي ... به كمثل العسل المروق
وان هجوت فهجاءي كالشجي ... يقف في الحلق ومثل الشرق
فبشرن ذاك الحسود انه ... يظفر في بحر الهجا بالغرق
وقل له اذا اشتكى من دنس ... انت الذي سلكت نهج الزلق
وفقت في الجرأة خاصي اسد ... فمت بغيظك وبالريق اشرق
وما الذي دعاك يا خب الى ... ذا الافعوان ذي اللسان الفرق
نطقت بالزور امما كنت تعي ... ان البلا موكل بالمنطق
ولم تخف من شاعر مهما انتضى ... سيف الهجا فرى حبال العنق
فلتق نفسك بكفك ولا ... تسم فصيح النطق بالتمشدق
فذاك خيرلك واستمع الى ... نصح الحكيم الماهر المدقق

فكن مهذب الطباع حافظا لحكم وأدب مفترق
وعاشر الناس بخلق حسن تحمد عليه زمن التفرق
ولا تصاحب من يرى لنفسه فضلا بلا فضل وغير المتقي
وكل من ليس له عليك من فضل فلا تطمعه بالتملق
وفوقن سهم النميري لمن لطرق العلياء لم يوفق
وافعل بمن ترتاب منه مثل فعل المتلمس اللبيب الحذق
القى الصحيفة بنهر حيرة وقال يابن هند اعد وابرق
ولا تعد بوعد عرقوب اخا وفه وفا سموأل بالابلق
شح باذرع امرىء القيس وقد ترك نجله غسيل العلق
ومثل جار لابى دؤاد لا تطمع به ان لم تكن بالاحمق
واحمد جليسا لاتخاف شره وكابن شور لن ترى من مطرق
ونم كنوم الفهد او عبود عن عيب الورى والظن لا تحقق
ولتك ابصر من الهدهد والزر قا بعيب نفسك المحقق
وكن كمثل واسطى غفلة عن شتم ضارع وعتب سقق
واعد على رجلي سليك هاربا من قرب كل خنبق وسهوق
وكن نديم الفرقدين تنج من منقص ومن طرو الرنق
وكن كعقرب وضب مع من عليك قلبه امتلا بالحذق
تمث لانعجل وكن ابطأ من غراب نوح او كفند الموسقي
مضى لنار طالبا وبعد علم جابها يسب فرط القلق

وخذ بتارك وكن كمن اتى ... بالجيش خلف شجرذي ورق
وانتهز الفرصة مثل بيهس ... وبالمدى لحم العداة شرق
وكابن قيس بهم كن مولما ... وليمة شهيرة كالفلق
يوم ملاكه بأم فروة ... عرقب كل ذات اربع لقي
ولا تدع وان قدرت حيلة ... فهي اجل عسكر مدهدق
ان كان في سفك دم العدا الشفا ... سفك دم البريء غير اليق
ولا تحارب ساقط القدر فكم ... من شاهة قد غلبت ببيذق
وكم حبارى امها صقر فلم ... يظفر بغير حتفه بالذرق
وكم عيون لاسود دميت ... بالعض من بعوضها الملتصق
والخلد قد مزق اقوام سبا ... وهد سدا محكم التأنق
ولا تنقص أحدا فكلنا ... من رجل وأصلنا من علق
لا تلزم المرء عيوب أصله ... فالمسك أصله دم في العنق
والخمر مهما ظهرت فبينها ... وبين أصلها بحكم فرق
ولا يؤيس طامعا في رتبة ... لمثلها نظيره لم يلحق
فالزرد يوم الغار لم يثبت له ... فضل وكان الفضل للخدرنق
وقوس حاجب برهنها لدى ... كسرى اطمأن قلبه مما لقي
لا تغش دار الظلم واعلم أنها ... أخرب من جوف حمار خلق
ولا تبع عرضك بيعة ابى ... غبشان بيع الغبن والتبلصق
باع السدانة قصيا واخذا ... عوضها نحيا من ام زنبق

ولا تكن كأشعب فربما تلحق يوما وافد المحرق
ولا تكن كواو عمر زائدا في القوم أو كمثل نون ملحق
لا ترجون صفوا بغير كدر فذا لعمر الله لم يتفق
لا تكتم الحق وقله معلنا فهو جمال صوتك الصهصلق
وصح به شبه شبيب وأبي عروة والعباس عند الزعق
لا تامن الدهر فان خطبه أرشق نبلا من رماة الحدق
لا تنس من دنياك حظا والى كالطلفاني والخصيب انطلق
واعضل كهمام بذات فكرة ضنا بها عن غير مجل معرق
كي لا تقول بلسان حالها مقال هند الق من لم يلق
وسل مهور كندة ان تهدها لذي ندى كالبحر في تدفق
لا تهج من لم يعط واهج من اتى الى السراب بالدلاء يستقي
وعد لما عودت من بذل اللها فالعود أحمد لكل مملق
ولا تعد لحرب من من ولو من فما غل يدا كمطلق
والعود يختار على من كان كالـــمختار أومن كان ذا تزندق
والصمت حصن للفتى من الردى وقل من شر لسانـــه وقي
وان وجدت للكلام موضعا فكن عرارا فيه أو كالاشدق
لا تبخلن برد ما استعرته كضابيء فالبخل شر موبق
شح برد كلب صيد وهجا أربابه ظلما فلم يصـــدق
ومات في سجن ابن عفان كما قضى الاله ميتة المحزرق

ونجله من أجله اجلـــه من سطوة الحجاج لم يكن وقي
واسترع ن الحساد كل نعمة كم فاضل بكأس مكرهم سقي
فصاعد على مديـــح وردة أصبح منحطا بقول سهوق
وافخر كفخر خالد بالعير والنـــفير لا بحلة من سرق
واتخذ الصبر دلاصا سابغا وبمجن عمر لا تتق
وان حملت راية الامر فكن كجعفر اودع ولا تستبق
قد قطعت يداه يوم موتة ولم يدعها لكمى سوحق
لكنه احتضنها لحبهـــا فيا له من سيد موفق
وكن اذا استنجدت مثل من غزا أرض العدا بكل طرف ابلق
وسم عدو الدين بالخسف وكن مثل أبي يوسف ذي التخبق
رد كتاب من دعاه للوغى منهم ممزقا لفرط الحنق
وقال انـي لا أجيب بسوى جيش عرمرم وخيل دلق
وضرب الفسطاط في الحين وقد أحاط جيشه بهم كالشوذق
وكان ما قد أبصروا من بأسه أبلغ من جوابه المشبرق
ياصاح واشغل فسحة العمر بما يعني وزر غبا رسوم العيهق
وابك على ذنب وقلب قد قسا كالصخر من هواه لم يستفق
بمقلة كمقلة الخنساء اذ بكت على صخر بلا ترفق
أو كبكا فارعة على الوليـ ـد وبكاء خندف وخرنق
أو كن متمما بكا متمم على الذنوب وارج عفو معتق

وكن خميص البطن من زاد الربا ... وخمرة التقوى اصطبح واغتبق
وحصل العلم وزنه بالتقى ... وسائر الاوقات فيه استغرق
وليك قلبك له افرغ من ... حجام سباط ومن لم يعشق
ولا تكن من قوم موسى واصطبر ... لكده وللملال طلق
فالعلم في الدنيا وفي الاخرى له ... فضل فبشر حزبه شرا وقي
واعن بقول الشعر فالشعر كما ... ل للفتى ان به لم يرتزق
والشعر للمجد نجاد سيفه ... وللعلا كالعقد فوق العنق



الباب الخامس في الملح

لعبد الله الكفيف الطنجي يهجو حاميم الغماري الذي ادعى النبوءة في قبيلته وظفر به الناصر المرواني:

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل — اليهم بدين واضح الحق باهر
فقلت كذبتم بدد الله شملكم — فما هو الا عائر وابن عائر
فان كان حاميم رسولا فانني — بارسال حاميم لاول كافر
روى عن عجوزذات افك كهينة — تقارن في اسحارها كل ساحر
أحاديث افك حاك ابليس نجسها — فسيرها دينا وبين السرائر

وللخطابي في مثله:

وجد النبوة حلة مطوية — لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فأسر حسوا في ارتقاء يبتغي — بمحاله نسجا على منوالها

ولمالك ابن المرحل يخاطب نفسه حين بلغ الثمانين سنة:

يا أيها الشيخ الذي عمره — قد زاد عشرا بعد سبعينا
سكرت من أكواس خمر الصبا — فحدك الدهر ثمانينا

ولابي عبد الله المكودي وقد بعث له بعض اخوانه بشرائب مذيق:

بعثت بخمر فيه ماء وانما — بعثت بماء فيه رائحة الخمر
فقل عليه الشكر اذ قل شكرنا — فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر

وللرئيس أبي القاسم العزفي المتوفي 768 يهجو ابا عبد الله الجزولي

قاضي فاس وقد ورى ببابين من أبوابها:

أقاضي فاس لقد شنتهـــــا فأحدثت فيها أمور شنيعة
ظلمت العباد ورمت العناد وخادعت في الدين كل الخديعة
فتحت لنجلك باب (الفتوح) وأغلقت للناس باب (الشريعة)
فبادر مولى الورى فارس (1) بعزلك عنها لسد الذريعة

وللامام ابن غازي في القلم:

وساكن قبر طعمه عند رأسه اذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم فيمشي صامتا متكلما ويأوي الى القبر الذي منه قوما
فلا هو حي يستحق زيارة ولا هو ميت يستحق ترحما

ولابن عبد المنان وعرض له جني فيما بين فاس ومكناس وقال له:

اخذتم السابح في لجـــة ولم تفتكم ذوات الجناح
هذا وقد أنشئتـــــم للفنا فكيف لو خلدتم يا قباح

فأجابه ابن عبد المنان:

بالعقل قد فضلنـــا ربنا وسخر الفلك لنا والرياح
الحوت والطير حلال لنا فما عينا علينا فيهما من جناح
وان غدونا عرضة للفنا عين فانا عطفة للنجاح
فانه يفضي الى دعوة لدار خلد ليس عنها براح

ولرابح بن عبد الصمد المديوني الفشتالي (من اهل القرن العاشر) في

(1) هو السلطان ابو عنان المريني

أبي الفضل الشريف المكي:

اكل هجين ابعدته يد النوى ... يلوذ بأبواب الورى يتكفف
وكل زنيم جاهل قدر نفسه ... يزاحم أهل البيت كي يتشرف

وله في اسود:

واسود يفتت الدجى من جبينه ... تشاءمت من رؤياه عند الملاقات
له نعمة ليست تليق بمثله ... من النعمة المغبوطة الحسنات

ولابن الخطيب الزرويلي المتوفى 993 يهجو مدينة مراكش؛

ما كان ظني وحق الله فرقتكم ... لو ان مراكشا كانت تواتيني
اظل في نصب مما أكابد من ... نفض الغبار ومن طرد الذبابين
وطول ليلي في كد وفي تعب ... ما بين بق وناموس يناغيني
أبيت احرس فرشي من عقاربها ... والقلب في فكر منها وتخمين
اذا رأيت سوادا مر بي واتى ... ظننتها عقربا ذبث لتوذيني
لم يبق في الفم ضرس استعد به ... أفناه مضغ الحصى من الطواحين
منوا علي باطلاقي بفضلكم ... هذا العجاج بها قد كاد يعميني
لم يبق في الكيس فلس استعين به ... أفنيت مالي في غسل وتصبين

وله في القصر:

ارحل من القصر واسمع قول ذي ثقة ... ان المقام به ضرب من الحمق
ان لم تمت في اوان الحر محترقا ... لم تنج فيه زمان البرد من غرق (1)

(1) يبدنا لهاج في مدن اخرى ولكنها تتناول اهل تلك المدن وتوذي كرامتهم فلذلك تركناها كغيرها من الاقوال الفاحشة. (من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه).

ولابن عمرو الشناوي في العدول الجهال:

ان العدول الالى جاد الزمان بهم ... عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
احداث سن والباب كسنهم ... تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

ولابن علي اليوسي انفذه في رقعة لبعض الاضياف:

كلوا واعذروني في التخلف انني ... رأيت اتباع الظرف ليس من الظرف(1)
واحسن ظرفي ترك ضيفي كما يشا ... وليس ارتقاب الضيف من شيم الطرف(2)

وللفقيه الاديب عبد السلام الزموري المتوفى 1279 في الأتاي:

الحمد لله الذي نعمنا ... بكل مطعوم به أطعمنا
وكل مشروب لذيذ أطيب ... حلو حلال كالغمام الصيب
مثل الاتاي (اللندريزي) مذهبه ... على صفا صينية ملتهبة
تطاير الهم لديه وانشرح ... صدر الذي يشربه من الفرح
فان يكن معتبرا فذاك في ... مذهبنا المعروف خير ما اصطفي
وذا الى ثلاثة او اربعا ... من الاحبة وما زاد ادفعا
ما لم يكن مغنيا او مطربا ... أو ذا ملاحة يرى محببا
فهو الذي يقيمه ويحسنه ... وكلنا من يده نستحسنه
وان يكن منعما فذاك لا ... وحقكم يصلح الا للملا
أو للذي أولع بالخناوي 3 ... أو اشتكى ضرا فللتداوي
خذه فدتك النفس من قبل الطعام ... أو بعده فما عليك من ملام

1 الظرف الاول بمعنى الاناء والثاني اللطافة والادب. 2 الطرف بالفتح الفتى الكريم.
3 الاتاي الخناوي الردىء النوع منسوبا الى الخناء على غير قياس.

الا اذا كان الطعام كسكسا ... فكل من أخره فقد أسا
ووقته وقت سرور وانبساط ... وحينما دعا لشربه النشاط
وقت الصباح عندهم مستحسن ... لكنه بعد العشاء أحسن
اذ وقته وقت فراغ البال ... وراحة القلب من الاشغال
والامن من كل ثقيل يدخل ... او خبر على النفوس يثقل
مع اتساع الوقت للمنادمة ... ولذة الجلوس والمكالمة
وذاك في الصباح لا يتفق ... وهو من بعد العشا محقق
اكرم بذاك الوقت وقت الكرما ... وانما الليل نهار الندما
يومن فيه مع غلق الباب ... وسدل ما يستر من حجاب
واختر له من الشموع الابيضا ... كألسن الافعى اذا تنضنضا
على دخان العود اذ يحترق ... وماء ورد عطره ينتشق
ولا أرى الأتاي بالقنديل ... والزيت والمنخاس والمنديل
اذ كل امره على النظافة ... قد انبنى وشرطه الاطافة
لاسيما الساقي الذي يناوله ... كذلك الكأس الذي نستعمله
وشربه على خلاء المعدة ... جاز على شرط حضور المائدة
تاخذ منها لقمة او لقمتين ... من قبل أن تشرب منه حلقتين
وأخرنه مطلقا حيث تلا ... ما كان مالحا يرى مخللا
وشربه على الشواء والكباب ... يفتح للصحة منه الف باب

الباب السادس

في الرثاء وذكر الموت

وللشيخ الوراس بن اسمعيل وقيل ليست له وانما كان يكثر من انشادها:

غفلت وحادي الموت في اثري يحدو * وان لم ارح ميتا فلا بد أن اغدو

أرى العمر قد ولى ولم ابلغ المنى ... وليس معي زاد وفي سفري بعد

انعم جسمي باللباس وليته ... وليس لجسمي من قميص الثرى بد

كأني به قد مد في برزخ البلى ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد

وقد ذهبت مني المحاسن كلها ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد

فكيف اذا بالدار يا رب قربت ... ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد

عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فقد يغفر المولى اذا أذنب العبد

ولابي جعفر بن عطية يبكي نفسه:

أنوح على نفسي ام انتظر الصفحا ... فقد آن ان تنسى الذنوب وان تمحى

وها أنا في ليل من السخط حائر ... ولا أهتدي حتى ارى للرضا صبحا

ولميمون الخطابي يرثي عبد الله بن ابي بكر ابن الجد ويعزي اباه وهو يومئذ وزير اشبيلية وعظيمها وكانت حاضرة الاندلس:

أرجة الصعق يوم النفخ في الصور ... أم دكة الطور يوم الصعق في الطور

أم هدة الارض اظهارا لمازجرت ... به الخليفة من ايفاع محذور

أم الكواكب في آفاقها انتثرت ... وباتت الشمس في طي وتكوير

ما للنهار تعرى من ثياب سنا ... وشابه الليل في أثواب دجور
اصخ لتسمع من أبنائها نبئا ... يطوي من الانس فيها كل منشور
وانظر فان بني عدنان ماحشروا ... الا لرزء عظيم القدر مشهور
وافى مع العيد لاعادت مضاضته ... فشاب سلساله الاصفى بتكدير
واعتام دارالها في السبق جمهرة ... من المفاخر أزرت بالجماهير
رمى قريشا فأصمى سهم حادثه ... أبناء فهر بتوفيق المقادير
فخانها الجد في ابن الجد يوم قضى ... وأثر الخطب فيها أي تاثير
لله و المجد ما أبقاه من أثر ... اخرى الليالي بطيب الذكر مأثور
نوارة عند ما راقت بدوحتها ... اهوت الى الترب من بين النواوير
جار الذبول عليها عندما ملأت ... معاطس الدهر من طيب وتعطير
وسيف بأس لكسر الخطب أغمده ... صرف الحوادث فيها بعد تكسير
قضى فرافق شهر الصوم مرتحلا ... ووافق الشهر في فضل وتطهير
واختاره خاطب الخطب الملم به ... للصهر كفؤا فأمضى العقد للحور
فسار للحسن مسرورا وخلفنا ... للحزن فاعجب لمحزون بمسرور
ناديت ياحادي الاحزان يوم حدا ... أظمان قلبي رفقا بالقوارير
فالوجد والحزن من دمعي قد اقتسما ... قلبي وجفني بمنظوم ومنثور
فالقلب بالغيظ في تصعيد مستعر ... والجفن بالفيض في تصويب مسطور
وسائق الخطب يشدوا الحاملين له ... يسوقهم سوق حادي العير للعير
وللملائك في آفاقها زجل ... قد شبعته بتهليل وتكبير

ثنى المصاب على شيخ الجزيرة في ... عقد وحل وتقديم وتاخير
ذاق الرزايا على مقدار منصبه ... والابتلاء على قدر المقاديس
ان كان فرق شمل الانس منه فكم ... أولاه للجد من جمع وتوفير
يا دهر حملته وقع الخطوب ولم ... تزل تنفذ عنه كل مامور
فلم تجر ماعليه جبر ذي حرق ... في النائبات ولا احجام مذعور
أردت بالصبر عنه أن تقيم لنا ... برهان تقديمه للخير والخير
يا عامر الترب كم خلفت من كبد ... ومن فؤاد بثاوي الحزن معمور
لو كنت تحمي وتفدي للعلا ابتدرت ... عالافها بالقنى أو بالقناطير(1)
وانما الموت حكم ليس يدخله ... نسخ لخلق وعدل دون تجوير
يقضي على الاسد في الآجام حاكمه ... وفي الكناس على البيض العيافير
ويمتطي الشهب في شم الجبال كما ... في الوكر يعتام أفراخ العصافير
أعظم بثايته من آية عظمت ... فليس تدرك في حال بتفسير
فسلم الامر فالاقدار قد نفذت ... وكل شيء بتدبير وتقدير
مافقر ذي الفقر عن جهد وعن كسل ... ولا غنى المرء عن كيس وتشمير
ولا الحمام بنقص في المزاج ولا ... ضعف الطبيعة عن اسباب تدبير
فكم صحيح قضى فيها بلا مرض ... وكم مريض اقامته لتعمير

☆☆☆

فاسمع بقلبك فالاشياء ناطقة ... وألسن الحال تغني كل تحرير

(1) القنا جمع قناة وهي الرمح. والقناطير المال الكبير جمع قنطار.

مقدمات الليالي طالما فضحت ... نتائج الغدر منها كل مغرور
جمع السلامة معدوم الوجود بها ... فكم بها للردى من جمع تكسير
والكون طرس وهذا الخلق احرفه ... والحرف ما بين ممحو ومبتور
والدهر يعرب والافعال يظهرها ... طوعا ويعجم منها كل مسطور
وانما الخلق أسماء تصورها ... اعرابه بين مرفوع ومجرور
وكلهم في مدى الاعمار تحسبهم ... كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثل عروضي يقطع من ... أبياتهم كل موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد نقضت ... أيدي المقادير من ابرام تقدير
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به ... امال نفسك عن دنياك من زور
لا تخدعنك الليالي ان فتنتها ... كادت فكادت تجيز كل محذور
كم باكرت بعبوس الخطب من ملك ... قد كان بالبشر وضاح الاسارير
سائل بكسري ملياك الفرس هل تركت * له المنايا جناحا غير مكسور
وانزل بصنعاء في قصر ابن ذي يزن ... تلمم بقصر على الاغيار مقصور
واعبر على جهة النعمان معتبرا ... تعبر بأطلال نعمى ذات تغيير
وأين من كان سجن الجن في يده ... والانس والجن في قهر وتسخير
وأين مخترق الدنيا بعزمته ... يطوي البلاد معاطى الطوامير 1
بادوا فليس بها باد يحس به ... منهم وافناهم ريب الدهاريز

☆☆☆

1 - جمع طومار وهي الصحيفة.

هو القضاء أبا بكر اصبت به فاصبر وسلم له تسليم مأجور
والله يحرس عليا كم ويرفع عن سامي معاليك أنواع المحاذير

ولابي العباس الجزناءي يرثي جاريته صبحا:

يا صاحب القبر الذي اعلامه درست ولكن حبه لم يدرس
ما اليأس منك على التصبر حاملي أياسستني فكأنني لم أيأس
لما ذهبت بكل حسن أصبحت نفسي تعاني شجو كل الانفس
يا صبح ايامي ليالي كلها لا تجلي عن صبحك المتنفس

وله فيها:

ياقبر صبح حل فيك لمهجتي اسنى الاماني
وغدوت بعد عيانها أشهى البقاع الى العيان
أخشى المنية انها تنثى مكانك عن مكاني
كم بين مقبور بفاس وقابر بالقيروان

والعلامة ابي بكر بن شبرين السبتي يرثي بلديه العلامة ابن هانيء:

قد كان ما قال البريد فاصبر فحزنك لا يفيد
اودي ابن هانيء الرضى فاعتادني للثكل عيد
بحر العلوم وصدرها وعميدها اذ لا عميد
قد كان زينا للوجود ففيه قد جمع الوجود
العلم والتحقيق والتـ فيق والحسب التليد
تندى خلائقه فتقـ فيها هي الروض المجود

مغض عن الاخوان لا جهم اللقاء ولا كنود
اودى شهيدا باذلا مجهوده نعم الشهيد
لم أنسه حين المعارف باسمه فينا تشيد
وله صبوب في طـــلا ب العلم يتلوه صعود
لله وقت كان ينظمـ ـنا كما نظم الفريد
أيام نغـــدوا ونروح وسعينا السعي الحميد
واذا المشيخة جثم هضبات حلم لا تميد
ومرادنا جم النبات وعيشنا خضر برود
لهفي على الاخوان والأ تراب كلهم فقيـــد
لو جئت اوطاني لانكر ني التهائم والنجود
ولراع نفسي شيب من غادرته وهو الوليد
ولطفت ما بين اللحود وقد تكاثرت اللحود
سرعان ما عاث الحمام ونحن ايقاظ هجود
كم رمت أعمال المسير فقيدت عزمي قيود
والان أخلفت الوعود واخلقت تلك البرود
ما للفتى ما يبتغي فالله يفعل ما يريد
أعلى القديم الملك يا ويلاه يعتوض العبيد؟
يا بين قد طال المدى أبرق وارعد يا يزيد

ولكل شيء غايـــة ولربما لان الحديد

☆☆☆

ايه أبـا عبـد الالاه وبيننا مرمى بعيـــد
أين الرسائل منك تا تينا كما نسق العقود
أين الرسوم الصالحات تصرمت اين العهـود
انعم مساء لا تخطيك البشائر والسعـــود
واقـدم على دار الرضا حيث الاقامة والخلود
والق الاحبة حيث دار الملك والقصر المشيد
حتى الشهادة لم تفتك فنجمك النجم السعيد
لا تبعدن وعـد لو ان البدء في الدنيا يعود
فلئن بليت فـان ذكـر ك في الدنا غض جديد
تالله لا تنسـاك انـد ية العلا ما اخضر عود
واذا تسـمح في الحقوق فحقك الحق الاكيـد
جـادت صـداك غمـامة يرمي بها ذاك الصعيد
وتعهدتك من المهيمن رحمة ابـدا وجـود

وللقاضي ابي القاسم ابن ابي العافية وقد توفيت له بنت يصف حال امها:

ولست اخشى على نفسي فان لها عزيمة مثل حد الصارم الذكر
لكن خشيت على ثكلى مولهة حزينة لم تدع صبرا لمصطبر
مثل القطاة على أفراخها قعدت تقيل الظل بين الماء والشجر

أهوى الى وكرها صقر فما شعرت حتى زقا فرخها من وخزة الظفر
فطار يهوى بها في جوه صعدا حتى تغيب في الهوى عن البصر
فرفرفت ما استطاعت ثم ألجأها لوكرها صوت أفراخ لها أخر

وللشيخ القصار على ما نسبه اليه غير واحد من الاثبات بخطوطهم والبيت الاول رأيناه في كتب القدماء فهو مضمن: (1)

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد نقلت اليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا زاراك حبوا لا على قدميهما
انسيت عهدهما عشية اسكنا دار البلى وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما اليك وانما منحاك محض الود من نفسيهما
كانا اذا ما أبصرا بك علة جزعا لما تشكو وشق عليهما
كانا اذا سمعا انينك أسبلا دمعيهما أسفا على خديهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غدا او بعده حتما كما لحقا هما أبويهما
ولتقدمن على فعالك مثل ما قدما هما ايضا على فعليهما
بشراك ان قدمت فعلا صالحا وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تسطيعه وبعثت ذاك اليهما
فاحفظ بني وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من بريهما

وللشيخ رضوان الجنوي:

(1) من غريب امر هذه الابيات اننا رأيناها في كتاب (منتخبات ادبية) للاب بشير ماجيا اليسوعي ج 2 ص 31 تحت عنوان (وصيتي) منسوبة لمحمد الوكدجي فباديات المغرب لا يتهمن من الاهمال

اذا شئت أن تبكي فقيدا من الورى ... وتندبه بعد النبي المكرم
فلا تبكين الا على فقد عالم ... يبادر بالتفهيم للمتعلم
وفقد امام عادل قام ملكه ... بانوار نور العلم لا بالتحكم
وفقد شجاع صادق في جهاده ... وقد كسرت راياته في التقدم
وفقد سخي لا يمل من العطا ... ليطفي بؤس الفقر عن كل معدم
وفقد تقي زاهد متورع ... مطيع لرب العالمين معظم
فهم خمسة يبكى عليهم وغيرهم ... الى حيث القت رحلها أم قشعم(1)

وللشيخ ابي الحسن الصنهاجي رحمه الله:

الموت أفنى من مضى ... والموت يفني من بقي
والموت يجمع في الثرى ... بين المنعم والشقي
يا من أسا فيما مضى ... كن محسنا فيما بقي

وللشيخ ابي عثمان سعيد بن علي الجزولي يرثي المولى محمد الحران ابن محمد الشيخ المهدي السعدي وقد توفي سنة 955 وكان يذكر بالشجاعة والحلم والعلم؛

أتروي الاماني والاماني سراب ... وتغني المغاني والمغاني خراب
الى م التعامى والتعلل بالمنى ... وقد قربت الظاعنين ركاب
خليلي من سود الليالي أساود ... تعض بصرف والمنايا لعاب
فمن تكن الايام يوما سرنه ... فاني بايام الزمان مصاب

(1) الداهية والمنية.

نعي اتاني والنعي محمد (1) رددت عليه والدموع جواب
بكاء لمن شدت عرى الملك كفه ومن رأيه في المعضلات صواب
مهيبا تلاقيه القبائل والقنا فتغضي وأعمار الكماة نهاب
كريم غذاه المكرمات وسيد نمته كرام الناس طاب وطابوا
أتته المنايا خلسة حيث ايقنت بأن اختلاسا في القلوب غلاب
فتى نيط حب المأثرات بلحمه فهن حلاة والمديح ثياب
فياليت من نادى صداه يجيبه كما كان من نداه فهو يجاب
وان طلاب الناس العرف بعده وقد غيبوه في الثرى لعجاب
لقد بث بث الحزن في الارض هلكه فكل عميد في البلاد مصاب
نعته القوافي للعوافي فأعولت بنات القيافي أنسر وذئاب
أظن صروف الدهر تحدث بعده ستحلوا وان الحادثات لصاب
كما حال حال الطيبات لفقده(2) عن العهد حولا فالعذاب عذاب 3
عظيم ألم في عظيم بمثله وبين الشكول في القياس نساب
فيا طيبا طاب الثرى بعظامه قضيت ولم يلمم بساحك عاب
سلام ورضوان عليك ورحمة يوافيك منها في الضريح رغاب
عليك أبا الحران صبرا فذق به دواء لادواء الزمان يشاب
رزئت جليلا فاحتسبه فانه وان جل خطب فالعزاء عصاب 4
لعل مساس الرزء يقدح ما به تهد صلاد او تفت صلاب

1 يرد النعي بمعنى الناعي والمنعي. 2 حال يحول حولا تبدل. 3 بكسر العين في الاول وفتحها في الثاني. 4 ماعصب به.

فكن هضبة نأوي اليها فانما الخطوب سيول والملوك هضاب
على أنه التمحيص والميزحاكم بانك تبر والملوك تراب
فان غاض منه جعفر البأس والندى ففي البحر والخليج العظام حساب
وماضاع مجد قط حب بقبة فكيف وقد حب القباب قباب
رعى الله للاسلام فيها بدوره وأخصب منها للانام جناب

وللاديب البليغ علي بن احمد مصباح يرثي الشهيد أبا الفضل جسوس:

حل بالدين يا لقوم بلاء احجمت دون وصفه الشعراء
قتل اليوم أعلم الارض ظلما فيه في الاسلام حق العزاء
قتلوه من اجل أن كان استا ذا أعزته السنة السمحاء
قتلوه من اجل أن كان عن سبـ ـل الهوى فيه نفرة وابـاء
قتلوه أن كان للشرع شمسا ليس تخفي ضياءها الظلماء
قتلوه أن كان حصنا به تمنـ ـع عما تريده الاشقياء
قتلوه من اجل أن كان للشر ع حساما تهابه الامراء
قتلوه أن كان للحق قوا وما أن تضله الاهـ ـواء
فانظروا الدين أن قضى نحبه عـ ـبد السلام اودت به الغرباء
واذا نودي العباد ليوم الـ ـفصل جاءو وهم له شهداء
وهناك الاله والخلق والا ملاك طرا عن قتله خصماء
ما يكون الجواب منهم اذا ما سحبوا في لظى وبيس الجزاء
لهف نفسي عليه هدت به اليو م من الدين هضبة قعساء

لهف نفسي عليه ما لشموس العلـــم حيث اختفت عليه انجلاء
عذبوه حيا وقد كان سيبـ ـن لديه السراء والضراء
واجتنوا ما له الذي سوف يجني بؤسهم حين لا يقيهم نجاء
فغدا عائلا واولاده والاهـــل طرا جميعهم فقراء
غيرانهم لما رأوه من الله وان أملقوا فهم أغنياء
صبروا للقضاء واحتسبوا الاجـــر وما غيرتهم البأساء
ثم طافوا به على الناس في الاسو اق كيما يكون منهم عطاء
فغدا المسلمون يلقرن أموا لا عليه رجالهم والنساء
ما حبوها الا لظنهم أن سوف يأتي له بهن الفداء
ثم من بعد ذا سقوه المنايا ليس والله بعد هذا بلاء
يا لها من مصيبة سار في الار ض وفوق السما بها الانباء
عمت المسلمين رزءا فأضحت كل عين منهم عراها البكاء
يابن جسوس ان تكن جست لخو ف عنكم لسانها الادباء
فأنا اليوم مفصح بر ثاكم مثلما صخرها رثت خنساء
فليقل من يشاء ما شاء وليفعل فبي من بلواكم برحاء
فعسى ان لقيتكم يوم حشر تشفعن لي فانكم شفعاء

وللشيخ أبي علي اليوسي يرثي زاوية الدلاء لما أوقع بها السلطان مولاي رشيد العلوي سنة 1078 :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيابى ويعتاض العقيق بها حمرا

وأسأله أن يكتم الوجد ساعة فيفشي وان اللوم آونة أغرى
وقد كنت استصحيه حتى توقدت *جذا الوجد فاستسقيته يطفيء الجمرا
على أن دمع العين فضل حشاشة تذاب فماذا ينفع الدمع ان يجرى
وكانت سرور الهم عمي عوازبا وبعد النوى اضحت مراتعها الصدرا
وكانت عيون الحادثات غوافلا زمانا وخطب الدهر كان بناغرا
ليالي كان البين عن جيرة الحمى صدودا ونظم الشمل لم يستحل نثرا
وكانت مدامة الوصال مدامة على القوم صرفا لا مزيجا ولا نزرا
تجاذب أخدان الصفاء كؤسها فلا تختشي منها خمارا ولا سكرا
فبينا ليالي الوصل بيض وروضه بفيض الندا كانت مرابعه خضرا
عدت غدوة أيدي الحوادث فاختلت* خلاها فعادت بعد نضرتها غبرا
وابدلن مانوس الديار واهلها بوحش وحو لن الاهيل بها قفرا
وبينا جموع الحي كالراح شبتها بماء فما تخشى جفاء ولا نعرا
وكالفرقدين الطالعين تألفا وصاحبي الملك لذي نادم الشعرى
اصابتهم عين الكمال فغادرت اكفهم من كل ماجمعت صفرا
وردتهم مثل الثريا اذا رأت سهيبلا شحط البين او واصل والرا
فأصبح في ارجائها اليوم منشدا يردد مما قال من قد خلا شعرا
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس، بلى لكن هوى جدهم عثرا
فلا جفن الا وهو مغض على القذا ولا عين الا من نجيع الشجا حمرا
ولا وجد الا وهو مرخ سدوله ولا هم الا وهو يكتنف الفكرا

صبرت فؤادي للخطوب فلم ينزل ... به رشقها حتى تقضى فلا صبرا
وأزمعت نهر الدمع عني تعزيا ... فلما جرى كالنهر لم املك النهرا
ووجهت نحو الحي اعرب عن هوى ... ضميري فلا الفيت زيدا ولا عمرا
وأحسب ماقد كنت أحسب دائما ... فخطت بنان البين في راحتي صفرا

☆☆☆

ألا قل لارواح الصبا لا تغادنا ... فانا بأرواح الجنوب لنا ذكرى
وقل لبرود الشرق تغمد سيوفها ... فان بروق الجوف صيرنها بترا
بلاد اذا ذقنا رضاب معينها ... فما لرضاب العين نلتمس الثغرا
وان نحن رحنا بالشذا من رياضها ... ربحنا فما نرجو على العنبر التجرا
رياض اذا أبصرتها ونشقتها ... فلا تذكرن نجدا ولا تذكر الشحرا
وأزر على من كان حن صبابة ... اليها قديما اذ على مثلها يزرى
فمن لي بواديها اذا فاح رنده ... ومن لي بمرعاها اذا أطلع المشرا
ومن لي بروضات يفوق ضياؤها ... على الشمس حسنا كلما ابتهجت زهرا
وهيهات واد ينبت الرند ايكه ... وهيهات روض يطلع الشمس والبدرا
وعذب فرات تستقيه وقاية ... وتطعمه راحا وتبصره درا
فهل نفحة تكفيني المسك فائحا ... وهل شربة تكفيني الشهد مستمرا
وهل طلعة تكفيني البدر طالعا ... وهل لمعة تكفيني الثغر مفترا
وهل وقفة بين الطلول التي قضت ... صروف الليالي في معالمها نذرا
هنالك اخوان الفؤاد وفتية ... هم للحشا خمر فما يطلب الخمرا

نزايلهم لا عن هوى لنواهم ... كما لفطام زايل المرضع الظئرا
ونناى عجالا عنهم مثلما نأي ... ابو صبية عنهم اذا يمم القبرا
فمنا اليهم صبوة ابن ملوح ... ومنهم شجا الخنساء اذ فارقت صخرا
فما انزر الصبر الجميل على النوى ... وما أغزر الدمع الطويل وما اجرى
فلولا هوى نجد وطيب نسيمها ... وريح خزاماها اذا ساوق الفجرا
وعذب فرات سلسبيل سخت به ... أكف الغوادي في حدائقها غمرا
ومشمولة صهباء ما قط شابها ... براودقه الحاني ولا حلت العذرا
بها هامت الارواح من قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا واذ نبلغ الحشرا
فكم ولهت فكر ابن عيسى ومالك ... وكم اطربت سهلا وكم اشغلت بشرا
اذاما تحساها الفتى لم يخف بها ... جناحا ولكن يرتحي عندها أجرا
تحمله الاوزار غير مذمم ... باعبائها العظمى ولم يكسب الوزرا
وتبرد غلات الحشا وتشبها ... اوارا وتعطي الرشد والسفه الحجرا
وتورثه قبضا وبسطا وفرقة ... وجمعا ونسيانا وتورثه شعرا
فلولا رجاء الفوز منها بشربة ... تداوي عقابيل الهوى والجوى المضرى
لكانت اكف البين تصدع بالجوى ... زجاجة احشاءي فلا أملك الجبرا
على أن هذا الدهر ليس بضارع ... له غير من امسى بأحدائه غمرا

***

هو الدهر لا يبقى على متخشع ... ذليل ولا ذي نخوة مزده كبرا
حسام اذا ما صمم الدهر في امرىء ... غدا دمه بين الورى خضرا مضرا (1)

(1) غدا سال وخضرا مضرا هذرا

وسيل اذا ما يمم الارض اصبحت ... اخاديد وانفلت كرادسها كسرا
وليث هصور ما تغشى حظيرة ... فيسطو الا أنعم العض والعقرا
غشوم فما يرتاع من باس خادر ... كمى ولا من حسن ساكنة خدرا
فليس عجيبا ما أتى من عجائب ... ولو اطلع الغبراء واستنزل الخضرا
وليس بنزر ما اباد وما بدا ... ولا بغريب ما أعل وما أبرا
فكم من عظيم يعتلي فوق باذخ ... من المجد اردته صوارمه حدرا 1
وكم من مليك كان يزهى بثروة ... وعز ولا يالوا اعتلاء ولا فخرا
تغشاه بالارزاء حتى كأنما ... له ترة منه فلم يأله دفرا 2
وأفرط في استنفاد ما قد اعده ... وما عدحتى ما استطال وما أثرى
أدار على دارا صريف صروفه ... وأتبعه غلابة الملك الجبرا
فأودع ذاك الترب بعد أسرة ... وأودع هذا بعد بسطته تبرا 3
وناوى بني ساسان في غلوائها ... وعزتها العظمى فذللها قسرا
وغادر في تلك المدائن أعينا ... لعين غدت من ريب احداثه خزرا
تحلى نحورا بالمدامع حسرة ... وكانت تعالى ان تحليها شذرا
وصيرها مقصورة بعد بسطة ... ومجد على نشز ببطن الثرى قصرا
ومد الى تلك المقاصير كفه ... فلم يدع البيضاء فيها ولا الصفرا
وأشرقت الارجاء منها بشرعة ... حنيفية من بعد ما أظلمت كفرا
وجر على اولاد جفنة ذيله ... فجرعها حتفا وألبسها صغرا

1 نزولا وهبوطا. 2 ذلا. 3 هلاكا

فكانوا لآفات الزمان جزائرا ... وكانوا قديما ءافة تتلف الجزرا
وأنحى على لخم فعفى رباعها ... ورام بني بدر فأتبعها بدرا
وأدرك اوتارا بسيب وبيهس ... فعاد كأن لم يدركا قبله وترا
وطم على مروان اذ تل عرشها ... فما خاف عقباها ولا احتمل الاصرا
وعاد على بغداد فاجتث ملكها ... ولم يحترم املاكها النجب الغرا
ورام ابن عباد بخسف فناله ... واعلق منتاشا به الناب والظفرا
اسيرا با غمات كان قد فدى به ... من احتل في تلك الجزيرة من اسرى
ولم يرث اذ يبكيه فيها سريره ... ومنبره والدهر ما يختشي نكرا
فهل تمتري في صولة الدهر بعدما ... اتتك على ذكر وقائعه تترى
وكم من محب صادق الحب روضة ... انيقة أزهار توسطت الغدرا
اذا رام وصل الحب الفاه في الهوى ... يسارع لا هجرا يخاف ولا غدرا
على الفة والعيش دان قطوفه ... كأنهما الفرخان قد الفا الوكرا
فلم ينشب الدهر المشتت ان فرى ... من الوصل ما قد ابرماه وما زرا
واولاهما بالقرب بينا وبالهوى ... جفاء وبالوصل القطيعة والهجرا
وابدل ذاك الانس وحشا وغمة ... وذاك اللذيذ الغض مستوبلا مرا
فلا تهتبل بالحادثات ولا تثق ... فما وهبت يوما فموهبها معرى
مقربها مقصى ومرفوعها لقى ... ومنهلها مظما ومكسوها معرى
ولا تركنن للدهر ان نعيمه ... ظلال سحاب يمسح السهل والوعرا
فبينا تراها قد كستك ببردها ... تجافت باميال فالبست الحرا

ملول فما باق على عهد خلة ... ولا مستديم فيك يسرا ولا عسرا
فان بر فلتظفر وان ساء فاصطبر ... لعودته فالدهر ما يالف الصبرا
عشير متى يحسن فقد بر عشرة ... والا فكن بالصبر في حكمه البرا
وان كان يمضي الخطب والحر لم ينل ... جناحا ولا عارا به فكن الحرا
وان سبقتك الحادثات بفائت ... فسوف يريه الدهر فانتظر الدهرا
الم تر أن الهر حبلى أنيسة ... ولادتها يوما وان لم تكن تدرى
فمن منح تسلي ومن محن تسي ... نتائجها صغرى على المرء أو كبرى

***

ولا تأمني أبناءه ان تحببوا ... اليك فمن يشبه أباه فقد برا
وكل بني دهر فاشبه دهرهم ... على ما قضى الله الكريم وما أجرى
متى ما ارتجوا رغباء منك تقربوا ... اليك وابدوا خالص الود والبرا
وأخفوا ذميما كان فيك واظهروا ... جميلا وقالوا ذو محاسن لا تمرى
فذلك أحرى أن يجلوا وينصتوا ... اليك رشادا كان قولك أو تبرا
وان لم يرجوا منك خيرا رأيتهم ... جفاء واعراضا يولونك الظهرا
ويثنوا عنك المنديات وان رأوا ... جميلا اعاروه الغشاوة والوقرا
فلا تصغ سمعا للذي ذم منهم ... ولا للذي ابدى الجميل وان أطرى
فان بني الدنيا عبيد هواهم ... على مركز الاهوال دورتهم طرا
وان هواهم حيث ترتقب الغنى ... وليس هواهم حيث ترتقب الفقرا
اذا ما رأوا ذا الوفر لاذو بذيله ... وان لم ينالوا من سحائبه قطرا

وان بصروا بالملق اهترأو به ... ومدوا اليه طرفهم نظرا شزرا
وقالوا بغيض ان نأى ومتى دنا ... يقولوا ثقيل مبرم ادبر الفقرا
فان غاب لم يفقد وان عل لم يعد ... وان مات لم يشهد وان ضاف لم يقرى

***

وفي الله للمرء اللبيب كفاية ... عن الناس والمحروم من حرم الاجرا
فكن رابئا بالنفس عنهم ومغضيا ... بعين الحشا عما تكنفة الغبرا
ولا تجعلن في غير مولاك همة ... فمنه ترى لو تعلم النفع والضرا
وان شئت ودا فيهم وتوفرا ... لعرضك اوشئت النباهة والذكرى
فشاركهم فيما بكفك واكفهم ... مؤونك واستبق التجمل والسترا
وخالل ولا تكلم وجامل ولاترم ... وواصل ولاتصرم ولكن خذ الحذرا
ولا تقتحم عيناك ذا سمل ولا ... تر المرء مزهوا فتعظمه قدرا
فان الفتى بالنفس لا اللبس مجده ... فمن شأن در كون أصدافه كدرا
وما ذا على العضب الذي رث جفنه ... اذا كان في الهيجاء ينعمك البترا
وانك تلفي الناس كالنبت ذابل ... لذيذ وغض كلما ذقته مـــرا
وقدما يكون التبر في الترب تختفي ... مكانته حتى تخلصه سبرا
وان كنت لا تعتد الا بملبس ... فسيان من يكسى العمائم والخمرا
وان الغنى ما اورث المرء في الورى ... محامد في الدنيا وعلياء في الاخرى
وكم مترف لم يرأم الضيف ساحة ... وكم ترب طابت محامده نشرا
فلا خير فيمن لا يعاش بظله ... ولو فاق تحليقا بجو العلى النسرا

ولامال في الدنيا لمن ليس راشحا ... بفضل على العاني ولوجمع الوفرا
ولامجد للمسيك يوما ولو حوى ... وأثل ما قد كان أثله كسرى
فاغرق على العورات منك بسابغ ... من العرف تغفر ما تساء به غفرا
وان تعوز النعمى فجد ببشاشة ... فخير القري أن تبذل الرحب والبشرا
وعاص الهوى ان الهوان مع الهوى ... وفي الصبر عز فاستسغه ولو صبرا
فمن للهوى القى القياد فقد هوى ... ولوأنه في المجد قد وطيء النسرا
وكن بالذي ءاتاكه الله من جدي ... قنوعا رضوا تبلغ الانجم الزهرا
ومن لم يكن مستغنيا بقناعة ... فليس بمنفك عن الناس معتـرا
ومن لم يكن يسترغد العيش بالرضى ... بقسمته لم يبرح الدهر مضطرا
ومن لم يكن بالحزم محتزما فقد ... فرى حبله عن نجحه قبل أن يفرى
ومن لم يبادر صيده وهو معرض ... ليرميه كان العناء لـه قصرا
ومن يشر بخسا نوقه وهي شول ... عجافا تمناها لدى غيره شكرى
ومن يصطنع عرفا الى غير أهله ... فليس بلاق من جزاء ولا شكرا
ومن يحتسب يهمل كما العيث وابلا ... فلا العقل يجفو بالعهاد ولا الصبرا
ومن لا يثقف متنه الدين والحجا ... ويرم الورى بلق المثقفة السمرا
ومن لا يجنب قوله دنس الخنا ... فلا يمتعض يوما اذا سمع الهجرا
ومن يبغ بذلا بالسباب وبالنوى ... يكن بنضار جيد يشتري الصفرا
ومن يصحب الامجاد ينظف ثيابه ... ومن يصحب الارذال يكسو بها العرا
ومن لا يجانس من يجانس لم يدم ... له أحد فالاسد ما ترأم الحمرا

ومن لم يجاوز بالصديق ويلحه يجد لبه نقلا اذا نزع القشرا
ومن يرم بالغض الودود معنفا ليصفو يورث قلبه البغض والغمرا
ومن لم يكن يبدي سجاياه يبدها اذا ماارتجى الرغباء اوآنس الذعرا
ومن يطلب العلياء يلف مذاقها هبيدا لدوغا للحناجر لا يمرى
ومن يسر في درك المعالي بهمة لجوج رموق للعلا يحمد السيرا
ومن لا ينزل كلا يمل وتحتمل به الارض انى سار من ثقله وقرا
ومن لا يكن يرجى لخطب فلايكن فتى في ندي وليكن ناهدا بكرا
ومن لم يحل النفس ثم يخلها فقد أخطا المرتاد من امه ظهرا
ومن يدخر تقوى الاله وذكره على كل حال يحمد السعى والذخرا
ومن يغن بالمولى فلن يعدم الغنى اذا لم يجد يوما لجينا ولا نضرا

وللفقيه الاديب الطيب بن مسعود المريني المتوفي 1145:

اتيت القبور اداوي بها قساوة قلبي التي أجد
وقمت اسائل عن أهلها وهيهات لا خبر يوجد
رأيت مصارعهم عبرة تذيب حشاشة من يشهد
أقاموا قليلا وقد رحلوا وغابوا وبالعود ما وعدوا
كأن حياتهم حلم افاقوا به بعد ما رقدوا
دعاهم على الرغم داعي الردى فلبوه حين انقضى الامد
وقد هدم الموت لذاتهم وغير عيشهم الارغد
وحلوا بطون الثرى تحتهم تراب وفوقهم جلمد

وقد انكرتهم معارفهم وخانهم الأهل والولد
تساووا بأجمعهم تحتها فسيان الاحمر والاسود
على كل ما قدموا قدموا وما زرعت يدهم حصدوا

ولابن الطيب العلمي يرثي ابن زاكور

قضى اخوا النظم والنثر ابن زاكور فجاد دمعي بمنظوم ومنثور
وامتد شوقي بمقصور الحياة له ما حيلتي بين ممدود ومقصور

ولابن زاكور يرثي امرأة من قرابته

سقى الرحمان قبرا ضم شخصا تسربل بالمكارم وارتداها
ونضر مضجعا لفتاة صدق حوى غرر الفضائل اذ حواها
لقد كانت تحض على المعالي وتندب للمكارم من اباها
وقد كانت بافق الفضل شمسا فحطتها المنية عن ذراها
والبسها المنون حلى كسوف فهلا فضلها الوافي حماها
فكم احيت مواهبها كئيبا احلته النوائب في حماها
وكم ربت بانعمها يتيما قلته امه حتى سلاها
لئن ماتت فما ماتت حلاها وان اودت فما اودي علاها
فقد ابقت مآثر مشرقات تخبر عن علاها في نواها

وللوزير ابن ادريس يرثي السلطان مولاي سليمان العلوي

نباعرا اوهي عرى الايمان وابان حسن الصبر عن امكان
شقت لموقعه القلوب وزلزلت ارض النفوس ورج كل مكان

فقد الامام ابو الربيع المرتضى ... جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكت عيون الدين ملء جفونها ... وجدا عليه وكل ذي ايمان
لما نعى الناعون خير خليفة ... وعرى الفؤاد طوارق الاحزان
مزقت ثوب تجلدي من فقده ... ونثرت در الدمع من اجفاني
عجبا لموت غاله اذ لم يخف ... فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب ... غضب الجنود وغيرة الاعوان
لو كان يمنع خاش فرسان الوغى ... حرصا عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة انما ... يحمون روح العدل والاحسان
لاكن قضاء الله حم فلا يرى ... للمرء في دفع القضاء يدان
والموت مورد كل حي كاسه ... وسوى المهيمن في الحقيقة فان
ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى ... فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومئاثر ... شاعت له في سائر الاوطان
ومعارف وعوارف ورسائل ... ومسائل قد اوضحت ومعان
وبدور اولاد وءال قد قفوا ... ءاثاره في العلم والعرفان
تخذوا الديانة والصيانة شرعة ... وتقلدوا بصوارم الايقان
اخلاقهم ووجوههم واكفهم ... كالزهر والازهار والامران
ان حاربوا ابدوا شجاعة جدهم ... او خاطبوا ازروا على سحبان
من كل من جعل القران سميره ... وسما بوصف العلم والتبيان
كم ءاية ظهرت له وكرامة ... دامت دلائلها مدا الازمان

قد كان اوحد دهره وزمانه ... في العلم والتحقيق والاتقان
قد كان فردا في البلاغة ان جرت ... اقلامه بهرت بسحر بيان
من للعلا من بعده من للنهى ... من للتقى وتلاوة القرءان
يارمسه ماذا حويت من العلى ... وطويت من علم ومن عرفان
يارمس كم واريت من كرم ومن ... جود ومن فضل ومن احسان
يارمس كيف حجبت عنا شمسه ... وضياؤها في سائر البلدان
فلو استطعت جعلت قلبي قبره ... حبا واحشاءي من الاكفان
ولو ان عمري في يدي لوهبته ... وفديته بالاهل والاخوان
لاكن يخفف بعض اثقال الاسى ... علمي به في جنة الرضوان

الباب السابع

فى المدح والتهنئة والدعاء

لابن الزيتوني من قصيدة في المعتضد بن عباد يستنجزه

سفينة الوعد في بحر الرجا وقفت ... فامنن بريح من الانجاز يجريها

وللقاضي ابي الحسن بن زنباع يخاطب الفتح بن خاقان:

هوى منجد يلقى به الليل متهم ... يصرح عنه الدمع وهو يجمجم

يبيت يداري او يدارىء ما به ... ويغلبه امر الهوى فيسلم

لاجفانه من كل شوق مؤرق ... ومن اين للمشتاق شيء ينوم

وليس الهوى ما الرأي عنه مزحزح ... ولاكنه ما الرأي فيه مفخم

واعذر اهل الحب كل مدلة ... يرى ان من يهدي له النصح ألوم

واجلد ابناء الزمان مرزأ ... يقاسي خطوب الدهر وهو متيم

ويصعب حمل الهم والهم مفرد ... فكيف ترى في حمله وهو توأم

ولولا ابو نصر ولذات انسه ... تقضت حياتي كلها وهي علقم

فتى فتح الله المعارف باسمه ... ومن دونها باب من الجهل مبهم

تاخر في لفظ الزمان وانه ... بمعناه في اعبائه متقدم

اتوا بالمعاني وهي در منظم ... وجاء بها من افقها وهي انجم

وما يستوي في الحكم راق وغائص ... لقد نال اسنى الرتبة المتسنم

اليك ابا نصر بديهة خاطر ... توالى عليه الثقل وهو مقسم

اهبت به للقول وهو لما بـه فلبى ولم يسعده نطق ولا فـم
وكم مصقع لا يرهب القول فعله ثنته خطوب ما انثنت وهو مفحم
ولو لم يكن الا وداعك وحـده لا شفق منه يذبل ويلملـم
فما يصنع الانسان وهو بفهمه يحس باشتات الامور ويفهم
وقد كنت تشكيني من الدهر دائبا فقد صرت اشكو منك ما انت تعلم
عليك سلام تحسب الريح ذيلـه فيعبق منه كل ما يتنسـم
وان لم يكن الا واداع وفرقـة فان فؤادي قبلك المتقـدم

وللمهدي بن تومرت في عبد المومن بن علي:

تكاملت فيك اوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبـط
السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط

والجراوي في المنصور الموحد:

ان الامام هو الطبيب وقد شفى علل البرايا ظاهرا ودخيـلا
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه كالروح يوجد حاملا محمولا

وللامير سليمان الموحدي يخاطب المنصور عند وفود العرب والغز من بلاد المشرق عليه وكان هو بحال هجر فرضى عنه وقربه

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزها والديلم
طوبى لمن امسى يطوف بها غدا ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب ان يفوز بنظرة من بالشئام ومن بمكة يحرم

ولميمون الخطابي في مدح سيد الوجود:

حقبق علينا ان نجيب المعاليا ... لنفني في مدح الحبيب المعانيا
ونجمع اشتات الاعاريض حسبة ... ونحشر في ذات الالاه القوافيا
ونقتد للاشعار كل كتيبة ... لنصر الهدى والدين تردى الاعاديا
فالسن ارباب البيان صوارم ... مضاربها تنسى السيوف المواضيا
لنطلع من امداح احمد انجما ... تلوح فتجلو من سناه الدياجيا
كواكب ايمان تلوح فيهتدي ... بانوارها من بات يولج ساريا
سهوت بمدح الخلق دهرا وهذه ... سجود لجبري كل ما كنت ساهيا
فلا مدح الا للذي بمديحه ... تطيع اذا ما كنت بالمدح عاصيا

☆☆☆

رسول براه الله من صفو نوره ... والبسه بردا من النور ضافيا
وما زال ذاك النور من عهد ادم ... ينير به الله العصور الخواليا
ثوى في ظهور الطيبين يصونه ... وديعة سر صار بالبعث فاشيا
وخص بطون الطيبات لحمله ... ليحمل فرعا للسيادة زاكيا
به وزن الله الخلائق كلهم ... فالفاه فيهم راجح الوزن وافيا
وانقذنا من ناره بظهوره ... ولولاه كان الكل بالكفر صاليا
وءادم لما خاف يزري بذنبه ... توسل بالمختار لله داعيا
فتاب عليه الله لما دعا به ... وادناه منه بعد ما كان نائيا
وقد يهجر المحبوب في حالة الرضا ... ويابى الهوى ان لا يصدق واشيا
(وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا)

وادرك نوحا في السفينة رعبه ... فخلصه اذ كان في الموج جاريا
ومازال سام وهو ثاو بظهره ... على اخويه بالفضائل ساميا
فخصص حتى بالمكان كرامة ... وأسكن في أعلى البلاد مراقيا
فانزل حام بالجنوب مجانبا ... ويافث في اقصى الشمال مواريا
وأنزل سام للفضيلة وحده ... بأوسط معمور البلاد الاعاليا
وبادر جبريل الخليل لاجله ... ليحميه اذ أبصر الجمر حاميا
ويخبر في وقت البلاء يقينه ... فصادف ورد الخلة العذب صافيا
فقال له هل تسألن كفايـــة ... فجاوبه حسبي بربي كافيا
فكانت عليه النار بردا كما أتى ... به وسلاما وهي نار كما هيا
وجازاه في الاسراء عنها نبينا ... وألهمها فوق السماوات ساريا
فلما انتهى جبريل عند مقامه ... بحيث يرى نورا وحجبا عواليا
أشار على المختار أن سر فانه ... مقامي فلا اعدوه ما دمت باقيا
فناداه يا جبريل هل لك حاجة ... الى الله فاسأله لتعطى الامانيا
فقال له سله لابسط رغبـــة ... على النار منى للعصاة جناحيا
فدلى في افق المهابه رمزف ... وزج براق العز في النور راقيا
ومن أجله خص الذبيح فداءه ... وفي ظهره المختار أصبح ثاويا
فداه بذبح عظم الله شأنه ... لان كان ذهرا في الفرادبس راعيا
وثنى بعبد الله حامل فضلـــه ... فكان بذاك الفرع للاصل واقيا
لذاك ما قال الرسول منبها ... أنا ابن ذبيحيها يعد المعاليا

وعف ابوه اذ دعته لنفسه ... فتاة رأت نور النبوة ضاحيا
مضى ولذاك النور بين جبينه ... شعاع سنا يعشي العيون الروانيا
فأعرض عنها ثم صار لشأنه ... وكان له الرحمان بالحفظ واقيا
وعاد وقد ادى امانة ربه ... لأمته وعدا من الله ماضيا
ومر على حي الفتاة فنوديت ... هلمي تصادف لوعة الحب راقيا
فقالت لهم قد كان ذاك مدة ... لامر عصينا في هواه النواهيا
اردت بان أعطى سناه وقد مضى ... لعمري به من كان بالحق قاضيا
وكم طالب ما لا ينال وقاعد ... سعادته تبدي له السؤل دانيا

☆☆☆

وكم شاهدت من اية امه به ... يصير بها جيد الديانة حاليا
رأت في معاليه مرائي جمة ... وصدقت الاثار منه المرائيا
وقيل لها بشراك فزت بخير من ... يرى فوق أكناف البسيطة ماشيا
وحفت به الاملاك في حين وضعه ... بليلة افضال تزين الليالي
وبشر رضوان الجنان بخلقه ... ففتح جنات النعيم الثمانيا
ونادى منادي العز طوفوا بأحمد ... جهات الدنا طرا وعموا النواحيا
بدا واضعا كفيه بالارض رافعا ... لعينيه نحو الافق بالطرف ساميا
وأعول ابليس اللعين وقال قد ... يئست وقدما كنت للكفر راجيا
وسار الى صنعاء شيبة جده ... فحل محلا للوفادة قاصيا
وحيا بغمدان ابن ذي يزن بها ... وهنأه بالملك اذ عاد واليا

فقربه دون الوفود وخصه ... ليسمع قولا في الرسالة شافيا
وقال له انا وجدنا بكتبنا ... نبيا يرى في نحو ارضك دانيا
يموت أبوه ثم تهلك امه ... ويكفله بعض العمومة كافيا
وقال له والبيت ذي الحجب زاره ... وفود الورى جابوا اليه الفيافيا
لانت على ما يقتضي الوعد جده ... فشيد به للمجد ما كنت بانيا
وقال له احفظ ما اقول فانه ... سيملك ارضي اذ أرى الملك واهيا
وقول هرقل اذ أظل زمانه ... يقول أرى ملك الختان موافيا
وطالع فيه مصحف الافق ناظرا ... كما زعموه يستشير الذراريا
فلم تنقض الايام حتى اتى له ... كتاب رسول الله للحق داعيا
فباحث عنه اهل مكة سائلا ... وكان بأوصاف النبوءة داريا
ولبى الهدى لما دعاه جماله ... وهام قليلا ثم الفى ساليا
وورد الرضى لا يهتدي لسبيله ... فيروى به من كان في البدء صاديا
وايوان كسرى اهتز ليلة وضعه ... وبات عليه قصره متداعيا
وزاد برؤيا الموبذان ارتياعه ... فأذهله أن يستبين المساعيا
وفسرها شق وشق غباره ... سطيح بسجع قص ما كان رائيا
فنص على ارسال احمد مثبتا ... لدين الهدى بالرغم للكفر ماحيا
واخمدت النيران نيران فارس ... وكانت تلظى الف عام تواليا

***

وحمل ذاك الحلم حجر حليمة ... لترضعه در الفضائل صافيا

أبى حمله النسوان لليتم وانبرت ... له فرأت من حينها الرزق ناميا
فحازت به السبق الاتان كرامة ... وأخصب مرعاها ففاق المراعيا
وشارفها اذ لا تبض بقطرة ... فصارت به ثجا تروي الصواديا
وفي حيها وافاه جبريل قاصدا ... وأقبل ميكائيل بالامر تاليا
فشقا به صدر النبي لشرحه ... فكان لما يلقى له الله واعيا
ورده في الحين التئاما فما ترى ... سوى أثر ما زال للشرح باقيا
وجاءا بمنديل وطست ليغسلا ... بماء الرضا قلبا عن الله راضيا
وعاد أخوه فازعا مخبرا بما ... جرى من مخوف كان للامر جاريا
فسارت به من حينه نحو أمه ... تخاف عليه ان أقام العواديا
وما زال محروسا أمينا مؤمنا ... سبوقا صدوقا سامي القدر عاليا
حييا وفيا خاشعا متواضعا ... كريما حليما يستفز الرواسيا
وفي سيره للشام شام بقربه ... بروق الهدى من لم يكن قطرائيا
أكب عليه في طريق مسيره ... بدير بحيرا للهدى مترامیا
ولما رأى تلك العلامة لم ينزل ... لما وافق الكتب القديمة باكيا
وكانت به من علة الشوق غلة ... فساق له منها الطبيب المداويا
وقصته في ذا المجاز وعمه ... به ظمأ قد صير الصبر فانيا
فأهوى ولاماء الى الارض راكضا ... ففجر ينبوعا من الماء جاريا
وكم بان من يسر لميسرة به ... يرد أخا سكر الغواية صاحيا
فكان اذا اشتد الهجير أظله ... غمام عليه لا يزال مماشيا

وأخبره نسطور بصرى ببعثه فأظهر من غيب الرسالة خافيا

☆☆☆

وبغضت الاصنام للمصطفى فلم يزل هاجرا فعل الضلالة قاليا
وكان يرى ضوءا يلوح لعينه ويسمع تسليما عليه محاذيا
ويأتي حراء للتحنث قاصدا محبا لاسباب الوصال مراعيا
ويخرج من بين البيوت لعله يحدث عنه النفس في السر خاليا
وكان رآه الله أكرم خلقه فأرسله بالحق للحق هاديا
وأسرى به ليلا الى حضرة العلا فما زال فيها للحبيب مساويا
وسار على ظهر البراق كرامة له راكبا اذ سار جبريل ماشيا
ولما أتاه الوحي وارتاع قلبه لشدة ما قد كان منه ملاقيا
فسارت به عمدا خديجة زوجه لتسأل حبرا بالزمانة فانيا
وكان امرأ قد مارس الكتب قارئا وبات لضيفان المعارف قاريا
فبشره أن سوف يطلع صبحه فيكشف من ليل الغواية داجيا
وقال له ياليتني كنت حاضرا بها جدعا اوليك نفسي وماليا
ووقتك ان يدرك زماني يومه ومن لي به انصرك نصرا مواليا

☆☆☆

وعايته في الغار اذ نزلا به وكان له الصديق بالصدق ثانيا
وقد أرسل الله الحمام وشيدت من النسج ايدي العنكبوت مبانيا
فدافع عن صديقه ورسوله بأضعف أسباب الوجود مقاويا

وكم ءاية خصت سراقة اذ مشى ... على اثر المختار للعار قافيا
فشاهد ءاثارا من الخسف كادأن ... يكون لقارون السباق مواخيا
ولما دعا بالهاشمي أجاره ... فأبصره في الحين من ذاك ناجيا
وأصحبه منه ظهيرا مكرما ... بخط أبي بكر يخيف الدواهيا
وأخبره أن سوف يفتح أمره ... مدائن كسرى والبلاد الاقاصيا
ويجعل في كفيه من بعد فتحها ... سواراه مما يحرز الدين ساميا
فأخرها الفاروق في حين فتحها ... له عدة بالصدق فيها مباهيا
وءايته في خيمتي ام معبد ... وفي الشاة اذ لم تبق تصحب راعيا
وفي الذيب اذ اقعى وأخبر مفصحا ... عن المصطفى والذيب مازال عاويا
وفي الضب لما أن دعاه أجابه ... وقال له لبيك لبيك داعيا
وءايته اذ فارق الجذع فضله ... فحن اليه الجذع بالحال شاكيا
وان انشقاق البدر أعظم ءاية ... تدل على من كان للدين راويا
وفي الجمل الاتي بحضرة صحبه ... ليشكو تكليف المشقة راغيا
وقصته في المحل لما دعا لهم ... فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
وسال به وادي قناة لاجله ... ثلاثين يوما لم ينزل متواليا
وفي قصة الزوراء للخلق ءاية ... وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا
دعا بانا ليس ينقع ماؤه ... لقلته بالري من كان صاديا
ففاض نمير الماء بين بنانه ... وكان وضوءا للكتيبة كافيا
وركوته يوم الحديبية التي ... أفاض بها الله البنان سواقيا

واشباعه الجسم الغفير بقبضة ... من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
واخباره بالشيء من قبل كونه ... فياتي على النص الذي قال حاكيا
فأخبر ذا النورين ان سيصيبه ... على الامر بلوى تعقب الامر واهيا
وأخبر عمارا بأن حياته ... سيقطعها بالقتل من كان باغيا
وقال لذي السبطين اشقى الورى الذي ... سيخضبها من هامة الرأس داميا
يصادف نور الشيب أبيض ناصعا ... فيسقيه صرف الحتف احمر قانيا
ونص على السبط الشهيد بكربلا ... فقام له الدين الحنيفي ناعيا
وفي الحسن الزاكي أبان بأنه ... سيصلح بين الناس للاجر ناويا
وقال لقوم ان ءاخركم بها ... مماتا سيصلى فاحم الجمر حاميا
وقال اذا مامات كسرى فما ترى ... سميا له أخرى الليالي مساميا
وأخبر عن موت النجاشي حينه ... وبينهما موج من البحر طاميا
وقال على قرب الحمام لبنته ... تموتين بعدي فافرحي بلقائيا
وءايته جلت عن العد كثرة ... فما تبلغ الاقوال منها تناهيا
وأعظمها الوحي الذي خصه به ... فبلغ عنه ءامرا فيه ناهيا
تحدى به أهل البيان بأسرهم ... فكلهم ألفاه بالعجز وانيا
وجاء به وحيا صريحا يزيده ... مرور الليالي جدة وتعاليا
تضمن أحكام الوجود بأسرها ... وعم القضايا مثبتا فيه نافيا
وأخبر عما كان أو هو كائن ... يرى ماضيا أو مايرى بعد ءاتيا
ووافق أخبار النبيئين كلهم ... وتمم بالغايات منها المباديا

وما كتبت يمناه قط صحيفة ولا ريء يوما للصحائف تاليا
عليه سلام الله لا زال رائحا عليه مد الايام حقا وغاديا

ولمالك بن المرحل يهني المنصور المريني بفتح مراكش:

فتح تبسمت الاكوان عنه فما رأيت أملح منه مبسما وفما
فتح كما فتح البستان زهرته ورجع الطير في أفنانه نغما
فتح كما انشق صبح في قميص دجى وطرف البرق في اردانه علما
اضحت له جنة الرضوان قد فتحت أبوابها وفؤاد الدين قد نعما
الحمد لله هذا ما وعدت به يا خير من ولي الدنيا ومن حكما
لن يخلف الله وعدا كان واعده فاشكر يضاعف لك الحظ الذي قسما
بفتح مراكش عم السرور فما يكابد الغم الا قلب من ظلما
حبا بها الله مولانا الامير كما حبا اباه فأسنى فتحها لهما
فلم ينزل سعده المألوف متصلا بسعد والده المنصور منتظما
فدولة الدين والدنيا قد اختلفت في الفتح والنصر والتأييد بينهما
أفاقت الارض من نوم بها وصحت وأصبحت وهي تلغى السكر والحلما
لما رأت راية السلطان قد رفعت في افقها قرعت اسنانها ندما
فاستقطفت منه قولا من سجيته أن يحقر الذنب والعوار ان عظما
من سنة الله ان يحيى خليقته على يديك وأن يكفيهم النقما
وأن يقيم بك الاسلام من اود وأن يديم بك الاحسان والنعما
وأن يقر عيون المسلمين وأن يشفي الصدور ان يبري بك السقما

بشراك يا مالك الدنيا وحافظها ... فأنت أفضل من أوى ومن ورحما

انا نسخنا معاليك التي رأفت ... فلم نر البأس فيها بنز للكرما

كما نظرنا الى يمناك من كتب ... فلم نر السيف فيها يسلم القلما

لله منك مليك لا نظير له ... لولاك كان وجود الدين قد عدما

ملك بصير بأدواء الامور له ... رأي نجيح وطب يذهب الالما

عدل الحكومة ماضي العزم معتدل ... كالريح يمضي بعدل كلما عزما

سيف وسيب وعدل بعد مقدرة ... وبطشة وأناة تجمع الحكما

ان غاب عنك فان الاذن شاهدة ... وان تشاهده لم ينطق وقد فهما

الله أعطاه علما من لدنه فلم ... يحتج الى أحد في علم من علما

ومن تخيره للدين خالقه ... أعطاه نورا يجلي الظلم والظلما

سبحان من بجميع الفضل أفرده ... ومن حباه السجايا الغر والشيما

فللورى أن يقول عند رؤيته ... ما كان ذا بشرا بل ملأ كا كرما

مولاي يهنيك ما أعطيت من ظفر ... على عدا أصبحوا في حيرة وعمى

وعن قريب الى يمناك مرجعهم ... فلا يجازى امرء الا بما جرما

أين المفر وخيل الله تطلبهم ... لا يعصم الله منهم غير من رحما

كم من مضر يلاقي ما جنت يده ... وتائب عائب بالتوبة اعتصما

أنت الامام لبعض السهو تحمله ... وبعضه يحبط الاعمال والحرما

وقد كبى الله كف الخائنين وقد ... أقال عثرة من أخطا وقد رجما

يابنت فكري ضعي عنك النقاب اذا ... بلغت حضرته ثم انشري النظما

وذكريه فان الذكر منفعة وذاك في محكم التنزيل قد رسما
من عبده مالك مملوك دولته على القديم ويرعي السيد القدما

ولابي جعفر الجنان المكناسي يهنيه نقها من مرض:

البس الصحة بردا قشيبا وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش دهرك ذا في سرور يصبح الحاسد منك كئيبا

وكتب أبو القاسم ابن ابي العافية الى أبي القاسم الشريف مجيبا عن كتاب كتب به اليه وكان بحال مرض شديد:

تفديك أنفسنا وان قلت فدى فهي الكثيرة لا تعادل اوحدا
فاسلم سلمت من المكاره كلها وبقيت صدر المنتدي بحر الندى
حتى تجيل الشيب اشهب واضحا فتجوز غايات الحياة مدى مدى
فاذا انقضى الاجل المسمى زرتم في الخلد جدكم الكريم محمدا
وافى كتابكم فبت لاجله ريان أشكو من تباريح الصدا
ريان من وهي بعذب خطابه ظمئان من حر الصبابة مكمدا
فنشرته واشمته فكأنني طالعت منك به الفضائل واليدا
ودعوت ربي في بقائك سالما والله ينجز في الدعاء الموعدا

والكاتب ابي الحسن القبائلي يهنيء السلطان ابا سعيد عثمان ابن أبي العباس المريني بشفائه من مرض:

هنيئا لنا ولكل الانام براحة فخر الملوك الهمام
امام أقام رسوم العلا وحل من المجد أعلى السنام
به قرت العين لما بدا صحيحا وما ان به من سقام
وهل هو الا كبدر الدجى يوارى قليلا وراء الغمام
ويظهر طورا فيجلو به عن الناس ياصاح ساجي الظلام
أو الليث يعكف في غيله فتحذر منه السباع اهتجام
أمولاي عثمان بحر الندى ومردي العداة ونجل الكرام
لقد رفع الله مقداركم فنفسي الفداء لكم من امام
أمولاي عبدك قد ضره أفول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كئيبا لابعادكم مشوقا لتقبيل ذاك المقام
فكن راحما يا امام الورى عطوفا بمملوكك المستهام
لعل الذي ناله ينقضي وتشمل منك هبات جسام
فأيدك الله بالنصر ما ترنم فوق الغصون حمام

وقال النابغة الهوزالي في ابلال المنصور الذهبي من مرضه:

تردى اذى من سقمك البر والبحر وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الهدى خوفا عليك مسهدا وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التي أفاق بها من غمه البدو والحضر
ترادفت لنا الدنيا بزينة حسنها وهاد الى ابانه ذلك البشر
وصار بك الاسلام في كل بلدة يهنا ويدعو أن يطول لك العمر

وصحت لنا الآمال بعد اعتلالها ... وعادت الى الايناع اغصانها الخضر
ولاغرو ان خافت على عيلم الندى ... اذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
لسيب ابي العباس انضت عجافها ... قديما فخافت ان يعاودها الضر
لئن صديت بيض المعالي لقد غدت ... نشاوى الكماة البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمي ذماره ... ويحميك رب العرش مابقي الدهر

وله يهنيه بفتح السودان ودخوله في طاعته:

المت وقد الوى على وصلها الهجر ... كما افتر اثر الليل عن ثغره الفجر
وجلى وقد لاحت دجى الليل وجهها ... كما نض سجف الليل عن وجهه البدر
تساقطلي درا لقطت فريده ... يا نمل سمع فيه عن غيره وقر
تحدث عن مسري سوار رمت بها ... مرام تضل النهج في فيحها الزهر
تحامى هواها الطير من خشية الردى ... قديما وأعيا الريح مسلكها الوعر
وجشمها المنصور خرس كتائب ... تحمل ما يرى فيحمله الصبر
تقاد نواصيها بكل متوج ... نمته الى عدنان اباؤه الغر
على كل محبوك السراة اذا جرى ... مع الريح فات الريح من عدوه حضر
صوافن ينمو بها وجيه ولاحق ... مطهمة دهم ومقورة شقر (1)
بمرهفة مأثورة مشرفية ... تؤم غراريها ردينية سمر
غدت تحمل الموت الزؤام يحوطها ... ويكنفها يمن يشيعه نصر
فحلت بأرض السود لم يثن عزمها ... مهالك صد عن مسالكها الذعر

(1) مقورة بوزن مصغرة اى مهزولة.

ورامت بنو حام لجهل بقدرها ... دفاعا فباتت فوق عانافها العفر
همى فوقها وطف المنايا بحاصب ... طوامى عبال النبل من فيضه حمر
لقد ذكر الحبشان من وقعها بهم ... وقيعة يوم الفيل لو ينفع الذكر
هنيئا أمير المومنين فقد قضى ... على كل من ناواك اسيافك البتر
لئن أسلمت ارض الجنوب مقادها ... فعن كثب تلقي مقالدها مصر
وتزور زوراء العراق فتهتدي ... اليكم وأعناق العدا خضع صغر
وتخفق بالوادي المقدس راية ... عليك وتهوى فيه الوية حمر
فدم لفتوح يستحث لنيلها ... الى كل قطر منك ذو لجب بحر

وللكاتب الوزير ابي فارس عبد العزيز الفشتالي يمدحه ويهنيه بالمولد الشريف:

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني ... وهم حرموا من لذة الغمض اجفاني
وهم اخفروا في مهجتي ذمم الهوى ... فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني
لئن اترعوا من قهوة البين اكوسي ... فشوقهم أضحى سميري وندماني
وان غادرتني بالعراء حمولهم ... كفى ان قلبي جاهد اثر أظعاني
قف العيس واسئل ربعهم اية مضوا ... اللجزع ساروا مدلجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى ... ملاعب ءارام هناك وغزلان
واين استقلوا هل بهضب تهامة ... اناخوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال في بطن المسيل تشوقا ... نفوس ترامت للعلا قبل جثمان
واذ زجروها بالعشي فهل ثنى ... ازمتها الحادي الى شعب بوان

وهل عرسوا في ديزعبدون امسروا ... يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى ... باحداجهم شتى صفات والوان
وادلج في الاسحار بيض قبابهم ... فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة ... اذا زمها بدنا نواعم أبدان
ارحها مطايا قد تمشى بها الهوى ... تمشي الحميا في مفاصل أبدان
ويمم بها الوادي المقدس بالحمى ... به الماء صدا والكلا نبت سعدان
واهد حلول الحجر منه تحية ... تفاوح عرفا ذاكي الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة ... فهاجت مع الاسحار شوقي واشجاني
وفتت منها المشرق في الغرب سكة ... سحبت بها في ارض دارين ارداني
وأذكرني نجدا وطيب عراره ... نسيم الصبا من نحو طيبة حياني
احن الى تلك المعاهد انها ... معاهد راحاتي وروحي وريحاني
واهفو مع الاشواق للوطن الذي ... به صح لي انسي الهني وسلواني
وأصبو الى أعلام مكة شائقا ... اذا لاح برق من شمام وثهلان
اهيل الحمى ديني على الدهر زورة ... احث بها شوقا لكم عزمي الواني
متى يشتفي جفني القريح بنظرة ... يزج بها في نوركم عين انساني
ومن لي بأن يدنو رضاكم تعطفا ... ودهري عني دائما عطفه ثان
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده ... سوافح دمعي من شؤوني هتان
وأنعم في شط العقيق أراكة ... بافيائها ظل المنى والهوى دان
وحيا ربوعا بين مروة والصفا ... تحية مشتاق لها الدهر حيران

ربوعا بها تتلو الملائكة العلا ... أفانين وحي بين ذكر وقرءان
وأول ارض باكرت عرصاتها ... وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرس فيها للنبوءة موكب ... هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدى بها الروح الامين رسالة ... أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فض ختمها أشرف الورى ... وفخر نزار من معد ابن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها ... وسيد اهل الارض والانس والجان
ومن بشرت بالبعث من قبل كونه ... نوامس كهان وأخبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت ... سماء ولا غاضت طوافح طوفان
ولا زخرفت من جنة الخلد اربع ... تسبح فيها ادم حور وولدان
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية ... تجهم من ديجورها ليل كهران
ولا لحقت بالمذنبين شفاعة ... يذوذ بها عنهم زباني نيران
له معجزات اخرست كل جاحد ... وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى ... بماء همى من كفه كل ظمئان
وانطقت الاوثان نطقا تبرأت ... الى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عجما فلبث وأقبلت ... تجر ذيول الزهر ما بين افنان
وضاءت قصور الشام من نوره الذي ... علا كل قطر نازح القطر أودان
وقد بهج الانوا بدعوته التي ... كست اوجه الغبراء بهجة نيسان

☆☆☆

وان كتاب الله أعظم ءاية ... بها افتضح المرتاب وابتأس الشاني

وعدى على شاو البليغ بيانه فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبي الهدى من اطلع الحق انجما محى نورها اسداف افك وبهتان
بعزتها ذل الاكاسرة الالى هم سلبوا تيجانها أهل ساسان
واحرز للدين الحنيفي بالظبا تراث الملوك الصيد من عهد يونان
ونقع من سمر القنا السم قيصرا فجرعه منها مجاجة ثعبان
واضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا يناغي الصدا فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا تروق نضارة ووجه الهدى بادي الصباحة للراني
ايا خير اهل الارض بيتا ومحتدا وأكرم كل الخلق عجم وعربان
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم ولو سجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثناها أماني اجدبت لتسقى بمزن من أياديك هتان
أجرني اذا أبدى الحساب جرائمي وأثقلت الاوزار كفة ميزاني
فانت الذي لولا وسائل عزه لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا وماست على قضبانها ملك قضبان
وحمل في جيب الجنوب تحية يفوح بمسراها شذا كل تربان
الى العمرين صاحبيك كليهما وتاوهما في الفصل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها واريجها ووالى على سبطيك أوفر رضوان
اليك رسول الله صممت عزمة اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت مني القلب وهو مقلب على جمرة الاشواق فيك فلباني
فياليت شعري هل ازم قلائصي اليك بدارا أو اقلقل كيراني

وأطوي اديم الارض نحوك راحلا ... نواجي المهاري في صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحمى ... اذا غرد الحادي بهن وغناني
وهل تمحون عني خطايا اقترفتها ... خطى لي في تلك البقاع واوطان
وما ذا عسى يثني عناني وان لي ... بثالك جاها صهوة العزا مطاني
اذا صد عن زوارك الباس والغنى ... فجود ابنك المنصور احمد اغناني
عمادي الذي اوطا السماكين اخمصي ... وأوفى على السبع الطباق فادناني
متوج املاك الزمان وان سطا ... احل سيوفا في معاقد تيجان
وقاري اسود الغاب بالصيد مثلها ... اذا اضطر ب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره ... تضاءل في اخياسها اسد خفان
وان أطلعت غيم القتام جيوشه ... وارزم في مركومه رعد نيران
صببن على ارض العداة صواعقا ... اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت ... صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصى من كل اروع معلم ... وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا ... هدتهم الى اوداجها شهب خرصان
من اللاء جر عن العدا غصص الردى ... وعفرن في وجه الثرى وجه بستان (1)
وفتحن اقطار البلاد فاصبحت ... تؤدي خراج الجزل املاك سودان
امام البرايا من على نجاره ... ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد ... ذووهمم قد عرست فوق كيوان

(1) تعريب سبستيان وسوملك البرتغال المقتول في وقعة وادي المخازن

هم العلويون الذين وجوههم ... بدور اذا ما احلولكت شهب أزمان
وهم اهل بيت شيد الله ملكه ... على هضبة العلياء ثابت اركان
وفيهم أتى الذكر الحكيم وصرحت ... بفضلهم ءايات ذكر وقرءان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه ... فناهيك من فخرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا ... يجاد بامواه الرسالة ريان
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت ... معد على العربا عاد وقحطان
اولائك فخري ان فخرت على الورى ... ونافس بيتي في الولا بيت سلمان(1)
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم ... فقسمي بالمنصور ظاهر رجحان
امام له في جبهة الدهر ميسم ... ومن عزه في مفرق الملك تاجان
سما فوق هامة النجوم بهمة ... يحوم بها فوق السموات نسران
وأطلع في افق المعالي خلافة ... عليها وشاح من علاه وسمطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى ... على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق ... وشاهدت كسرى العدل في صدر ايوان
وان هزه حر الثناء تدفقت ... انامله عرفا تدفق خلجان
ايا ناظر الاسلام شم بارق المنى ... وباكر لروض في ذرا المجد فينان
قضى الله في عليائك ان تملك الدنا ... وتفتحها ما بين سوس وسودان
وانك تطوي الارض غير مدافع ... فمن ارض سودان الى ارض بغدان
وتملأها عدلا يرف لواؤه ... على الهرمين أو على رأس غمدان

(1) يعني به بيت لسان الدين ابن الخطيب السلماني وقد مر في ترجمته ان ممدوحه المنصور كان يباري به لسان الدين فحيا الله دولة يعتز ملوكها وادباؤها بعضهم ببعض.

من كل اروع في اقدامه بطر ... وسيفه من قراع الهام مفلول
يجرها كعديد الطيس عابسة ... وما له غير وجه الله مامول
يعني به النصر لا ينفك يلزمه ... كانه علة والنصر معلول
وعزمه نافذ لا شيء يحجبه ... فكل ما يبتغي في الحين مفعول
وتلك سنة ربي في عزائمه ... وما لسنة رب الناس تحويل
وللسعادة اسباب مقدرة ... في سابق العلم لاكسب وتحصيل
من أسرة زمن الاقطار ملكهم ... كان ملكهم تاج واكليل
بنو علي ادام الله عزهم ... فهم لمغربنا عز وتفضيل
يا ايها الملك الاتضى المحيط به ... من الجلالة اجمال وتفصيل
بقيت للمولد المبرور تشهده ... وعزه بجلال منك مكفول

ولابن زاكور يمدح الشيخ علي بركة وهي من السحر الحلال.

الى م فؤادي يذوب زفيرا ... لقد كدت اقضى معنى حسيرا
عراني من الوجد ما قدنفى ... كراي واذكي حشاي سعيرا
فمن رقة قد حكيت نسيما ... ومن دنف قد حكيت نقيرا
وشيبني والشباب نضير ... صدود الالى اودعوني زفيرا
ومن لسعته افاعي الصدود ... فاجدر به ان يشيب صغيرا
فماذا على ودهم لودنا ... وما ضر لو نعشوني يسيرا
وماذا على عاذلي لو غدا ... نذيرا لمن كان مثلي اسيرا
فيا عاذلي لا تكن عاذري ... ولست اؤمل منك عذيرا

ويا هاجري لا تكن واصلى ... الى ان ثواني الحصاة ثبيرا
فمذ شمت برق العلا والهوى ... لدى بركات العلا مستطيرا
سلوتك فانجاب ليل الاسى ... واسفر صبح السرور بشيرا
فلا مقلتي تستهل دما ... ولا كبدي تتداعى فطورا
ومن شام برق العلا مستطيرا ... فلا يعد من ددا وحبورا
وهان على الذي قد لقيت ... لما سقاني نداه نميرا
وانقذني من ظلام الهوى ... وكان لقلبي المعنى بحيرا
امام تسربل بالمكرمات ... ورض ازار العفاف كبيرا
وطاول بدر السماء منيرا ... وساجل قطر الغمام غزيرا
واضحى لكاس المعالي مديرا ... وامسى لروض العلوم سميرا
تواضع حلما فزاد ارتقاء ... ورام خفاء فزاد ظهورا
ومن رام اخفاء بدر الدياجى ... بجنح دجى زاد نورا كثيرا
تناهت مذاهبه في العلا ... فليس يرى لسواها ظهيرا
فطورا تراه لقوم بشيرا ... وطورا تراه لقوم نذيرا
وكائن تراه يفك المعمى ... ويوضح ما كان صعبا عسيرا
الى رقة لو حواها النسيم ... لما قصف الدهر غصنا نضيرا
ونظم ينسيك شعر جرير ... اذا انت عاينت منه سطورا
ووجه جلى البشر عنه الوجوم ... فليس يرى ابدا قمطريرا
تضيء الدياجيي غرته ... فتحسبها قبسا مستنيرا

الا هل اتى معشرى انني علقت بتطوان علقا خطيرا
وءاويت منها الى جنة فلا شمس فيها ولا زمهريرا
لدى عالم قد حوى عالما وحبر تضمن خلقا كثيرا
وألحفها من محاسنه برودا حكت سندسا وحريرا
وأسرجها بسراج الهدى وكم مكثت قبل تحكي قبورا
فلا نجد الا استطار سنى ولا غور الا تلألأ نورا
ولا غصن الا تثنى ارتياحا ولا طير الا تغنى سرورا
وضاء سناها وضاع شذاها فبشمت سنى وشممت عبيرا
امام الورى بشفيع الورى اصخ لنظامي وكن لي عذيرا
واسبل عليه برود القبول فلست حبيبا ولست جريرا
وهبني كذاك فمن لي بما احلي به مجدك المستنيرا
ومن ارهقته خطوب الدنا فكيف يحوك القريض القصيرا
فعذرا لمن خانه دهره واخنى عليه الزمان تغيرا
ودونك مني سلام كريم يفاوح عرفه روضا مطيرا

وللقاضي ابن طاهر الهواري يمدح ابا حفص الفاسي وهي من حر الشعر:

طابت بطيب حياتك الاعمار وجرت برفعة قدرك الاقدار
وعلا على الخوزاء اخمصك الذي تصبو الى تقبيله الاحرار
وسمت بك العلياء فوق منازل من دونها الافلاك والادوار
وجلوت في افق السيادة غرة تغزو لبهجة حسنها الاقمار

وأتت بك الايام علقا طالما ... ضنت به فيما مضى الاعصار
سعدت بك الايام وابتهج الورى ... ورقت بغرة وجك الامصار
وقضى لك الرحمن انك مخمل ... فجميل ذكرك من اليه يشار
حلاك بالعلم الشريف فاشرقت ... بحليك الآفاق والاقطـــار
احييت روض فنونهن بعد ما ... عفت المعالم منه والآثار
وجلوت منه عرائس الفكر التي ... تختال منها الصون والابكار
وسرت بهمتك المعارف في الورى ... وجلت بنور فهومك الاسرار
وبدت بحسن بيانك الحكم التي ... نطقت بها من قبلك الاحبار
لكم التقدم في الورى وسواكم ... يعزى له التقصير والاقصار
هيهات سر الله اودع فيكم ... والله يفعل كل ما يختار
فلئن تلوت السابقين فانما ... أنت الذي تختاره الانظار
انشأت اخباري بوصفك مادحا ... فزها بك الانشاء والاخبار
من لي باحصاء الثناء على امرىء ... شرفت لحسن مديحه الاشعار
أنى لمثلي أن يحيط بوصفه ... ولو انه في مدحه مكثار
خذها ابا حفص اليك مديحة ... من صفو ود لم يشبه غيار
والله جل ثناؤه يوليك من ... عز المكانة فوق ما تختار
وعليك يا علم الهداة تحية ... تحكي ذكي نسيمها الازهار
ما رنحت ايدي الصبا قضب الربا ... وترنمت في أيكها الاطيار

ولابي الحسن اليوسي في الشيخ ابن ناصر من داليته الكبرى:

كم سنة أحييت بعد اماتـــة ... وضلالة اخمدت بعد توقد
وافيت والبدع الحوادث قد دجت ... ظلماتها والجهل واري الازند
والدين مطموس المعالم والهدى ... بيض الانوق ولقطة لم تنشد
والسنة الغراء قفر موحش ... ما فيه من هاد ولا من مهتد
نشبت بضبعيها مخالب ضيغم ... من مالف العادات عاد مجرد
ومحا المحاق بدورها فتكنفت ... مقل النهى ظلماء ليل سرمد
وعفت اعاصير الهوى ءاثارها ... فاستبهمت عن ناشد اومنشد
واستوثقت ايدي الغواية والهوى ... بازمة الالباب شلت من يد
والعلم ضاح ظله وصدى التقى ... قد صم والغي اعتلى بمجند
فكشفت جلباب الجهالة عن سنى ... بدر لسائمة الضلال مبدد
بل ضوء صبح بل نهار ناسخ ... ءاياته ليل الشكوك الزرد

ولابن زكري في ءال البيت من همريته:

امة المصطفى اعرفوا قدر ءال ... المصطفى فهم لكم عرفاء
ان تمسكتم بهم لن تضلوا ... انما هم فيكم الاضـــواء
انما مثلهم سفينة نـــوح ... فهم ملجأ لكم ونجـــاء
من احبهم احب نبيـــا ... برضاه تنبأ الانبيـــاء
حصلوا عندهم يدا ان اردتم ... أن يكافيكم ونعم الكفاء
ولثم صولة وجاه وعز ... يوم لا يغني المال والابناء
وقروهم وعظموهم فما زا ... ل يراعي رضاهم العظمـــاء

دونكم أدخلوا السرور عليهم ولكم في دخول عدن وحاء
فهم رحمة وما أحسن الر حمة ممن أصوله رحمـــاء
ما أحقهم بكون على الحق فللناس بالرءوس ائتساء
فاستقامتهم تمين على حـــب النبي وءاله ، الفضلاء
وترى الحسنات تشتد حسنا في بيوتهم ويبهو التقاء
هم أحق الورى بارث لاخلا ق الرسول وهم به خلقاء
رحم الله من دعاهم لما فيـــــه رضى من هم به شرفاء
معشر الآل لست الوكم في النصح فابنو كما بنى الاباء
باتباع الاباء في طاعة الله وبره تكمل الابنـــــاء
ان فعلتم سر الرسول وسبطا ه وسر الامين والزهراء

ولابى العباس المرابي في شيخه ابي القاسم المخلوفي وهما من احسن ما قيل في شيخ تربية:

يود الفقر اذا ما رءاه لينفق نفسا عليه ومالا
شمائله كلما شمتها تناديك صاح تعالى تعالى

ولابي زيد المكودي في الدعاء المجرد:

اذا عرضت لي في زماني حاجة وقد اشكلت فيها علي المقاصد
وقفت بباب الله وقفة ضارع وقلت الاهي انني لك قاصد
ولست تراني واقفا عند باب من يقول. فتاه سيدي اليوم راقد

وللشيخ ابي عبد الله العربي الفشتالي المتوفى سنة 1092

يا من أياديه عندي غير واحدة ... ومن مواهبه جلت عن العدد
ما نابني في زماني قط نائبة ... الا وجدتك فيها اخذا بيدي

وللشيخ بهلول الشرقي:

الاهي دعوتك بالمصطفى ... أقل عثرتي يا مقل العثار
ويوم القيامة لا تخزني ... ولا تحرق الجسم مني بنار

وهذا دعاء الشيخ ابن ناصر نجعله مسك الختام، ولبنة التمام:

يا من الى رحمته المفر ... ومن اليه يلجأ المضطر
ويا قريب العفو يا مولاه ... ويا مغيث كل من دعاه
بك استغثنا يا مغيث الضعفا ... فحسبنا يارب أنت وكفى
فلا أجل من عظيم قدرتك ... ولا أعز من عزيز سطوتك
لعز ملكك الملوك تخضع ... تخفض منهم تشا وترفع
والامر كله اليك رده ... وبيديك حله وعقده
وقد رفعنا امرنا اليك ... وقد شكونا ضعفنا عليك
فارحمنا يامن لا يزال عالما ... بضعفنا ولا يزال راحما
وانظر الى ما مسنا من الورى ... فحالنا من بينهم كما ترى
قد قل جمعنا وقل وفرنا ... وانحطما بين الجموع قدرنا
واستضعفونا شوكة وشدة ... واستنقصونا عدة وعدة
فنحن يامن ملكه لا يسلب ... نلذنا بجاهك الذي لا يغلب
اليك ياغوث الحقير نستند ... عليك ياكهف الضعيف نعتمد

أنت الذي ندعو لكشف الغمرات ... أنت الذي نرجو لدفع الحسرات
أنت العناية التي لا نرتجي ... حماية من غير بابها تجي
أنت الذي نسعى بباب فضله ... أكرم من أغنى بفيض نيله
أنت الذي تهدي اذا ضللنا ... أنت الذي تعفو اذا زللنا
وسعت كل ما خلقت علما ... ورأفة ورحمة وحلما
وليس منا في الوجود احقر ... ولا لما عندك منا افقر
ياواسع الاحسان يامن خيره ... عم الورى ولا ينادى غيره
يامنقذ الغرقى ويا حنان ... يا منجي الهلكى ويا منان
ضاق النطاق ياسميع يامجيب ... عز الدواء ياسريع يا قريب
وقد مددنا ربنا الأكفا ... ومنك ربنا رجونا اللطفا
فالطف بنا بما به قضيت ... ورضنا بما به رضيت
وأبدل اللهم حال العسر ... باليسر وامددنا بريح النصر
واجعل لنا على البغاة الغلبه ... واقصر اذى الشر على من طلبه
واقهر عدانا يا عزيز قهرا ... يفصم حبلهم ويفصي الظهرا
واعكس مرادهم وخيب سعيهم ... واهزم جيوشهم وأفسد رأيهم
وعجل اللهم نقمتك ... فانهم لا يعجزون قدرتك
يارب يارب بحبل عصمتك ... قد اعتصمنا وبعز نصرتك
فكن لنا ولا تكن علينا ... ولا تكلنا طرفة عين الينا
فما أطقنا قوة للدفع ... ولا استطعنا حيلة للمنع

وما قصدنا غير بابك الكريم ... وما رجونا غير فضلك العميم
فما رجت من خيرك الظنون ... بنفس ما تقول كن يكون
يارب يارب بك التوصل ... لما لديك وبك التوسل
يا رب انت ركننا الرفيع ... يارب أنت حصننا المنيع
يارب يارب انلنا الامنا ... اذا ارتحلنا واذا أقمنا
يارب واحفظ زرعنا وضرعنا ... واحفظ تجارنا ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين ... وراحة المحتاج والسكين
واجعل لها بين البلاد صولة ... وحومة ومنعة ودولة
واجعل من السر المصون عزها ... واجعل من الستر الجميل حرزها
واجعل بصاد وبقاف وبنون ... الف حجاب من ورائها يكون
بجاه نور وجهك الكريم ... وجاه سر ملكك العظيم
وجاه لا الاه الا الله ... وجاه خير الخلق يا رباه
وجاه ما به دعاك الانبيا ... وجاه ما به دعاك الاوليا
وجاه كل عابد وذاكر ... وجاه كل حامد وشاكر
وجاه كل من رفعت قدره ... ممن سترت او نشرت ذكره
وجاه ءايات الكتاب المحكم ... وجاه الاسم الاعظم المعظم
يا رب يا رب وقفنا فقرا ... بين يديك ضعفاء حقرا
وقد دعوناك دعاء من دعا ... ربا كريما لا يرد من سعى
فاقبل دعاءنا بمحض الفضل ... قبول من الغنى حساب العدل

وامنن علينا منة الكريم ... واعطف علينا عطفة الحليم
وانشر علينا يارحيم رحمتك ... وابسط علينا يا كريم نعمتك
وخر لنا في سائر الاقوال ... واختم لنا في سائر الافعال
يا رب واجعل دأبنا التمسكا ... بالسنة الغراء والتنسكا
واحصر لنا اغراضنا المختلفة ... فيك وعرفنا تمام المعرفة
واجمع لنا ما بين علم وعمل ... واصرف الى دار البقا منا الامل
وانهج بنا يارب نهج السعدا ... واختم لنا يارب ختم الشهدا
واجعل بنينا فضلاء صلحا ... وعلماء عاملين نصحا
وأصلح اللهم حال الاهل ... ويسر اللهم جمع الشمل
يارب وافتح فتحك المبينا ... لمن تولى واغز الدينا
وانصره ياذا الطول وانصر حزبه ... واملأ بما يرضيك عنه قلبه
يارب وانصر ديننا المحمدي ... واجعل ختام عزه كما بدي
واحفظه يارب بحفظ العلما ... وارفع منار نوره الى السما
واعف وعاف واكف واغفر ذنبنا ... وذنب كل مسلم يارب نا
وصل يارب على المختار ... صلاتك الكاملة المقدار
صلاتك التي تفي بأمره ... كما يليق بارتفاع قدره
ثم على الال الكرام وعلى ... أصحابه الغر ومن لهم تلا
والحمد لله الذي بحمده ... لم يبلغ ذوالقصد تمام قصده .

مصادر الكتاب

من مصادر الكتاب العامة:

تاريخ ابن جرير الطبري
تاريخ ابن الاثير
تاريخ ابن خلدون
دائرة المعارف لفريد وجدي
صبح الاعشى للقلقشندي
معجم البلدان لياقوت الحموي
تاريخ ابن خلكان
نفح الطيب للمقري
الاحاطة لابن الخطيب
الكتيبة له
العلة لابن بشكوال
التكملة لابن الابار
القلائد للفتح بن خاقان
خلاصة الاثر للمحبي
سلك الدرر للمرادي
الديباج لابن فرحون
نيل الابتهاج لاحمد بابا
السلافة لابن معصوم
الريحانة للخفاجي
الفكر السامي للحجوي
منتخبات عبقريات للسائح

ومن مصادره الخاصة:

القرطاس لابن ابي زرع
المعجب للمراكشي
المغرب لابن عذاري
الذخيرة السنية
نزهة الحادي للافراني
الجيش العرمرم للكنسوسي
الاستقصا للناصري
زهرة الآس للجزنائي
الحلل الموشية
الروض الهتون لابن غازي
تاريخ مكناس لابن زيدان
الجذوة لابن القاضي
درة الحجال له
الدوحة لابن عسكر
الصفوة للافراني
النشر للقادري
الدرر المرصعة للناصري
الرحلة العياشية
الرحلة الناصرية
الرحلة الزيانية
رحلة ابن زاكور
الانيس المطرب
السلوة للكتاني
الشعر والشعراء للقيشي

الى غير ذلك من كتب الادب المختلفة والسماعات والكتابات والوجادات الموثوق بها كل الوثوق

تصويبات

وقع في الصفحات التالية اخطاء شديدة الافتقار الى التصويب وهي مع صوابها 58 ومد مع ذلك يد الوعيد 67 وكون تعطيل 82 فتشته 148 لابن حبيب النيسابوري 185 الامي النبي 191 ابو عبد الله احمد بن عبد ربه 291 رقى. باعتدالك. نازلت. في الرعيل الاول. 293 شادن. مهجتي وهذا الموشح معله في الصفحة (304) 294 يحيى بن مليل 315 النمر 344 القصار 357 ولابن الونان 360 عزة 370 ولابي علي 372 الدراس 379 فالاديبات المغرب البتيمة 382 حف 383 حبست

تقريظ

بقلم الاستاذ العلامة النحرير الشريف السيد الحاج محمد بن اليمني الناصري

النبوغ المغربي

كل من درس تاريخ الادب العربي في المغرب الاقصى على وجه العموم فانه لابد ان يخرج بنتيجة طيبة تقضي بان منبت المغاربة منبت طيب يخرج نباته باذن ربه بل يشهد لاهله الابـاة الاحـرار بالنبـوغ الفطري، والتفوق الفكري، والذكاء النادر، والذهن الحاضر:

ومن كابر في ذلك فليستعرض امامه ما تدفقت به يراعة صديقنـا الاستاذ الاكبر، الذي اعظم التاريخ عمله واكبر، المرشد المهذب، والناصح المشذب، ذي الاعمال الجليلة والخلق السنى، ابي محمد سيدي عبد الله الكنوني الحسني، لازال يرتع في بحبوحة العيش الهنى، في هذه الصفحات البيض التي بيض بها وجه وطنه، واستخدم في استخراج دفائنها فائق مواهبه وفطنه، فسد بها في الادب العربي اكبر ثلمه، وسجل بهـا في سجل الخلود نبله وعلمه، بيض الله وجهه يوم تبيض وجوه وءاتاه في نفسه وشعبه ما يؤمله ويرجوه، على اكمل الوجوه:

ايها الصديق العزيز:

لقد فقت بهذا العمل الجليل شيوخك واقرانـك حتى برزت فـي

الميدان، على الشيوخ والكهول والشبان، فكنت لهم في هذا البحر الخضم اعظم ربان، اذ مثلت النهضة المغربية فكريا وادبيا وسياسيا في الابان، فاستحققت ان يرفع ذكرك، ويحلق بافكارنا فكرك، فنقول:

يابني الضاد تحلوا ... بالنبوغ المغربي
فهو والله مثال ... للشفوف العربي
مثلته صفحات ... من محيط ادبي
يتجلى فيه ذوق ... للفتى الحر الابى
موقظ الشعب بشعر ... مشعر كل غبى
وبنثر كنثير ... من صحاح الجوهري
بذا علام علوم ... فضلوا كل سرى
إذ اتى بالعمل الفذ ... الجليل العبقرى
وتحرى صوب صدق ... فيه بالحر حري
فليعش حرا طليقا ... في سما الفكر السني
رافلا في خير عيش ... كامل القصد هني

وكتبه عن عجل صبيحة 21 صفر الخير عام 1357هـ وهو على جناح السفر عبد ربه سيدي محمد بن اليمني الناصري الرباطي. عفا الله عنه.

فهرست الكتاب

	صحيفة
قسم المنثور	2
التحميد والصلاة	3
الخطب	9
المناظرات	22
الرسائل	80
المقامات	196
المحاضرات	220
المقالات	239
قسم المنظوم	265
الباب الاول في الحماسة والفخر	266
« الثاني في الغزل والنسيب والشوق	284
« الثالث في الوصف	308
« الرابع في الادب	334
« الخامس في الملح	367
« السادس في الرثاء وذكر الموت	372
« السابع في المدح والتهنئة والدعاء	396
مصادر الكتاب ـ تصويبات	435
تقريظ	436



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT